أول اكتوبر سنة ١٩٣١
جمادى الاولى سنة ١٣٥٠

المعرفة

الجـــزء السادس
السـنة الأولى

مجلة — شهرية — جامعة

لصاحبها وناشرها ومحررها المسئول

عبد العزيز الإسلامبولى

شعارها : اعرف نفسك بنفسك

من جوامع الكلم

حرية الكلام

للأستاذ الكبير لطفى بن السيد

قال الأستاذ الكبير أحمد بن لطفى السيد ، فى إحدى مقالاته الخالدة، يصف حرية القول ما يأتى : —

حرية الكلام مظهر الحرية الشخصية ، بل هى ألصق مظاهرها بها، هى الآلة الشائعة لحرية الفكر وحرية الضمير . نعم حرية الكلام هى الآلة الشائعة، فهى ألزم للفرد من حرية الكتابة وما هى للمجموع بأقل لزوماً من حرية الصحافة ، وليس كل إنسان كاتباً بالفعل ، ولا كل موضوع محلا للكتابة ، ولا كل ظرف موافقا لها .

حرية الكلام طبيعية صرفة ، لها دوافع قوية فى النفس الانسانية ، فهى لا تصبر على حبسها صبرها على حبس الجسم عن الحركة ، وعلى حبس القلم عن الكتابة . وإنها كسائر مظاهر الحرية الشخصية ، لا حد لها إلا ضرر الغير وإيذاؤه .

التصوف قديماً وحديثاً

التصوف في الهند (١)

(من كتاب تحت الطبع)

بقلم محرر المجلة

نزعة التصوف

الانسان بطبعه ميال إلى حب استطلاع كل مجهول ، والوقوف على حقيقة كل مستور . فيحاول التوثب إلى معرفة الظواهر المحسوسة التي تحيط به ، والتعرف على السبل التي تبلغه أمنيته . وتحقق له هويته . وماهذه الهوية أو تلك الأمنية في الحق سوى السعادة : سواء أكانت دنيوية أم أخروية ، فلكل وجهة هو موليها (٢) .

لكن ! ما هي الوسيلة الى تلك الغاية التي ينشدها كل كائن حي ؟ سؤال جد معقد حارت عقول البشر — منذ الأزل — في تكييفه والاجابة عليه ، وعجز جبابرة العقول عن أن يميطوا ذلك اللثام الحائل بينها و بينهم ، فوقفوا حيارى دهشين مختلفين .

وعندي أن أسباب الخلاف في هذا ترجع الى عدة أمور أهمها : اختلاف الناس في عقولهم ومشاعرهم وحساسياتهم ، واختلاف الزمان والمكان وما اليهما من العوامل الطبيعية ، واختلاف البيئة والوراثة وما اليهما عن العوامل الاجتماعية .

ولسنا بصدد تعداد ما اختلف الناس عليه في ماهية السعادة . لكننا بصدد أولئك الذين يرونها في التقشف والزهد و إدامة التأملات والاستسلامات ، أو يتلمسونها في إنكار الجسد والخروج عن الاندماج في حسه ، وتحرير النفس منه بالحط من سلطانه واستثارته بالارهاق والتعذيب وما يشبه هذا من ضروب متعددة .

لكن ! من هم أصحاب النزعة في الأصل ومن أية أمة هم ؟ هذا ما سنتكفل بالاجابة عنه .

البرهمية

أما من هم أصحاب هذا الرأي أو تلك النزعة ؟ ومن أية أمة هم ؟ فهم الهنود الأقدمون أتباع الفيدا . و بعبارة أخرى هم البراهمة الذين يرجع تاريخ مذهبهم الى ماقبل الميلاد بثمانية قرون . ومن

---

(١) راجع مقالنا في هذا الموضوع ، نشر بجريدة « العلم » بتاريخ ٢٣ ابريل ١٩٢٩

(٢) راجع مقالنا في هذا الموضوع بعنوان (فلسفة السعادة) نشر بجريدة « أبو الهول » م ١٩٢٢

تعاليمهم قولهم : إن الله هو الواحد الاول الحق ، والمسبب الأول للحق،القيوم بذاته،والموجود بنفسه، هوهذا الذى لا يمكن أن تصيبه الحواس المادية أو العقول البشرية ، هو المنزه عن كل ماهو منظور ، ذلك لأنه أزلى سرمدى وهو روح كل شىء . . . روح كل الكائنات التى لا يمكن لعقل ما أن يدركه على ما هو عليه، وإنما بالروح ندركه ونتصل به، وبالروح فقط يحصل الامتزاج ويتم الاندماج وتكون الوحدة . وهنا ترفع عن الاعين غشاوات الباطل وتنكشف سجف الحجب . فعلى الذين يريدون الوصول الى هذا الفردوس المقدس أن يتخلصوا من المادة وأن يضحوا بعقولهم ويحتقروا أجسادهم وينتزعوا الآفات من أنفسهم ، لتعطى لهم فرصة الشعور والعلم الباطنى بالروح الكبيرة . وهذه المعرفة هى التى « تربط نفس الانسان بالكائن الاعظم صاحب النفس الخالصة الحقة » .

ولكى نعطى القارىء فكرة وافية عن ذلك المذهب ننقل له قطعة مما جاء عن أحد كتبهم فى « صوامى فيفيكانا ندا » وهذه هى القطعة بنصها وفصها عن (كتاب حرية الفكر) .

« كيف يبتئس ذلك الذى يرى وحدة الوجود وحدة الحياة ، وحدة كل شىء ؟ ألا إن هذا الانفصال بين الرجل وأخيه ، وبين الرجل والمرأة ، وبين الرجل والطفل ، وبين الأمة والامة، وبين الارض والقمر، وبين القمر والشمس: هذا الانفصال بين الذرة والذرة، هو علة كل الشقاء . وقد قالت الفيداننا : إن هذا الانفصال لا وجود له ولا حقيقة له، إنما هو يبدو على السطح فقط ، أما فى قرارة الاشياء فليس سوى الوحدة، وإذا أنت تغلغلت فى قرارة نفسك وجدت الوحدة بين الانسان والانسان، وبين المرأة والطفل ، وبين العالى والدون، وبين الغنى والفقير ، وبين الآلهة والناس، إنهم كلهم واحد . وإذا ما تعمقت ألفيت الوحدة أيضاً فى الحيوان ومن وصل إلى هنا فقد انقشعت عنه الغشاوة » .

« إذ كيف يغشى على بصيرته ؟ فانه يعرف حقيقة كل شىء وسر كل شىء ، وكيف يناله شقاء ؟ إذ ماذا يرغب وقد وصل إلى قرارة كل شىء حتى الله ؟ ذلك المركز ... تلك الوحدة هذه هى النعمة الأبدية والمعرفة الخالدة والوجود الدائم . ففى هذا المركز وفى هذه الحقيقة لا يمكن أن نحزن على أحد ولا أن نرثى لأحد » .

«وعندما يرى المرء أنه هو الكائن الذى لا يتناهى واحد ،وعندما تنعدم هذه الانفصالات ويندغم الناس والملائكة والحيوان والنبات فى هذه . فعندئذ يزول كل خوف . إذ ماذا نخشى ومم نخاف ؟ هل فى قدرتى أن أقتل نفسى ؟ هل فى قدرتك أن تؤذى نفسك ؟ »

«هنا تزول جميع الأحزان . إذ ماذا يولد الأحزان ؟ فأنا الكائن الواحد وأنا الكائن

الوحيد فى الوجود . وهنا تزول جميع الاحساد ، إذ من أحسد ؟ هل أحسد نفسى ؟ ليس فى الكون كله غيرى أنا . فلننقض إذن على هذا التفريق... على تلك الخرافة التي تقول بتعدد الكائنات » اه

والخلاصة هى أن مذهب البراهمة قائم على وحدة الوجود : وهذا نفسه هو مانجده عند أغلب المتصوفة المسلمين : وعلى رأسهم محي الدين بن العربى الذى يقول :

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي   إذا لم يكن دينى إلي دينه دانى
وقد صار قلبي قابلا كل صورة   فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف   وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنى توجهت   ركائبه فالحب دينى وإيمانى

وهو نفسه القائل :

الرب حق ، والعبـــد حق   ياليت شعرى من المكلف ؟
إن قلت عبد . فذاك ميت   أو قلت رب. أنى يكلف ؟

وكذلك ابن سينا الذى يقول :

وتحسب أنك جرم صغير   وفيك انطوى العالم الاكبر

وغيرهما مما سنعرض لآرائهم عند الكلام عن التصوف فى الاسلام .

والآن فلنأخذ بيد القارىء إلى طائفة أخرى من طوائف الهنود الاقدمين أيضا ، وهم ممن ضربوا فى التصوف بسهم وافر ، اولئك هم البوذية .

البوذية

مذهب البوذية هو بنفسه مذهب البراهمة مع تعديل ليس بالطفيف ، ذلك لأن الأولين يذهبون الى حد التأليه ، أما هؤلاء فيذهبون الى العدمية . و بيان ذلك يعرف مما يأتى — :

ولد لجوتاما زعيم إحدى القبائل الهندية ولد حوالى عام ٥٦٠ ق . م فى مملكة بنبيال، يقولون إن ولادته كانت مسبوقة بعدة معجزات، ومصحوبة بعلامات أثبتت أنه البوذا الخامس والعشرين الذى جاء ليخلص العالم من آفات الشرور ، و يقولون : إنه بعد أن عاش عيشة ترف ، درس مذهب برهما فأثر فى نفسه ، فالتجأ الى الغابات ست سنين يناضل نفسه ليكون فقيرا برهميا. لكنه لما لم يجد فى — إماتة المادة — (وهى لب تعاليم البراهمة) الضياء الكافى المقدس الذى يحلم به — جلس تحت شجرة كبيرة ، فى غسق الليل ، متأملا مستسلماً . واستمر ليلة على تلك الحال ، حتى حلت فيه روح البوذا ، فقام من فوره ينشر تعاليمه التى تلخص فى السعى للوصول إلى

حالة (النيرفانا) أي الاندماج في النفس الاولى. ولا يتم هذا إلا بعد العودة للحياة مرات متعددة (أي التقمص) ولأجل الوصول إلى هذا الاندماج يجب إنكار الذات والتأمل والزهد في الدنيا عنده أن « ١ » الرغبة غير المستكفية تؤلم « ٢ » والرغبة هي أصل الالم « ٣ » ولاستئصال الالم يجب نبذ الرغبة « ٤ » ولأجل منع الالم يجب اتباع الاوسط في كل شيء .

أما نقطة الخلاف الجوهرية بين تعاليم البرهمية والبوذية ، فتنحصر في أن الاخيرة لا تعترف بوجود حياة غير هذه الحياة ، و بعبارة أخرى لا تعترف بخلود النفس . ولو أنها تقول بالتقمص . فكل ما في الامر هو أن الرغبة تنتقل في الحياة الاخرى من شخص إلى آخر مثله ، إن كان سعيداً ، و إلا فمن إنسان الى حيوان أو جماد ، إن كان شقياً .

والآن نود ن نقف بالقارىء عند هذا الحد من شرح أهم المذاهب الهندية خوف الملالة والغموض ، ونختتم هذا الفصل الصغير بذكر كتب الهند المقدسة لنثبت للقارىء أنها كتب صوفية محضة و إليك بيانها .

الكتب المقدسة عند كل الهنود الأقدمين وعند مائتي مليون منهم في هذا العصر الذي نعيش فيه ، هي أربعة كتب تجمعها كلمة (الفيدا) .

١ ـــ الكتاب الاول يطلقون عليه كلمة ـــ الرجفيدا ـــ ومعناها كتاب الاناشيد ، وهي التي تتلى وتنشد وقت اجتماع حلقات الذكر التي يرددون فيها كلمة (أوم) ومعناها باللغة السنسكريتية القديمة (الله) وهذه الاناشيد التي تنشد تشبه ما يحصل عندنا في حفلات الذكر من ترديد كلمة (الله) وتلاوة بعض المواويل .

٢ ـــ الكتاب الثاني يطلقون عليه كلمة ـــ السامافيدا ـــ ومعناها كتاب النغمات والتراتيل وهذه تتلى عند تقديم شراب (السوما) المقدس وتعاطيه للاخوان والاتباع المخلصين ، وهو يشبه ما يحصل عندنا في تلاوة بعض التراتيل عند تقديم شراب القرفة لنفس الاتباع .

٣ ـــ الكتاب الثالث يطلقون عليه كلمة ـــ الياجورفيدا ـــ أي كتاب القرابين ، وهي تتلى عند تقديم القرابين والنذور لمن بلغوا درجة « النيرفانا » أي درجة الكمال المطلق . وهذه تكاد تشبه بعض الأدعية التي تتلى عند تقديم مثل هذه القرابين أو النذور للأولياء الصالحين سواء أكانوا من الأحياء أم الاموات . وخصوصاً « مشايخ الطرق » .

٤ ـــ الكتاب الرابع يطلقون عليه كلمة ـــ الاتارفافيدا ـــ أي كتاب الأوراد والتعازيم والكرامات . وهذه تشبه عندنا كتب الاوراد والتصوف والكشف .

وهناك عدة تذييلات ضربنا صفحا عن ذكرها ونقف بك عند هذا الحد ولعلنا نعود لتفصيل ما أجملناه ؟

عبد العزيز الاسلامبولي

فلسفة اللغة

للأستاذ محمد ثابت الفندى

ليسانسيه فى الفلسفة

اللغة مجموعة من الاشارات ، والاشارة ظاهرة تعبر فى عالم الحس والحركة عما يقع فى عالم النفس من أحوال وخطرات . ومن الاشارات ما هو طبيعى فيصدر عن الحى من غير تعلم أو قصد ويعم أفراد النوع أو الجنس بلا استثناء ، كالبكاء فى النوع الانسانى ، فهو إشارة محسوسة تعبر عن حالة نفسية هى الألم المبرح . ومنها ما هو اصطناعى فيصدر عن الحى بعد تعلم وروية واتفاق مع الغير كاللغة الملفوظة . ومن الاشارات ما هو مبصر ومنها ما هو مسموع ، ومن ثم جاء التصنيف الآتى :

١ — إشارات طبيعية : ا — بصرية (كالرعشة ، أو تورد الخدين ، أو اصفرار الوجه ، أو اشتداد النفس أو إسراع الدورة الدموية أو غير ذلك مما يعبر عن حالات نفسية عاطفية تعبيراً طبيعياً غير مقصود) .

ب — سمعية (كالصيحات الطبيعية التى تصحب الألم أو السرور أو الاندهاش) .

٢ — إشارات اصطناعية : ا — بصرية (كالحركات التى نأتيها بأيدينا وأصابعنا للدلالة على الاشياء . ويلحق هذه الاشارات لغة العمى ، وإشارات السكك الحديدية ، والكتابة وغير ذلك مما يتواضع عليه الناس من الاشارات المبصرة) .

ب — سمعية (كاللغات الملفوظة وهى اللغات الحقيقية) ونحن إنما يهمنا هنا اللغة الاصطناعية وخاصة المؤلفة من إشارات سمعية ، تاركين اللغة الطبيعية الى فرصة أخرى .

فى المجتمعات الابتدائية تلعب الاشارات البصرية دوراً أهم من دور الاشارات السمعية . إذ الألفاظ أقل خطأ فى التفاهم من لغة الحركات بالأيدى والأصابع . وقد ذكر ليفى بروبل فى كتابه « الوظائف العقلية فى المجتمعات المتأخرة » أن الأرامل فى قبائل الوارامونجا Warramunga يصمن عن التكلم بالالفاظ مدى عام كامل بعد موت أزواجهن ويتفاهمن طوال هذه المدة بحركات الأيدى والأصابع وماإليها من الاشارات المبصرة الدالة ، وهن يحذقن تلك الاشارات ويمرن عليها حتى إنه يعسر عليهن أن يتركنها عقب انقضاء العام فيضطررن إلى اتخاذ الحركات لغتهن مدى الحياة .

أما فى المجتمعات الراقية فان لغة الاشارات الحركية كان لا بد أن تنهزم فيها أمام اللغات

السمعية الملفوظة وذلك وفقاً لمبدأ تنازع البقاء الذى يسود الأصلح والأنفع . فحركات الاصابع واليد تكون ممتنعة مستحيلة إذا كانت الايدى مشغولة بأعمال الحياة وحاجاتها كما أن الحركات لا تبصر فى ظلام الليل أو عن بعد كما تسمع الاشارات الملفوظة . أضف الى ذلك أن الحركات مهما كثر عددها وتنوعها فهى دائماً أقل بكثير جداً من المعانى المجردة التى تتزايد على مر الايام فى رأس الانسان . وقد تصل حركة من الحركات فى بلاغة تعبيرها عن حالة نفسية مبلغاً كبيراً ولكنها على الدوام أقل بلاغة من الالفاظ التى تترجم نفس الحالة . هذه الاعتبارات وغيرها هى التى مكنت اللغة الملفوظة من الانتصار على لغة الاشارات الحركية . وهذا الانتصار قديم قدم التاريخ .

وتتناول اللغة الملفوظة من جهات متمايزة جملة علوم . فعلم اللغة Linguistique يتناول اللغات من جهة أنغامها ومخارج حروفها وتسمى هذه الدراسة Phonétique ، ثم من جهة تحديد ألفاظها وتطورها واشتقاق بعضها من بعض وتسمى هذه الدراسة بفقه اللغة Philologie ثم من جهة قواعد نحوها وصرفها وهو موضوع الاجرومية . وعلم الفزيولوجيا يتناول اللغة من حيث هى صوت يصدر عن أعضاء فزيولوجية وظيفتها إخراج الاصوات . وعلم الاجتماع يتناولها من حيث هى ظاهرة اجتماعية لا غنى للمجتمع عنها مهما صغر . وعلم النفس يتناولها من جهة صلتها بالفكر وأصلها ومنبتها متوخياً فى كل ذلك أن يكتشف عن طريقها ناحية من نواحى النفس الانسانية . ونحن هنا نتناولها من الوجهة النفسية .

أما من جهة صلة اللغة بالفكر ، فالصلة وثيقة جداً ، إذ الفكر شرط فيها بحيث لا توجد لغة خالية من التفكير . ولا يعترض هنا بالببغاء ، فان الببغاء لا يتكلم لغة وإنما يخرج أصواتاً خالية من التفكير البتة ، واذا كانت اللغة الملفوظة إنما هى تعبير عن الفكر ، فكذلك يمكن أن تعبر عن نقيض الفكر : فالرجل الكاذب المخادع يستطيع أن ينتقى من الالفاظ ما يستر به نيته وفكره ويظهر به نقيض كذبه وخداعه . ومع ذلك فان النقيض هو فكر أيضا وبذلك يصح أن نقول دائماً ان الفكر شرط فى اللغة ، فاذا خلت منه استوى عواء الكلاب ونقيق الضفادع ولغة الانسان .

والفكر يعبر عن نفسه بالجمل الطويلة أكثر من تعبيره بعدد من الالفاظ مطابق لعدد المعانى التى فى الفكر . لذلك يقول Vendryes إن الجملة هى العنصر الأساسى فى اللغة اذ لا يوجد من المعانى بقدر ما يوجد من الالفاظ فى الجملة الواحدة ، فأنا اذا قلت : الطفل الصغير يجرى وسط الحديقة . فانا أعبر بخمسة ألفاظ عن ثلاث معان فقط هى : الطفل الصغير + يجرى + وسط الحديقة .

وللغة فضل كبير فى تعرف الخصائص النفسية لكل أمة أمة ، فهى مرآة تنعكس فيها صور

وألوان من الحياة النفسية . ولقد ذهب Challaye إلى أن اللغة الفرنسية لغة أمة تنزع إلى الجلاء والوضوح فى الفكر (ولربما كان هذا سر سهولتها) محبة إلى السخرية والنقد وخاصة نقد التقاليد والنظم القديمة : فلفظ Crétin أى أبله مشتق من لفظ Chrétien أى مسيحى وفى ذلك ما فيه من التقريع والتعريض برجل الدين . واللغة الانجليزية لغة أمة تنزع إلى العمل وتقدس المعانى الخلقية أيما تقديس ، فلفظ Exciting الذى يتعذر ترجمته إلى أية لغة أخرى إنما يعبر عن انفعال يبعث على العمل والصراع ، ولفظ Girl أى صبية أو فتاة بكر يستعمله الانجليز دائما فى هذا المعنى الخلقى ، بينما فى فرنسا أفسد الاستعمال الفاظ Fille, Donzelle, Garce كانت تدل على البكورة فصارت تدل على الفتاة الساقطة ففقدت بذلك معانيها الخلقية الجميلة. وبعض عبارات الصينيين واليابانيين تدل على سجية متواضعة رقيقة مهذبة . فاليابانى عند ما يطلب من زميل له شايا أو أرزاً يقول : تنازلوا فأعطونى الشاى المحترم — الأرز المحترم . فماذا تكون خصائص الامة المصرية ياترى ؟ علمي علمك أيها القارىء .

وإذا كان لكل أمة لغة تدل على خصائصها النفسية فكذلك لكل فرد لغته الخاصة الدالة على مميزاته النفسية . فامتداد عدد الالفاظ التى يعرفها شخص ما ، يدل على مدى ثقافته ومعرفته قال داروين : ليس بينى وبين الزنجى المتوحش فرق فى العقل وإنما الفرق كله فى عدد الالفاظ . ثم إن طريقة الشخص فى كتابته ومنهجه فى ترتيب عباراته وإكثاره أو إقلاله من العبارات الاستفهامية أو التعجبية أو الخبرية المجردة إنما تميط اللثام عن اتجاهاته وميوله ، فالاسلوب دائما طريق موفق لدراسة الشخصيات ، وفى ذلك قال بوفون Buffon « الاسلوب هو الشخص عينه » ، ومن ثم جاء تقدير علم النفس الحديث للتحليل والنقد الادبى . ثم إن منطق الشخص ووضاحة ذهنه أو غموضه ، وهدوء نفسه أو ثورتها ، وضعف شخصيته أو قوتها ، وشعوره بالجمال والخير والحق أو عدمه ، وتفاؤله أو تشاؤمه ، كل ذلك تترجمه ألفاظه وتحكيه عباراته ولو يصرح بشىء من ذلك كله .

وللألفاظ حياة تعرض لدراستها دارمستتر Darmesteter فى كتابه الموسوم « حياة الالفاظ » والحقيقة أن الالفاظ تولد كما يولد الحى ، وفى اللغة العربية عشرات من الالفاظ التى ولدت حديثاً لمجاراة العلوم الحديثة ، ثم هى تتطور فيتغير المعنى كما تتغير أحيانا الصورة ، فلفظ الصلاة كان يدل فى الجاهلية على مجرد الدعاء فصار فى الاسلام دالا على شعائر دينية معينة ،

ثم هي تموت كما ماتت مئات من الالفاظ كانت تستعمل في الجاهلية ، ثم ندر استعمالها في الاسلام ، ثم توارت الآن في بطون الكتب لا يفكر في إحيائها حي ومثل ذلك تلك المترادفات الدالة على الجمل أو الأسد أو السيف أو غير ذلك . وأرجو أن لا يفهم من « الموت » أنها سقطت من القواميس ، فالمعاجم العربية مازالت مثقلة بما لاغنى فيه خالية عما لاغنى عنه .

و إذا كان الفكر — كما أسلفنا — شرطا في اللغة ، فكذلك اللغة شرط في الفكر، لا يستغني عنها الفكر الواضح الجلي المقيد المفهوم ، فاللغة تؤثر فيه كما تتأثر به : فبفضل اللغة وحدها — ملفوظة كانت أو مكتوبة — يمكن للفرد أن يشارك المجتمع في ثقافته و ينطبع بطابعه ، كما يستطيع أن يشارك أيضاً ماضي الآباء والاجداد في ثقافاتهم . اذ اللفظ الواحد إنما هو تلخيص لتجارب الآباء واختصار لعصارة أذهان الاجداد . والانسان في الحقيقة يبدأ يفكر منذ أن يبدأ يتكلم . وفكر الفرد يكون أسرع ارتقاء وأكثر نمواً إذا نبت الفرد في مجتمع لغته أكثر ارتقاء وأوسع عددا في الالفاظ وأدق تعابير عن الاشياء . و يقوم على هذه الظاهرة بعض مقاييس الذكاء في علم التربية فيقاس ذكاء الاطفال بامتداد قواميسهم اللغوية أي بمقدار ثروتهم في الالفاظ . كل هذه أدلة على احتياج الفكر للغة . ولقد ذهب لويس دو بونالد De Bonald الى انه لا يوجد فكر بدون لغة ويلخص نظريته في صلة اللغة بالفكر عبارته المشهورة وهي : « الانسان يفكر كلامه قبل أن يتكلم فكره » فالفكر دائما هو كلام باطني Parole intérieure صامت . وفي هذه النظرية مبالغة في تصوير لزوم اللغة للفكر إذ مهما يكن احتياج الفكر للغة فانه يحدث كثيراً أن الانسان يتذكر الاشياء أو يتخيلها أو يتصور معانيها من غير استعانة باللغة ، كذلك كثيراً ما تجول برأس الفرد فكرة ما ، ثم هو لا يجد اللفظ الذي يؤديها و ينقلها إلى الخارج ، وهذا إن دل على شيء فانما يدل على أنه يمكن أن يوجد فكر بدون لغة على عكس ما يذهب اليه دو بونالد ، إلا أنه في الحقيقة يظل فكراً غامضاً غير مقيد ولا مفهوم . واذا كان الفكر يستغني أحيانا عن اللغة فهو غالباً ما يحتاج اليها بحيث يصح قول دو بونالد : إن الفكر كلام باطني ، فكل تفكير هادئ، إنما هو حديث للنفس مع النفس تتتابع فيه الجمل بالفاظها واحدة فواحدة كما تتتابع في الكلام الظاهري المنطوق ، و يصحب تتابعها في الغالب حركات في حلقات الحلق واطراف اللسان بل وفي الشفاه ، و يتفق أحيانا أن ينطق الانسان ببعض هذه الجمل بصوت خافت ولكنه مع ذلك بين مسموع ، و يمكن لكل منا أن يشاهد هذا الكلام الباطني في نفسه أو في غيره في أوقات التفكير ، فاللغة على كل حال شرط للفكر الواضح الجلي م؟

(للبحث بقية) محمد ثابت الفندي

أدين جديد ؟

أم ماذا يراد بالاسلام ؟

(رد على مقال الدكتور زكي مبارك بعنوان: التصوف فى الاسلام)

طالعتنا مجلة «المعرفة» الغراء بمقال أو بكلمة على الأصح بقلم الدكتور زكى مبارك فى جزئها الرابع الصادر فى شهر أغسطس سنة ١٩٣١ عنوانها «التصوف فى الاسلام»

والتصوف هو من أهم المبادىء التى تبحث فيها المجلة بحثاً علمياً بعيداً عن التأثر بالآراء التى لا تقوم عليها الأدلة القاطعة ، وهذا ما عرفناه عن صاحبها الذى تخصص لدراسته .

لذلك ولما نعلمه عن الدكتور زكى مبارك من أنه لا يكتب عن هوى ولا يصدر إلا عن عقيدة، ولكثرة ما عالج فى هذا الباب على الأخص كما يعلمه كل من اطلع على مؤلفه «الاخلاق عند الغزالى» فقد طالعنا كلمته بتلهف وشوق ، فاذا به يقف بين الحيرة والتردد حتى أشكل علينا الأمر وكدنا نتهم أنفسنا بعقم الفهم .

ذلك بأنا وجدنا أنفسنا بين جملة متناقضات وأضداد . فمبدأ المجلة أو بعبارة أصرح مبدأ صاحب المجلة ، لا يتفق وهذه الكلمة فى كثير أو قليل، ولا يؤاخذنا صديقنا المفضال الأستاذ عبد العزيز افندى الاسلامبولى، إذا وجهنا نقداً له فنحن فى سبيل البحث العلمى السليم ولسنا نقصد إعناته فى شىء . وإنما نأخذ عليه بحق محاباة صديقه الأستاذ الدكتور زكى مبارك ومجاملته فى عدم التعليق على كلمته بشىء مطلقاً ، وقد كانت أولى بتمحيصها بقلمه لمخالفتها فى أكثر من نقطة لما يعتقده . لذلك نكرر له أن لا يؤاخذنا إذا ما اتهمناه بالتواطؤ مع الدكتور فى نشره تلك الكلمة بغير تعليق . وكفى بذلك جناية على العلم ومبدئه بنوع خاص .

إن المطلع على تلك الكلمة يدهشه جداً وجداً يدهشه (ولو كره الدكتور استعارة ألفاظ أستاذه) أن يجدها بعيدة عن الاستقراء معكوسة المنطق ، وهل لا يدهش حقاً من يرى بعض النتائج تخالف مقدماتها ؟ وممن ؟ من الدكتور زكى مبارك !

إننا لا نغالى اذا ما قررنا بأن تلك الكلمة إن هى إلا مجموعة أفكار وآراء يناقض بعضها البعض، ويشكل بعضها البعض، وتنتهى «بلا شىء» ولا يؤاخذنا الدكتور فى ركاكة التعبير فان حيرته وتردده شفيعان لنا فى ذلك .

وهذا التناقض الغريب الذى لا ضابط له ، البعيد عن الاستقراء والمنطق ، هو ما نأخذه على الدكتور فى غير هوادة ولا لين .

لقد بدأ كلمته بقوله : « أكتب هذه الكلمة وأنا متردد حيران » وكيف للمتردد الحيران أن يظهر على جمهرة القراء بشىء يوثق به أو يركن اليه ؟ كفى بهذا الاستهلال هادما لكلمة الدكتور من ألفها إلى يائها . يقول بعد ذلك « لأنى مشفق على الاسلام من الافراط فى المقترحات »

ونحن نوافقه على شفقته ، ولكن هل من سبب أقوى فى تأخير المسلمين وإبعادهم عن روح الاسلام من كثرة المقترحات الدخيلة مثل ما أتانا به اليوم الدكتور زكى مبارك الذى يقرر « بأن التصوف ضرورى للاسلام كضرورة الكثلكة فى المسيحية؟ » .

ويقول فى موضع آخر : « إن هذه الكلمة تخالف بعض الشىء ما جاء فى كتاب « الاخلاق عند الغزالى » من مهاجمة غلاة الصوفية . لاسيما وانى قررت بأن التصوف ليس فى جملته مما تدعو اليه الشريعة الاسلامية ، وإنما هو مزيج من عدة مذاهب هندية ، وفارسية ، ويونانية ، نقلت الى المسلمين وصادفت هوى فى نفوس الزاهدين منهم ، فوسموها باسم الدين ووضعوا لها على حسابه القواعد والأصول ، ثم قضيت بما نصه : ويمكن الحكم بأن ما فى التصوف من الدعوة إلى طهارة الباطن وحب الخير وبغض الشر وما إلى ذلك مما يتعلق بخلوص النفس البشرية من خبيث الصفات — يرجع فى جوهره إلى روح الاسلام . أما ما يختص بقطع العلائق مع الناس والتزهيد فى الحياة فهو بعيد عن روح الدين ، لأن الاسلام دين فتح وسيطرة ، وهو يعد معتنقيه لأن يكونوا سادة بخلاف التصوف فانه يلبس أصحابه روح العبيد » فماذا يرى اليوم ؟ إنه يقول : « وأنا اليوم أعتقد أن التصوف ضرورى للاسلام ، وقد صارحت محرر « المعرفة » بذلك ، فصاح : زكى مبارك يرد على زكى مبارك » ثم يقول بعد ذلك : « ويظهر أنه لم يكن يسرنى أن أنقض اليوم ما قررت بالأمس لهذا عدت الى كتاب « الأخلاق عند الغزالى » فرأيت أنى لم أسىء الى التصوف ، وإنما هاجمت الشعوذة التى يحيا بها المخبولون على حساب الدين . »

فكيف يتفق قوله بأنه حينما عاد الى كتاب الأخلاق عند الغزالى لم ير أنه أساء فيه الى التصوف بينما قرر هناك « بأن الاسلام يعد معتنقيه لأن يكونوا سادة بخلاف التصوف فانه يلبس أصحابه روح العبيد » ؟

أليس فى هذا أكبر الاساءة إلى التصوف ؟ أليست هذه مغالطة فاحشة يؤلمنا أن نقرأها

يقم الدكتور زكى مبارك الذى قهر علماء الغرب فى موطنهم كما يزعمون ؟ وهل يتفق ذلك، المبدأ الذى يلبس أصحابه روح العبيد مع ما يدعو اليه اليوم من أن التصوف ضرورى للاسلام، كضرورة الكثلكة فى المسيحية ؟ . الاسلام الذى يعد معتنقيه لأن يكونوا سادة لا عبيد أذلاء ؟

لقد أسأت يا دكتور : إما إلى التصوف الذى تدعو اليه اليوم و إما إلى الاسلام. فأى الرأيين نأخذ عليك ؟ تلك مسألة نترك شرحها اليه حيث يقول « لقد شاع منذ أزمان بأن الاسلام دين ساذج بسيط تكفى فيه كلمة التوحيد . وأنا أرى اليوم أن بساطة الاسلام كما كانت سبب انتشاره، ستكون من أسباب ضعفه . وهذه حقيقة مؤلمة و إلى القارىء شرحها : لو تقدم اثنان من الدعاة فى أمة وثنية أحدهما يبشر بالاسلام الخالص و الآخر يبشر بالاسلام ممزوجاً بالتصوف، لكان الفوز للثانى بلا جدال . ذلك بأن المبشر بالاسلام الخالص يلقى كلمة التوحيد وطائفة من التعاليم المجردة ثم ينصرف . أما المبشر بالاسلام المتصوف فيضيف إلى العقيدة ألواناً كثيرة من التعاليم والعبادات تنتهى بجذب المهتدى إلى الدين الجديد وفى رأيى أن التصوف فى الاسلام يقوم بنفس المهمة التى تقوم بها الكثلكة فى المسيحية » يريد الدكتور أن يفهمنا بهذا المثل أن الدعوة إلى الشىء المركب أضمن فى النتيجة من الدعوة إلى الشىء البسيط وأن الدعوة إلى الاسلام ممزوجاً بالتصوف لا بد آتية بجذب المدعو إلى الدين الجديد . فهل هذا صحيح ؟ وهو يعلم بأن التصوف دخيل على الاسلام منذ القرن الثالث الهجرى و يقرر فى شأنه « بأنه مجموعة مذاهب هندية وفارسية و يونانية »(١). فاذا كان التصوف ضروريا للاسلام كما يرى الدكتور اليوم فأين كانت تلك الفكرة من صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم الذى خاطبه ربه جل شانه بقوله « أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » وقوله فى آية أخرى « إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء » لقد غفلت يا دكتور فى ذكر الدعوة المجردة عن قوله تعالى « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتى هي أحسن »

إن الله جلت حكمته أعلم بطبيعة البشر، فلم يطالبهم بأن يكونوا مؤمنين حقيقيين دفعة واحدة ، كما أنه حدد الدعوة الى ذلك الدين البسيط ، ولم يكلف صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم بأن يمزجها بالتصوف «وهو مجموعة مذاهب هندية وفارسية و يونانية» .

---

(١) يظن كثيرون أن المصادر التى أخذ منها التصوف الاسلامى ترجع الى تلك المصادر فحسب ، وقد نسوا أن للتصوف الصينى أثراً جليا فى الموضوع ، وقد كتبنا عنه وسنعود الى نشره فى العدد المقبل.

المحرر

والدكتور يعلم أن واضعى تلك المبادىء ممن ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً . يتبين ذلك من قول الله تعالى « قالت الأعراب آمنا ، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا، ولما يدخل الايمان فى قلوبكم، وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئاً ، إن الله غفور رحيم »

هل نستطيع أن نأخذ على الدكتور بأنه كان من الواجب عليه قبل أن يفجئنا بكلمته أن يرجع إلى القرآن فيتدبره ليكون خيرا له من رجوعه إلى كتاب «الأخلاق عند الغزالى» ووقوعه في تلك المتناقضات التى لا حد لها ؟

ألا يوافقنا الدكتور على أن المطلع على قوله « وأنا أرى اليوم أن التصوف ضرورى للاسلام كضرورة الكثلكة للمسيحية يستشعر نقصاً فى الاسلام جاء الدكتور يتممه فى القرن الرابع عشر الهجرى ؟ ألم يعلم بأن الله تعالى قال فى محكم آياته « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً » وقوله « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » أرشدنا أرشدك الله إلى ما تدعو اليه صراحة واشرح لنا موقف الكثلكة من المسيحية وما تقوم به . حتى نستطيع أن نتبين رأيك وحتى لا تكون سبباً بشقفتك المزعومة وحنانك الموهوم فى إبعادنا عن روح الدين البسيط وهداه « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة »

إننا لا نتهمك فى دينك أو عقيدتك، ونحن نعلم أنك كتبت ما كتبت عن عقيدة كما ذكرت لنا . ولكننا من ناحية أخرى نعترف لك بأنك كنت غير موفق فى إظهار عقيدتك الى ما تدعو اليه، وهذا ما أوقعنا فى حيرتك وترددك .

وبعد فانا نسر اليك بكلمة فى غير محاباة أو مجاملة : إذا كنت تقصد بكلمتك هذه فريقا من الناس، أو تبغى علواً فى الأرض، فلك شأنك. على شرط أن لا يكون على حساب الدين .

والله من ورائك محيط !!؟ فاضل حسن مسعود

« المعرفة » لقد نشرنا رد حضرة الفاضل عملا بحرية الرأى التى ننادى بها ونعمل على احترامها ما استطعنا الى ذلك سبيلا ، وما أظننى كنت فى حاجة للرد على الدكتور زكى مبارك فى كلمته بعد أن اعترف فى أولها بأنه « متردد حيران » ولست ممن يودون استغلال موقف حيرة وتردد كهذا . وقد كتبت فى هذا الموضوع كثيرا من المقالات، التى لا أرى مبررا لاعادة نشرها إلا لضرورة قصوى .

المنابر فى الاسلام (*)
وسبب اتخاذها فى الجوامع

للعالم الأثرى الأستاذ يوسف أحمد

مفتش الآثار العربية

— ١ —



للآثار العربية شان لا ينكر ، وأثر فى مختلف الثقافات من دينية وعلمية وفنية لا يجحد ، ولذا يتطلب بحثها دقة فى الفن ، وسعة فى الاطلاع ، مما لا يتوفر للكثيرين ، والاستاذ يوسف أحمد علم من أعلام الآثار المبرزين ، وممن لهم قدم ثابتة فى هذا الفن ، مما جعل الحكومات الاجنبية مثل فرنسا وايطاليا تقدرله جهوده فى هذه السبيل فأهدته بعض نياشينها ، وقد تفضل بهذا البحث الذى يراه القراء بعد وكم

المحرر

(١) كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب الى جذع نخلة بالمسجد ، وكان هذا الجذع عموداً من عمد المسجد ، إذ كانت عمده من خشب النخيل كسقفه ، وكان إذا خطب فأطال القيام وشق عليه قيامه ، استند فاتكأ عليه .

فبصر به مرة رجل كان ورد المدينة ، وقد رأى منابر الكنائس بالشام ، فقال لمن يليه من الناس : « لو أعلم أن محمدا يحمدنى فى شيء يرفق به لصنعت له مجلسا يقوم عليه ، فان شاء جلس ما شاء ، وإن شاء قام »

(*) سمي منبراً لارتفاعه وعلوه ، ويقال انتبر الامير أي ارتفع فوق المنبر ، وكل مرتفع منتبر ، وعلى ذلك فلا يسمى المنبر الذى صنع للنبى منبرا الا تساهلا ، لأنه قليل الارتفاع .

فبلغ ذلك النبي فقال : ايتونى به ، فأمره فصنع له منبراً ذا ثلاث درجات . فوجد النبي فى ذلك راحة . وكان ذلك فى سنة سبع كما جزم به ابن سعد أو سنة ثمان كما جزم به ابن النجار .

وقد اختلف فى اسم هذا الرجل فقيل: تميم الدارى وقيل : باقوم الرومى الذى بنى الكعبة لقريش وقيل : ميمون الخ .

(٢) كان ارتفاع هذا المنبر ذراعين وثلاثة أصابع ، وعرضه ذراعا راجحا ، وارتفاع رمانتيه اللتين كان يمسكهما بيديه الكريمتين إذا جلس شبرا وأصبعين. وفيه خمسة أعواد من جوانبه الثلاثة ، وله ثلاث درجات ، وكان من خشب طرفاء الغابة ، وقيل من الأثل وهو الأصح من أقوال عشرة .

(٣) وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقعد على علياهن ويضع رجليه الكريمتين فى وسطاهن .

فلما ولى أبو بكر الصديق رضى الله عنه قعد على وسطاهن تأدبا،وجعل رجليه على أولاهن. فلما ولى عمر رضي الله عنه جلس على أولاهن وجعل رجليه على الارض .

وفعل ذلك عثمان رضى الله عنه صدرا من خلافته قدره ست سنوات . ثم ترقى الى الثالثة ، فانتقده بعض الصحابة ، واستحسن ذلك بعض الحاضرين وقال مامعناه : رحم الله أمير المؤمنين : لولم يفعل ذلك لأتى على المسلمين زمن يخطب فيهم الأمير فى بئر ...

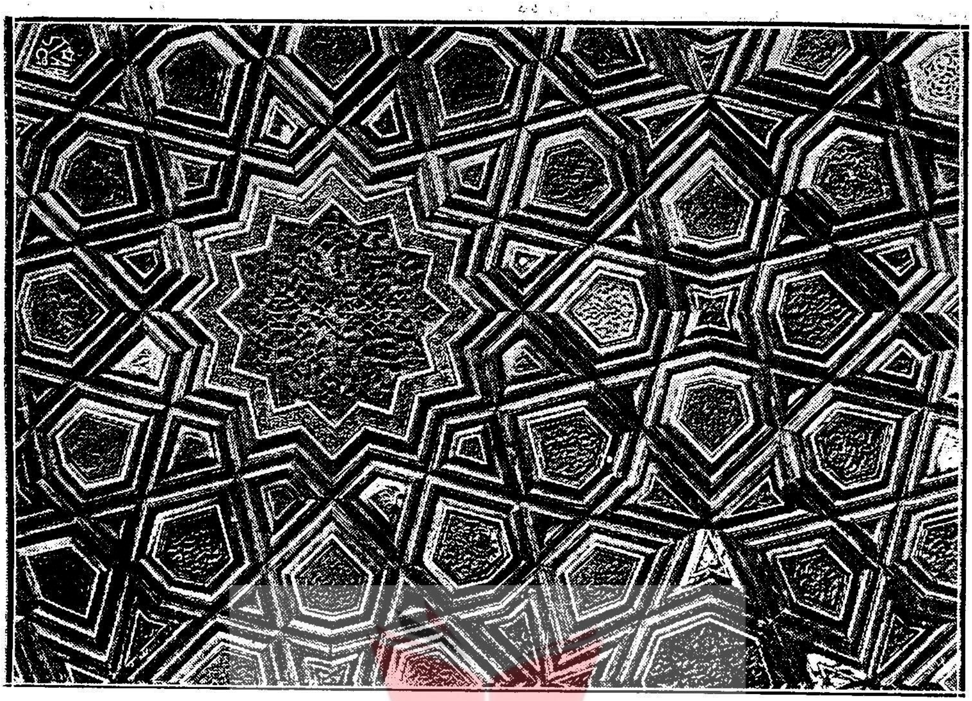
(٤) وقال سهل بن سعد الساعدى : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، صلى عليها (أى على الدرجة الثالثة من المنبر) وكبر وهو عليها ، ثم ركع وهو عليها ، ثم نزل القهقرى فسجد فى أصل المنبر ، ثم عاد ، فلما فرغ أقبل على الناس فقال : أيها الناس — إنما صنعت هذا لتأتموا بى ولتعلموا صلاتى .

(٥) بقى هذا المنبر الى أيام معاوية ، فأراد نقله الى الشام ، فضج المسلمون . فلما رأي ذلك كتب الى « مروان » عامله على المدينة المنورة : أن ارفعه عن الارض . (صيانة له)

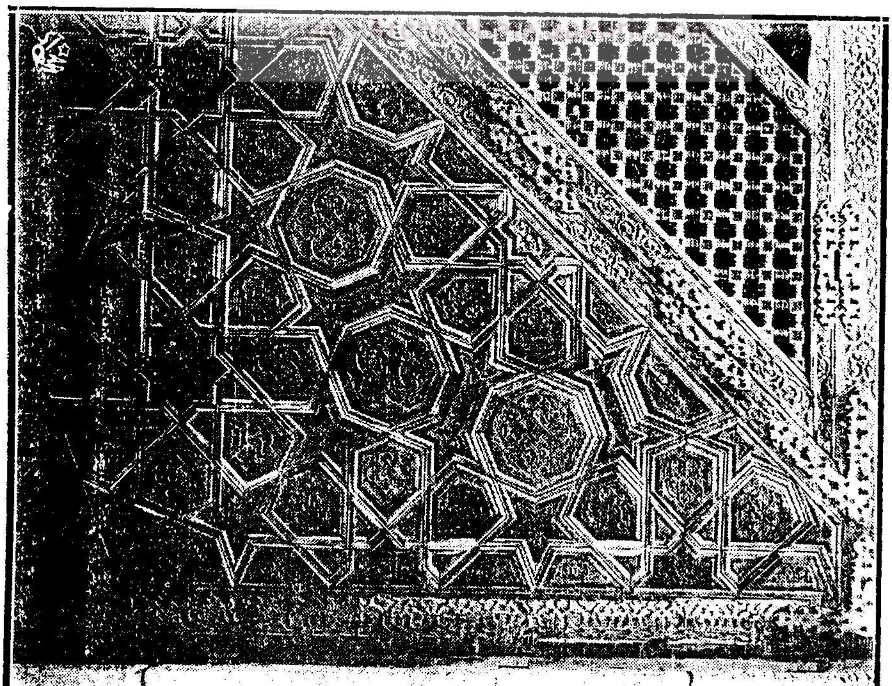
فزاد من أسفله ست درجات و رفعه عليها ، فصار له تسع درجات بالمجلس . وصار طوله أربعة أذرع وشبرا .

(٦) ولما حج المهدى بن المنصور العباسى سنة ١٦١ أراد أن يعيده الى ما كان عليه ، فأشار عليه الامام مالك بتركه خشية التهافت (التآكل) فتركه .

ويقال إن المنبر الذى صنعه معاوية ، تهافت على طول الزمان . وجدده بعض خلفاء بنى العباس واتخذ من بقايا أعواد منبر النبي أمشاطا للتبرك .



(صورة رقم (١) : تفاصيل من منبر مسجد الصالح طلائع)



(صورة رقم (٢) : تفاصيل من منبر مسجد ابن طولون)

ثم احترق هذا المنبر لما احترق المسجد فى شهر رمضان سنة ٦٥٤ أيام المستعصم بالله . وشغل المستعصم عن عمارته بقتال التتار ، فعمل المظفر صاحب اليمن منبراً و بعث به الى المدينة سنة ٦٥٦ فنصب فى موضع منبر النبي . فبقى الى سنة ٦٦٦ فأرسل الظاهر بيبرس البندقدارى ملك مصر منبرا ، فأزيل ذاك و وضع هذا محله ، وطوله أربعة أذرع ، وعلوه سبعة وكسر ، ودرجاته سبع بالمقعد .

(٧) وفى العقد الفريد لابن عبد ربه : إن منبر المسجد النبوى سبع درجات ، وسمر فى أعلاها لوح لئلا يجلس أحد على الدرجة التي كان يجلس عليها النبى ، وهو مختصر ليس فيه من النقوش ودقة العمل ما فى منابر زمننا الآن .

(٨) وكان بمكة منبر آخر أوجده معاوية بن أبى سفيان ، حين قدم من الشام وصنعه على مثال منبر النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة .

وقد كان النبى والخلفاء الاربعة وولاتهم يخطبون يوم الجمعة على أرجلهم قياما فى وجه الكعبة وفى الحجر الشريف .

* * *

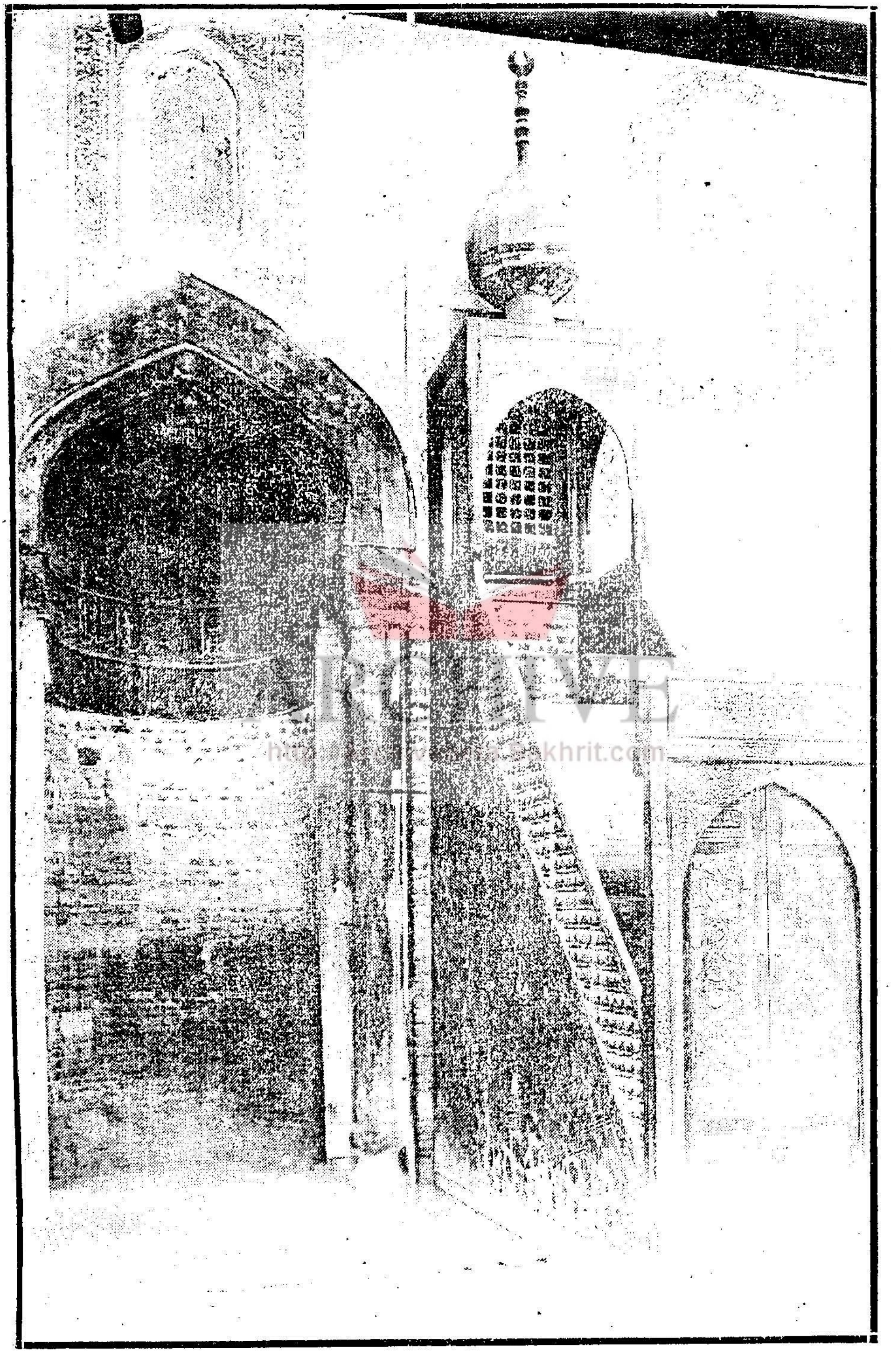
ولنتكلم الآن على منبر أول جامع بنى بمصر فى العصر الاسلامى وهو جامع عمرو بن العاص بمدينة الفسطاط .

(٩) لما بنى عمرو جامعه اتخذ له منبرا من خشب ، فكتب اليه عمر بن الخطاب يقول : « أما بعد ، فانه بلغنى أنك اتخذت منبرا ترقى به على رقاب المسلمين — أما حسبك أن تقوم قائما والمسلمون تحت عقبيك ؟ فعزمت عليك إلا ما كسرته . » فكسره . وقد كان هذا المنبر ثانى المنابر فى التاريخ الاسلامى .

بعد ذلك وجد منبر خشب في الجامع . قيل إن عمرا جعله فيه بعد وفاة عمر .

ويؤيد هذا ما ورد عن بجير بن زاخر قال : رحت أنا ووالدى الي صلاة الجمعة تهجيرا فأطلنا الركوع ، إذ أقبل رجال بأيديهم السياط يزجرون الناس ، فذعرت . فقلت : يا أبتى من هؤلاء ؟ فقال : يابني : هؤلاء الشرط . فأقام المؤذنون الصلاة فقام عمرو على المنبر ، فرأيت رجلا ربعة قصير القامة — الخ — راجع المقريزى صفحة ٢٦٠ ج ٢ .

وقيل هو منبر عبد العزيز بن مروان ، الذى ولى على مصر سنة ٦٥ ومات سنة ٨٦ ، وذكر أنه حمل اليه من بعض كنائس مصر .



(صورة رقم (٣) : منبر مسجد الصالح طلائع)

وقيل إن زكريا ملك النوبة أهداه الى عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، الذي ولى على مصر سنة ٢٤ ، وبعث معه نجاره المسمى بقطر من أهل دندره فركبه .

ولم يزل هذا المنبر في الجامع حتى زاد فيه قرة بن شريك في سنة ٩٤ ، فعمل منبرا سواه. واستمر هذا المنبر حتي قلع وكسر في أيام العزيز بالله الفاطمي سنة ٣٧٩ ، وجعل مكانه منبر مذهب .

ثم أخرج هذا المنبر الى الاسكندرية وجعل بجامع عمرو فيها ، واستعيض عنه في جامع مصر بالمنبر الكبير في سنة ٤٠٥ أيام الحاكم بأمر الله الفاطمي . وفي هذه السنة وجد هذا المنبر الجديد ملطخاً بالعذرة ، فوكل به من يحفظه ، وعمل له غشاء من أدم مذهب .

أما المنبر الحالي الموجود الآن بالجامع فحديث الصناعة ، وربما كان من زمن الأمير مراد بك الذي جدد الجامع سنة ١٢٢١

(١٠) أما في قرى مصر فلم يكن يخطب فيها إلا على العصى بجانب القبلة ، إلى أن ولي عبد الملك بن موسى بن نصير اللخمي من قبل مروان بن محمد الأموي ، فأمر باتخاذ المنابر في الارياف سنة ١٣٢ ﻫ

(١١) واستمرت المنابر في القرى والامصار بحجم أكبر مما كانت عليه زمن النبي صلى الله عليه وسلم، حتى أمر المهدي محمد بن أبي جعفر المنصور بتصغيرها وجعلها بقدر منبر النبي ،وذلك في سنة ١٦١ ثم رجعت بعد ذلك الى الكبر..

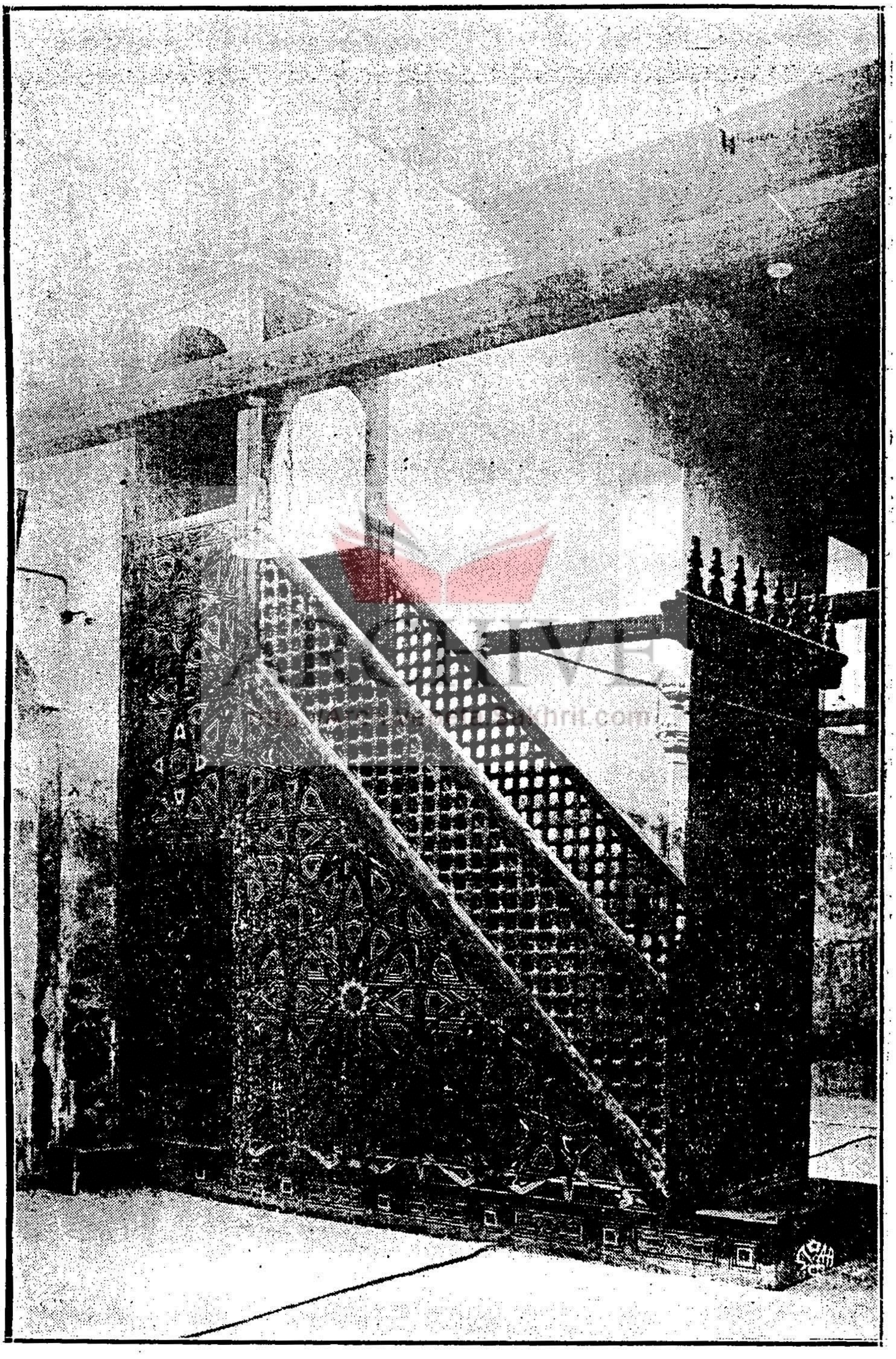
(١٢) والمنابر الكبيرة بدعة من جملة ما أحدث في المساجد، تأخذ حيزا كبيرا في المسجد وتقطع الصفوف ، والمسجد وقف على المصلين .

قال الامام أبو طالب المكي في كتابه : إن تقدمة الصفوف إلى فناء المنبر بدعة. وكان الامام الثوري يقول : إن الصف الاول هو الخارج بين يدي المنبر . وقال ابن الحاج في مدخله : « وأما بلاد المغرب فقد سلموا من تقطيع الصفوف ، لكن بقيت عندهم بدعتان : إحداها كبر المنبر على ماهو بمصر . والثانية أنهم ينقلون المنبر إلى بيت إذا فرغ الخطيب من الخطبة . »

ولا بد أن تكون للمنابر إذ ذاك عجلات حتى يسهل نقلها عقب الخطبة .

ومنبر السنة كان ثلاث درجات ، وهي لاتشغل مواضع المصلين فان قال قائل : بل تشغل ولو موضعا واحدا . قلنا إن هذا مستثنى بفعل النبي صلى الله عليه وسلم .

وإن قيل : ربما كثر الناس واتسع الجامع، فاذا صعد الخطيب على المنبر ذي الثلاث درجات



(صورة رقم (٤) : منبر مسجد أرغون شاه الاسماعيلي)

قل أن يسمع الخطبة الجميع أو أكثرهم . قلنا : إن من كان على منبر عال هو الذى لا يسمعهم لكونه بعيدا عن مستواهم ، فكأنه فى سطح وحده ، لا يسمع من تحته ، وهذا مشاهد .

ومن الحقائق الثابتة فى علم الصوت أنه كلما بعد الانسان عن مصدر صوت كلما قلت شدة ذلك الصوت وقل سماعه . على أن هذه الشدة تتوقف على عوامل أخرى كالرياح والرنين والصدى ولكننا نترك الكلام على هذه العوامل ، ونعتبر فقط بعد السامع عن مصدر الصوت ، فاذا اخترنا مصليا فى نقطة ما من فناء الجامع تبعد عن خطيب مرتق منبرا ذا ثلاث درجات بقدر عشرين مترا ، فان مسافة هذه النقطة تكبر ، كلما علا الخطيب على الدرج . وعلى ذلك تقل شدة الصوت في تلك النقطة من الجامع ، فيقل سماع المصلى لكلمات الخطيب .

ومع ذلك فلا بأس من أن يرتقى الخطيب منبراً قصيراً درجاته أكثر من ثلاث ليراه المصلون جميعاً ، فتتبين لهم حركاته وسكناته بوضوح أثناء الخطبة . فالارتفاع القليل لا يؤثر كثيراً فى شدة الصوت .

(١٣) وقد كانت المنابر فى القرون الاولى الاسلامية يجعل تحت درجها قنطرة يصلى فيها المصلون حتى لا ينقطع الصف . قال البشارى فى كتابه «أحسن التقاسيم» الذى فرغ من تأليفه قبل سنة ٣٧٥ هجرية أثناء التكلم على بلدة زبيد ، قصبة تهامة :

« إن الجامع ناء عن الاسواق ، نظيف مبيض الارض تحت المنبر تقوير ليتصل الصف »

ثم عملت المنابر فى العصر الفاطمى ومابعده سداً بدون نافذتين فى الجانبين ، كما يشاهد فى منبر الجامع العمرى بقوص ، وهو الذى أنشأه الملك الصالح طلائع ، وزير الخليفة الفائز عيسى الفاطمى سنة ٥٥٠ الهجرية — انظر صورة جزء منه رقم (١) ص ٦٥٩

وفى منبر الجامع الطولونى الذى أنشأه السلطان حسام الدين لاجين المنصورى سنة ٦٩٦ كما يتضح من الصورة رقم (٢) ص ٦٥٩

وفى منبر مسجد الصالح طلائع ، الكائن تجاه باب زويلة بالقاهرة ، الذى أنشأه الأمير بكتمر الجوكندار سنة ٦٩٩ — كما يتضح من الصورة رقم (٣) ص ٦٦١

وفى منبر مسجد أرغون شاه الاسماعيلى المنشأ سنة ٧٤٨ ، فان تصميمه عمل فى الأصل بدون بابين ، ثم رؤى أثناء العمل أو بعده بقليل ضرورة وجود البابين ، ففتحا فيه كما يرى فى الشكل رقم (٤) ص ٦٦٣ ، وهو من أشغال النجارة الدقيقة .

وفي منبر جامع الماردانى الذى أنشىء سنة ٧٤٠ كما يظهر فى الصورة رقم (٥) ص ٦٦٥

(البقية على صفحة ٦٦٨)



(صورة رقم (٥) : منبر مسجد المارداني)

العلم والمباحث النفسية

على ذكر مؤتمر أمستردام

للأستاذ الجليل محمد بك فريد وجدى

يعنى العلم بالمباحث النفسية منذ نحو خمس وثمانين سنة ، والعلم متى عنى بشيء لم يتركه حتى يبلغ غاية المدى منه ، وحتى لا يدع فى نفس مستطلع حاجة إلى المزيد .

والذى يحفزنا اليوم إلى العود الى هذا الموضوع ، ماقرأناه فى تلغرافات المقطم الخاصة فى عدد يوم الخميس ١٠ سبتمبر الجارى . وهو أن مؤتمراً روحانياً يعقد الآن فى أمستردام عاصمة هولاندا وقد عرضت فيه ١٤٠ صورة من تصوير أرواح المصورين الذين ماتوا ، وقد توصلوا الى عملها بالاستيلاء على أيدى الوسطاء فى جلسات التحضير .

ليس هذا أول مؤتمر أقيم للبحث فى المسائل النفسية على وجه عالمى ، ولكن سبقه عدة مؤتمرات كان أولها سنة ١٩٠٠ فى باريس ، وقد حضره ألوف من العلماء والمشتغلين بهذه المباحث من جميع أطراف المعمور لعرض تجاربهم وأبحاثهم على ممثلى جميع الأمم ، وكان تحت رئاسة الاستاذ الكبير (ألفرد روسل ولاس) مكتشف ناموس الانتخاب الطبيعى قبل دارون .

ثم تلاه مؤتمرات فى كثير من العواصم ، واليوم يعقد مؤتمر فى أمستردام ، وسيصلنا عنه نتائج أبحاث العلماء الذين وقفوا أنفسهم لدراسة هذه المسائل ، وسيكون لها من التأثير فى عقلية الشعوب ونفسيتهم ما كان لما سبقها مما لا يمكن نكرانه ولا إهماله ، ألا وهو تحول الفلسفة من مادية باحتة إلى روحانية صرفة ، وهذا التحول يمهد السبيل لتطور أدبى عظيم الشأن ينقل الانسانية إلى حيث يتخيله لها الفلاسفة منذ زمان بعيد .

نوه تلغراف المقطم ، الذى أورد ذكر مؤتمر أمستردام ، بالصور الروحانية التى ستعرض فيه وهذا ليس بالأمر الجديد ، ولكن يظهر أنها لوسيط تستحق حالته البحث والتمحيص .

ومسالة استيلاء الارواح على أيدى بعض الناس واستخدامها فى التصوير أو الكتابة أمر مشهور لدى الباحثين والمتتبعين لما يكتبون . فقد كان الكاتب الفرنسى القصصى الطائر الصيت (ساردو Sardou) ممن تستولى الأرواح على أيديهم فتعمل صوراً ذات قيمة فنية عظيمة بينما هو ليس له أدنى إلمام بهذا الفن الجميل . وقد عرضت صوره فى المعارض فدفعت مبالغ كبيرة ثمناً لها ، ولكنها لم تبع وحفظت فى دار الآثار الروحانية أثراً خالداً لساردو بجانب آثاره

الأدبية فى الآخرين ، وليس من الممكن اتهام الكاتب الكبير (ساردو) بالتدليس والتزوير فان شهرته الكتابية ومكانته الاجتماعية لا تسمح بذلك ، وكان يشهد على حالته إخوانه الاقربين فيتشاغل بالكلام معهم ومداعبتهم بينما يده تعمل — وهو لاه عنها — من الصور ما لا يتفق إلا لكبار الفنانين .

وكان الصحفى الكبير المستر « ستيد » من الذين تستولى الأرواح على أيديهم فتكتب اليه رسائل وهو لاه عنها ، فاذا سرى عنها قرأ ما كتبته وعرضه على الباحثين .

وقد حدث أن بعض الباحثين كان يجرب على وسيط عمره ثمانية عشرة سنة من الفلاحين الأميين فكتبت يده وهو تحت التأثير الروحانى تقول : إن القابض على يده الساعة روح الكاتب الانجليزى المشهور ديكنز Dickens وإنه يريد أن ينتهز هذه الفرصة فيعمل الجزء الثانى لروايته الأخيرة التى مات بعد أن ألف شطراً منها ، وهو لأجل ذلك يريد دواة وورقا . فأتى بما أراده فأخذت يد الشاب الأمى تنساب على القرطاس فتملأه فى أسرع مايكون ، ثم تستولى على ورقة أخرى فتملأها وهكذا ، ثم انصرفت واعدة بموالاة الكتابة فى الجلسات المقبلة حتى تتم الرواية . وما زال أولئك الباحثون يستحضرون ذلك الفلاح والروح تكتب بيده حتى أتمت الرواية ، فجمعت وعرضت على النقدة فلم يستطيعوا أن يجدوا أقل فرق بين الشطر الأول والشطر الجديد منها ، لا فى الاسلوب ولا فى البيان ، ولا فى مميزات أشخاص القطعة ، فطبعت هذه الرواية فى انجلترة وأمريكا مراراً ولا تزال حافظة لقيمتها عند المتأدبين الى اليوم .

على أن أشهر وأعجب ماحدث من أمر الاستيلاء الروحانى على الايدى ، ماحدث للمستر (ستنتون موزس) مدرس الفلسفة اللاهوتية بجامعة اكسفورد ، فانه كان لا يعتد بالمباحث النفسية ، ولكن حدث ما اضطره الى البحث فيها فتبين له من حضور جلسات التحضير أنه هو نفسه وسيط عظيم ، فكان يجلس فى بيت أحد أصدقائه وهو الدكتور (سبير) للتجربة فتحدث بوساطته أمور خارقة للعادة . ولكن الذى شهره فى جميع أرجاء العالم وساطته اليدوية وما كان لها من الأثر العظيم . فان أرواحا كانت تستولى على يده فتكتب ما تريد أن تبلغه إياه ، وكان يجلس لتلقى ذلك فى أوقات معينة فاندفعت يده ذات ليلة تكتب بنشاط كبير ، فلما أتمت الكتابة قرأها فاعتراه كرب عظيم ، قرأ نقداً شديداً على فلسفة اللاهوت التى يدرسها وعلى عقيدته التى كان يدين بها ، فتناول القلم وكتب رداً على تلك الروح ، وما كاد يتم رده حتى استونت الروح على يده وكتبت رداً على رده مما يخالف عقائده ، ومما يعد الخوض فيه كفراً ، فاستشاط غضباً وتناول القلم وكتب رداً ثانياً مسهباً على الروح ،

وهكذا فى ليال كثيرة حتى اجتمع من هذه المحاورات الفلسفية ذات القيمة العظيمة ما يقرب من خمس مئة صفحة ، فقام بنشرها وعرضها على الناقدين ، فكان الدهش منها عظيما لسمو موضوعها وجمال أسلوبها ، وعدالة الاصلاح الدينى الوارد بها ، وقد ترجم هذا الكتاب إلى أكثر اللغات الحية، واسمه بالانجليزية Teachings of spirits وبالفرنسية Les enseignements des esprits أى تعاليم الارواح .

فاذا فرض أن الوسطاء المأجورين يدلسون ويزورون مع أن التحوطات التى تتخذ معهم لاتدع لهم أقل فرصة للتدليس ، فان أمثال هؤلاء الرجال الممتازين فى أقوامهم ، المعروفين بسمو العقل والنزاهة، كساردو وستيد وستنتون موزس : لا يعقل أن ينحطوا إلى دركات المدلسين وهم يدفعون من أموالهم لمساعدة نشر هذه المباحث ، ولا يستفيدون منها غير سخر الجاهلين ، وإزراء المتعالين .

محمد فريد وجدى

المنابر فى الاسلام

(بقية المنشور على صفحة ٦٦٤)

بعد ذلك عمل فى المنابر البابان المسميان ببابى الروضة ، وصارا كأنهما من لوازم المنابر والحكمة فى عملهما هى لوصل صوت الامام للصف الاول من المصلين ، حتى لاينقطع بوجود المنبر :

(١٤) ولابد لى أن أشير هنا بالفخر والاعجاب إلى ما صنعه حضرة شيخ العروبة صاحب السعادة الأستاذ أحمد زكى باشا في مسجده المبارك ، الجارى إنشاؤه الآن على شاطىء النيل وقد بناه من ماله الخاص خدمة للمسلمين وتقرباً إلى الله عز وجل ، إذ ابتدع فكرة عظيمة جداً بالاتحاد مع حضرة صديقي الاستاذ محمود افندى زكى المهندس المباشر لعمارة ذلك المسجد ، حيث جعلا المنبر فى شحمة البناء بجوار المحراب . وهذه فكرة بديعة هى الأولى من نوعها فى الشرق يستحقان عليها كل الشكر . بارك الله فيهما وعمر فى مسجد شيخ العروبة ونفع به المسلمين

يوسف احمد

آراء جليلة فى مشروع

الحلف العربى والموسوعة العربية

للدكتور عبد الرحمن شهبندر

« مقال اقتبسه لقراء (المعرفة) حضرة الزعيم السورى الكبير الدكتور شهبندر من بعض خطبه السياسية والاجتماعية فى موضوع الحلف العربى »

لقد حمل الألمان حملة منكرة على السياسة الخيالية الواسعة التى اندفع فيها أنور باشا وطلعت باشا وأحمد جمال باشا وغيرهم من زعماء الترك الاتحاديين فى إبان الحرب العامة ، ودعا المارشال (هندنبرج) هذه السياسة فى مذكراته صفحة ٢٢٩ « أحلاماً سياسية شرقية » والأحلام لا تبنى الممالك ولا تشيد المعاقل القومية ، وقال بصددها « وكان علينا أن نطلب من الترك الأقلاع عن هذه الخطط البعيدة المرمى ، وأن يبيعوها بالحقائق الحربية الملموسة ، بيد أننا وياللأسف ذهبت مساعينا أدراج الرياح ، وكان النفعيون والمتعصبون فى القسطنطينية لا يقر لهم قرار مالم تسقط مدينة (باكو) بأيدى الترك ، فى حين كان صرح المستملكات التركية القديم فى سورية والعراق متداعياً للانهيار . »

يمثل هذه الجملة القاسية حكم اخصائى حربى عظيم كالمارشال (هندنبرج) على جميع تلك السياسة الوهمية التى نفخ روحها هؤلاء الرجال المندفعون ، وهى تستخلص فى أنهم حلموا بتأليف دولة كبرى تضم شتات العناصر الطورانية الموجودة فى الأناضول والقفقاس وأذربيجان والتركستان الشرقية فى الصين والتركستان الغربية في الروسيا ، تحت لواء الخليفة فى الاستانة .

ويهمنا والشرق الأدنى يعالج اليوم قضية كبرى كالقضية العربية — ألا يرمى أصحابها بأنهم أهل أحلام شرقية وطلاب غايات لا تتفق والعالم الصحيح فى شىء . فعلينا والحالة هذه أن نتبسط فى هذا الموضوع بعض التبسط ونبين الغاية العملية التى يمكن تطبيقها منذ الآن توطئة لغيرها من الغايات المتعلقة بتعاون الناطقين بالضاد ، وأن نقول بكل جلاء : إن الشرط الجوهرى لتأليف حلف عربى بالمعنى الاصطلاحى الصحيح هو أن تكون البلدان العربية التى تنشده متمتعة باستقلال عملى لا شائبة فيه ، وهذا غير متيسر فى الآونة الحاضرة ، ما دامت بعض الاقطار

العربية التي يجب أن تكون في مقدمة المتحالفين مرتعاً للدول الاستعمارية ، فمن التناقض السياسي أن تدعى للدخول في مثل هذه المحالفة .

ويلوح لى أن السبب الأكبر الذى أدى إلى القال والقيل حول مشروع «الحلف العربى» الذى نوهت به الصحف منذ حين ، وذكرت مادار حوله بين الحكومات العراقية والحجازية واليمنية والشرقدنية هو خلو معاجمنا وكتبنا العلمية من تعريف المصطلحات الحديثة تعريفاً مضبوطاً ، فلو قالت هذه الكتب إن « الاتحاد » مثلا ، يعنى عند الاوربيين (فدراسيون) ، «والاندماج» يعنى (union) و « الحلف » يعنى (Confédération) ماوقعنا فى هذا الارتباك .

و « الاتحاد » يدل فى الكتب السياسية الحديثة على نوع من الحكم متصل منفصل فى آن واحد ، ولا يحلم به أحد من المشتغلين بالقضية العربية الآن مهما كان خياله واسعاً ووازعه العلمى ناقصاً ، وهو يعد كمالا منشوداً حتى فى أوروبا ، والمثال البارز عليه حكومة (سويسره) المؤلفة من المقاطعات (كانتونات) المتباينة في سلالاتها وفى لغاتها ، وحسبها نجاحاً أن تجتمع فيها الطليانية والفرنسوية والالمانية على صعيد واحد ومائدة واحدة . وأما الحلف (الكونفدراسيون) فهو بعيد عنا أيضاً ، ونحن فى المرحلة الحاضرة ، لأن الشرط الاساسى فى تأليفه هو أن تتمتع الوحدات الداخلة فيه باستقلال صحيح . قال الاستاذ (ليكوك) فى كتابه « مبادىء السياسة » صفحة ٢٣٩ ما ترجمته « وليس الحلف دولة واحدة وإنما هو مجموعة دويلات ذات سيادة مستقلة قد اتحدت فيما بينها على شروط معينة محدودة ، ولكل واحدة منها من الوجهة الشرعية حق الانسحاب متى شاءت . »

والكتب السياسية مجمعة على أنه ليس فى العالم اليوم حلف بمعنى (الكونفدراسيون) بل المثال التاريخى الذى ينطبق عليه هو الحلف الذى عقدته الدويلات الألمانية فى سنة ١٨١٥ ودام الى سنة ١٨٦٦ ولا أرى بأساً أن أشير هنا اليه بشىء من التفصيلات لما لموضوعاته من الشبه العظيم بالموضوعات التى نعالجها . وقد ذكر المؤرخون أن فى مقدمة الاسباب التي أدت إلى تأليفه ما عانته تلك الدويلات من الآلام الممضة بسبب الحروب التى أضرم نارها (نابليون بونابرت) . والشعوب الحية تستفيد من الآلام عادة ويتقارب بعضها من بعض ، لأن الألم هو المدرسة التى تربى الرجال .

تألف هذا الحلف من ثمان وثلاثين دويلة ، كل واحدة منها مستقلة بشؤونها الداخلية ولها حق الاتصال بالدول الأجنبية على شرط أن لا تعمل عملا يضر بسلامة أى عضو آخر أو

بسلامة المحالفة نفسها ، وكان على رأس الجميع سلطة مركزية قوامها مجلس يدعى (ديت) يلتئم فى فرانكفورت ، وصلاحيته سن الشرائع الدولية والدساتير الأساسية الخاصة بشؤون الحلف من خارجية وداخلية وحربية وعقد المعاهدات و إرسال السفراء وقبولهم و إعلان الحرب على الدول الاجنبيـة إذا هى هددت أراضى الحلف . وكان لكل دويلة الحق بأن تحافظ على جيشها الخاص وحكومتها وترتيبها التخريجى الديبلوماتى . وظل الأمراء من الوجهة العملية ملوكا فى دويلاتهم ، وكان مجلس الحلف أو (الديت) عبارة عن مؤتمر مؤلف من سفرائهم ، ولكل سفير منهم عدد من الاصوات فى الاقتراع متناسب مع مكانة الدويلة التى يمثلها . وقد اعتمد هذا المجلس على سلاح النمسا ، لأنه لم يكن له جيش خاص يحميه ويذودعنه ولا جرم أن الصبغة التى اصطبغ بها كانت نمسوية . ونرى مما تقدم أن السيادة التامة على الأعضاء الذين شملهم الحلف كانت موزعة بين مجلس الحلف من جهة ، و بين الحكومة المحلية فى كل دويلة من جهة أخرى .

هذه بعض معلومات عن الحلف الجرمانى أرجو أن تنير لنا الطريق فى معالجة قضيتنا العربية ، وكل ما نستدل به من هذا التحليل التاريخى والسياسى هو أن عقد حلف بين الدول العربية فى حالتها الحاضرة — فضلا عن عقد ائتلاف — هو من باب الأحلام التى أشار اليها المارشال (هندنبرج) فى مذكراته ، إذ كيف يعقل أن يدخل الحجاز ونجد واليمن والعراق وسورية وشرق الاردن وفلسطين ومصر وطرابلس وتونس والجزائر ومراكش تحت سلطة مجلس واحد مؤلف من مندوبين عن هذه الاقطار وله صلاحية عقد المعاهدات وإرسال السفراء وقبولهم و علان الحرب على الدول الاجنبية ، فى حين أن بعض هذه الاقطار إما ملحق بالدول الاستعمارية مباشرة أو موضوع على استقلاله من الحواجز ما يحول دون تمتعه بسيادته القومية تمتعاً صحيحاً ؟ . ومالم يكن لهذه الاقطار وزارات خارجية حرة تتصرف فى الامور بحسب ما توحيه اليها مصالحها القومية ، لا بحسب الاوامر التى تصدر اليها من الخارج فكل اتفاق فيما بينها لا يجوز بوجه من الوجوه أن يدعى حلفاً . على أن هذا الكلام لا يقلل من قيمة كل اتفاق تعقده هذه الاقطار ليكون توطئة للعمل القومى الكبير القادم كما فعل رئيس حكومة العراق نورى باشا السعيد فى الحجاز أخيراً ، حيث عقد معاهدة بحسن الجوار واتفاقاً على التحكيم فى الخلافات التى يمكن أن تنشأ بين القطرين العربيين الشقيقين ، وعلى الدخول فى مفاوضات من أجل إلغاء الرسوم الجمركية على منتجات البلادين وإبطال جوازات السفر ، والتعاون على مافيه مصلحة المملكتين من الوجهة العلمية والفنية .

وإذا كان عقد حلف عربي بين الاقطار التي ذكرناها غير متيسر الآن للأسباب التي نسردها ، فان الاتفاق على مثل هذه الأسس بين الحجاز ونجد من جهة والعراق من جهة أخرى، يعد عملا قومياً ذا قيمة كبيرة. ورفع الحواجز الجمركية بين القطرين الشقيقين هو فى الواقع منطبق على قاعدة (الزولفرين) التى تمشى عليها الحلف الجرمانى ، فكانت توطئة جوهرية للامبراطورية الالمانية التى أعلنت فيما بعد فى سنة ١٨٧١.

أما التعاون على ما فيه المصلحة العلمية والفنية ، فهو رمز الحركة الكبرى التى تتمخض بها الاقطار العربية الشاسعة من الخليج الفارسى فى الشرق، إلى بحر الظلمات في الغرب، لأن الناطقين بالضاد أدركوا بعد غفلة عميقة تلك الحقيقة العملية البسيطة، وهي أن رابطة اللغة حصن منيع فى الجبهة الاجتماعية، وأن مقام الامة فى سلم الارتقاء هو على قدر سمو اللغة التى تتكلم بها، وكل من يضع لها كلمة جديدة لمعنى مبتكر رفيع إنما يفتتح لسلطانها مدنية جديدة فى مملكة الحضارة وسيبحث الاحفاد فى لغتنا ومعاجمنا وكتبنا الفنية والعلمية والادبية عن مبلغ عقولنا وأرواحنا لأن هذه المدونات هى سجل نفسيتنا وعقليتنا . وأرى من الواجب أن تشجع بعض الاقطار العربية منذ الآن على توحيد برامجها التعليمية . وأظن أن مثل هذا العمل القابل للتطبيق يكون من أنفذ الوسائل للتقريب بين رجال المستقبل و إعدادهم للتعاون الوطنى المنشود .

ومتي تكللت الجهود المصروفة الآن لعمل الموسوعات العربية بالنجاح، وحازت مصر والعراق قصب السبق فى هذا المضمار بابراز هذا الأثر النافع إلى حيز الوجود على أيدى أى حزب أو بواسطة أى رجال، فان الثقافة العربية تكون قد خطت بفضل هذين القطرين العربيين خطوة واسعة إلى الأمام، وحق للناطقين بالضاد حينئذ أن تكون لهم كما كان لأجدادهم حصة التطور العلمى العالمى ، ونصيب فى التهذيب العام .

ومن زعم أن الاستقلال فى هذا العصر يدوم من غير علم يؤيده وينير طريقه، وتهذيب يشد أزره ويلم شتاته ، فهو من أهل الأوهام والأحلام ؟

عبد الرحمن شهبندر

***

« المعرفة » تتقدم بجزيل الشكر لحضرة الزعيم السوري الكبير الدكتور شهبندر ، على رأيه الجليل فى مشروع الموسوعة العربية ، ونرجو أن يعنى حضرات الكتاب والمفكرين ببحث هذا الموضوع و إخراجه من حيز القول الى حيز العمل ، ويسر « المعرفة » أن تعرف آراء حضراتهم فى ذلك .

الغرض من التربية
تحديده وبيان عيوب التعليم فى مصر

للاستاذ حامد عبد القادر

المدرس بدار العلوم

١ — الواجب على كل من يقوم بعمل من الاعمال لا سيما اذا كان ذلك العمل فناً من الفنون أن يعرف الغاية التى يسعى نحوها ، ثم يتخير أحسن الوسائل ، وأقوم السبل التى تفضى به الي تلك الغاية ، ثم يشرع فى العمل ، واضعاً نصب عينيه ذلك الغرض الذى يعمل من أجله دائما .

ومن حيث إن التربية من أهم الفنون التى يتولاها الانسان — إن لم تكن أهمها — وأشدها اتصالا بالحياة ، فمن الواجب علينا نحن المربين أن نعرف الغرض منها ، أو الاغراض التى ترمى اليها قبل الشروع فيها لنكون على بينة من أمرنا وليسهل علينا أن نسدد خطانا نحو ذلك الغرض بدلا من أن نخبط خبط عشواء ، ثم نهيم فى الفضاء ، لا ندرى أين السبيل ، ولا نعرف كيف يكون المسير !

٢ — وإننا لو قرأنا تاريخ التربية لعلمنا أنه لم يكن لها غرض واحد أو أغراض خاصة سعى نحوها المربون فى جميع العصور المختلفة ، ولكننا نجد أن هناك أغراضاً متعددة تختلف باختلاف العصور والامم والبيئات ، فمن الطبيعى أن اختلاف العصور وتباين البيئات والاوساط الطبيعية والاجتماعية ، واختلاف الامم من حيث مواهبهم ، ومشاربهم ، ومنزلتهم فى الحضارة وتقليداتهم التى ورثوها عن أسلافهم — كل هذه ولا محالة تؤدى الى اختلاف فى الغرض من التربية .

٣ — ولكن هذه الاغراض على اختلافها وتعددها يمكن حصرها فى غرضين : الاول الثقافة الشخصية والثانى الكفاية العملية ، فالاول يرمى الي جعل الغرض من التربية علمياً فردياً والثاني يعلق أهمية كبرى على الناحية العملية الاجتماعية على أن هذا الاختلاف هو فى الحقيقة نسبي فقط ، فليس من المعقول أن القائلين بالغرض الاول يهملون العمل ، كما أنه

ليس من الصواب أن نقول إن الفريق الثاني لا يأبه بالعلم ولا يقيم للثقافة الشخصية وزناً — فكلا الفريقين يعترف بوجوب قرن العلم بالعمل ، وبضرورة العناية بهما معاً ، ولكن هذا يجعل للعمل المنزلة الاولى والمقام الأسمى ، وذاك يدعو الي الثقافة العلمية أكثر مما يدعو الى الكفاءة العملية . والخلاصة أن الفريق الاول أميل الي المذهب الروحانى ، والثانى الي المذهب المادي النفعى ، وأن أنصار المذهب الروحانى ينظرون الي الحياة نظرة خالية من شوائب المنفعة الذاتية ، بعيدة عن المطامع المادية ، ويقدسون الثقافة من حيث هى لا من حيث ما تجلب من المنافع أو تدفع من المضار . بينما أن أنصار المذهب المادى يعتبرون هذا العالم وما فيه غاية لا بد من الانتفاع بها ، لا وسيلة لحياة أخرى أو منزلة أسمى ، ولذلك يقدرون الاعمال بفوائدها الدنيوية ومنافعها الحيوية .

٤ — والظاهر أن المذهب الروحانى كانت له الغلبة منذ القرون الوسطي حتى أوائل القرن التاسع عشر ، فالغرض من التربية فى تلك العصور كان على العموم الثقافة الشخصية ، ولكن هذا الغرض تشكل بأشكال مختلفة ، وظهرت له نواح متعددة أهمها خمس وهي : —

(١) الثقافة الدينية . (٢) الثقافة الارستقراطية الفنية والاجتماعية . (٣) اكتساب العلوم والمعارف العامة . (٤) تهذيب العقل ورياضته رياضة تامة . (٥) تحقق الشخصية الفردية والاعتراف بمنزلة الفرد فى الحياة .

هذه هى نواحى الثقافة الشخصية التى كان لها التسيطر خلال تلك القرون الماضية ذكرناها لك على حسب الترتيب الزمنى ، وإنك لتستشف من ورائها ناموس الطبيعة يعمل فيها ويؤثر عليها ، إذ أنها خضعت لقانون النشوء والارتقاء ، وتطورت تطوراً تلمح من خلاله شبح الكفاية العملية وهو يظهر شيئا فشيئا من وراء ستار الثقافة الشخصية ظهوراً آخذاً فى الزيادة على مر القرون .

تلك حقيقة لها من الاهمية ما يبرر الوقوف عندها لاستيفائها حقها من العناية والبحث ، ولهذا نود أن نعرض عليك تلك النواحى الآنفة الذكر واحدة واحدة ونبحثها بحثاً مختصراً كى نتبين صحة هذه الحقيقة ونتعرف الاسباب التي أدت الي تطور الغرض من التربية وانتقاله من ناحية الي أخرى فاليك البيان .

ا — الثقافة الدينية

مما لا نزاع فيه أن الغرض من التربية فى القرون الوسطى أى فى ذلك العصر الذى انتشرت

فيه الديانة المسيحية وقوى شأنها فى أوربة كان دينياً أكثر منه دنيوياً ، فكان المثل الأعلى للحياة هو الحياة الدينية التى يكون الغرض منها تطهير النفس من الرذائل ، وازدراء هذا العالم وما فيه من لذات ومسرات فانية ، والاستعداد للآخرة وما فيها من نعم دائمة ، ومزايا خالدة ، وكانت المعيشة داخل الأديرة والكنائس أشرف وأعظم شأناً من المعيشة خارجها — وقد ظلت السيطرة لهذه الناحية من أغراض التربية فى أوربة حتى بعد إنشاء الجامعات وإقبال الطلبة على دراسة الطب والقانون ، ولم يكن هذا من مبتدعات القرون الوسطى فاننا نجد له أثراً فى تعاليم أفلاطون المربى اليونانى الكبير الذى يقول في جمهوريته إن من أغراض التربية « أن نطلق سراح الاسرى (الجهلة) ونحررهم من أغلالهم ، ونخرجهم من عالم الظلمات الى عالم النور ، ومن الكهوف والمغارات السفلى الى عالم الشمس والحرية ، وأن نرفع أرقى الطباع النفسية الى منزلة تفكر فيها فى خير شىء فى الوجود »

ومما هو جدير بالذكر فى هذا المقام أن الدين الاسلامى الذى ظهر فى آسيا بعد ظهور المسيحية جاء بالامرين السابقين معاً فدعا الى الثقافة الشخصية الدينية والى الكفاءة العملية الدنيوية ، يدل على ذلك قوله تعالى « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا » وقول النبى صلى الله عليه وسلم « ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة ولا الآخرة للدنيا ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه » على أن قوله صلى الله عليه وسلم « بعثت لأتمم مكارم الاخلاق » يحملنا على القول بأن الغرض الاساسى من تعاليم الدين الاسلامى كان أخلاقياً ، إذ أنه كثيراً ما يحث على حسن المعاملة والصدق والامانة واصلاح ذات البين ودفع السيئة بالحسنة وغير ذلك من الامور التى تشمل الخصال الحميدة والاخلاق الفاضلة .

على أن نظرة عميقة فى آداب الدين الاسلامى تحملنا على القول بأنه يدعو الى الثقافة الشخصية كما أنه يحض على الآداب الاجتماعية ، فنظامه دينى دنيوى ، شخصي اجتماعي .

ب — الثقافة الارستقراطية

لم يكد ينتهى القرن الخامس عشر إلا وقد ظهر فى العالم آثار حركة فكرية علمية كبرى بذرت بذورها فى القرن الثاني عشر ثم نمت وترعرعت ونضجت وآتت أكلها فى أوائل القرن السادس عشر ، وكان من أهم مظاهر تلك الحركة إحياء العلوم والمعارف القديمة واختراع البارود واستعماله فى الحروب وكشف أمريكا واختراع الطباعة وظهور مذهب كوبرنيق الالماني (القائل بأن الشمس هى مركز النظام الشمسى المبطل لمذهب بطليموس القائل بأن الارض هي التى تدور حول الشمس)

وقد كان نصيب التربية من هذا الانقلاب الفكرى وتلك الثورة الاجتماعية كبيراً جداً فانها اضطرت لتحويل مجراها وانتهاج سبيل آخر كما تقضى به الظروف ، فأخذ المربون يعنون بالثقافة الفنية بنوع خاص ، وينادون بوجوب التحرير من استعباد الكنيسة ، وأقبل الارستقراطيون على دراسة البلاغة والسياسة . ولما كان ذلك العصر عصر سلام وأمان نسبى . لاعصر خصومات وحروب كما كانت الحال فى العصور السابقة — أخذ القواد ورؤساء الجند يدرسون الادب ويعدون أنفسهم بالثقافة الادبية للاتصال بالملوك والامراء ، وزيارة الحكام فى قصورهم وحضور حفلاتهم ومنتدياتهم .

فأنت ترى من ذلك أن تيار الغرض من التربية قد تحول بهذه الثورة الفكرية الاجتماعية عن مجرى الثقافة الدينية البحتة وسلك مسلكا آخر هو الى الثقافة الفنية والاجتماعية أقرب .

ح — اكتساب العلوم الكونية

وقد كان من نتائج الحركة الفكرية الاجتماعية الآنفة الذكر التى أدت الى الاطلاع على علوم القدماء والاحاطة بآدابهم أن فطنت الافكار الى غزارة علوم هؤلاء القدماء ، وبراعتهم فى البلاغة ، ومقدرتهم فى الادب ، فاتجهت عناية المربين الى الدراسة العلمية ولفتوا الانظار الى وجوب معرفة الظواهر الطبيعية ، والاحاطة بالعلوم الاجتماعية ، حتى تصلح أحوالهم فى هذه الحياة ، وقد نضجت هذه الفكرة فى أوائل القرن السابع عشر ، وكان لها أنصار من مذهبهم ترجيح العلم على الأدب ، وتفضيل العلوم المادية على الفنون والآداب الروحانية — ثم إن هؤلاء الانصار انقسموا الى فريقين : فريق يقول بالثقافة العلمية مع العناية بالادب أيضاً ، وفريق يقول بالثقافة العلمية مع العناية بالاجتماع والعلوم الاجتماعية ومن أساطين المذهب الاول رابلى الفرنسى (١٤٨٣ — ١٥٥٣) وملتون الشاعر الانجليزي (١٦٠٨ — ١٦٧٤) ومن أشهر أنصار الثانى مونتين الكاتب النقادة الفرنسى الشهير (٣٣ ١ — ١٥٩٢).

ومن ذلك يتبين لنا أن الغرض من التربية انتقل من طور الادب والثقافة الفنية الاجتماعية الى طور العلم والثقافة العلمية الاجتماعية.

وعلى أثر هذين المذهبين قام ثالث يقول بوجوب الثقافة الحسية ويدعو الى العناية بالحواس التى هى أبواب المعرفة ومن مشاهير أنصاره فرنسيس بيكون الانجليزى (١٥٦١ — ١٦٢٦) وجون ايموس كومينيوس الالمانى (١٥٩٢ — ١٦٧١) .

د — تهذيب العقل ورياضته

ومعنى ذلك تنمية العقل وتدريبه على الفكر وتعويده الوصول الى النتائج الصحيحة وقد نال هذا المذهب النصر المؤزر على أيدى مربين ظهروا فى القرن السابع عشر وعلى رأسهم جون لوك (١٦٣٢ — ١٧٠٤) ومن رجاله كومب وبومان .

وقد كانت حجة الداعين إلي هذا المبدأ أن العقل له قوى خاصة منعزلة من الممكن تدريبها وتهذيب كل منها على حدتها ، وأن أحسن وسيلة لتدريب القوة المفكرة وتهذيبها هي تعلم اللغتين اللاتينية واليونانية ، وإدخال العلوم الرياضية فى منهج الدراسة ، وإن لم يكن لهذه المواد فائدة عملية فى الحياة .. وهذا هو معنى قول كومب « إنى أحرص على دراسة الكيمياء لا لذاتها ولكن لانى أرى فى دراستها تهذيباً للعقول وتنمية للمدارك »

وقول بومان « إن تهذيب العقول أغلى شىء يحرص عليه الانسان ، وإن العلوم الطبيعية كفيلة بتحقيق هذا الغرض اذا اتخذت أساساً للتربية والتعليم »

ومن ذلك يظهر لك أن هذا الفريق يرى أن الغرض من التربية يجب أن يكون تهذيب العقل ورياضته ولو بالمواد التى ليس لها قيمة عملية — والظاهر أن هذه حجة واهية أرادوا بها تبرير ادخال اللغتين اللاتينية والاغريقية فى منهج الدراسة بعد أن ظهر عدم فائدتهما .

هـ — تحقق الفرد من منزلته الشخصية

قام فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر ثورة اجتماعية كبرى كان الغرض منها الخروج على التقليدات القديمة وتحرير الأفكار من الخرافات والعقائد الوضعية ، والقضاء على سلطة الكنيسة التى خرجت عن حدها . وإيجاد قواعد تعترف بالمساواة والحرية والأخاء وكون الناس أمام القانون والمجتمع سواء ، والاعتراف بأن لكل فرد شخصية ومنزلة فى الحياة يجب أن تحترم ، وهذه الثورة الفكرية هى التي أدت الي الثورة الفرنسية الكبرى وما تلاها من الحروب الدامية التى انتهت بتحرير الأفكار وانشاء مذهب الفردية.

ومن حيث إن التربية من أكبر المظاهر الاجتماعية فقد كان من الضرورى أن تتأثر بهذه الثورة العظيمة التى أثرت على جميع نواحي الحياة ، ولذلك نرى المربين فى هذا العصر يضربون على نغمة واحدة ويدعون الى مذهب واحد هو الاعتراف بشخصية الطفل وبقدرته على تعليم نفسه بنفسه ووجوب اعطائه فرصة كافية لتهذيب نفسه بنفسه وتقويم قواه العقلية والجسمية والخلقية بتدخله .

غير أننا نرى روسو يقول بوجوب ترك الطفل لنفسه وتخلية الطريق أمامه واعطائه الحرية التامة والفرصة الكافية ليعيش معيشة طبيعية ، ويعالج المشكلات التى تصادفه فى طريقه ، ويصارع الطبيعة ، والطبيعة تصارعه، حتى يتغلب عليها فيكون ذلك دليلا على صلاحيته للحياة أو تتغلب هى عليه فيكون ذلك برهاناً على عدم صلاحيته للبقاء عملا بقانون « تنازع البقاء » و« بقاء الأصلح » — بينا أنا نرى يستالتزى وفروبل وهربارت لا يسلكون تلك الطريق الوعرة التى سلكها روسو ، ولكنهم يقولون بوجوب إرشاد الطفل وهدايته أثناء سيره ، وقياده على حسب ما تسمح به طبيعته ، خشية أن يضل فى سعيه ويخفق فى سيره نحو الغاية المنشودة .

والخلاصة أن تحقق الفرد من شخصيته هي آخر مرتبة وصلت اليها الثقافة الشخصية التى هى الغرض الاول من التربية ، وانما كانت آخر مرتبة وأعلى منزلة لانها تستلزم تثقيفاً عاماً فى جميع مناحي الحياة .

٥ — المذهب المادي

هذه هى خلاصة التطورات التى حدثت للمذهب الاول أى المذهب الروحانى فى الغرض من التربية — والآن نود أن نذكر لك شيئاً عن المذهب الثانى وهو المذهب المادى أو النفعي الذى أخذ يتغلب على المذهب الروحاني منذ أوائل القرن التاسع عشر .

يريد الآخذون بهذا المذهب أن التربية لابد أن تعد النشء للقيام بواجبهم فى الحياة خير قيام ، فهم بذلك يميلون الي تقوية الناحية العملية المادية ، وهم فى اعتناق هذا المبدأ متأثرون بالنهضة العلمية الحديثة التى ترى من آثارها تقدم العلوم الطبيعيــة والاجتماعية بجميع فروعها ، ورقي الفنون التى لها اتصال بتلك العلوم وهذا مع تأخر قليل أو كثير فى العلوم الروحانية والفنون الجميــلة ، وذلك كما هو مشاهد الآن فى أمريكا وأوربة حيث ترى الاقبال على العلوم الطبيعية والرياضية والاجتماعية وقد وصل الى حد لم يصل اليه من قبل ، وحيث نشاهد التنافس فى معرفتها بين الافراد والامم وقد بلغ مبلغاً لا عهد للتاريخ به ، بينا نرى أن العلوم الروحانية والعلوم العقلية البحتة : كالفلسفة والاخلاق والمنطق والدين لا تنال فى هاتين القارتين نصيبها من العناية ولا تحتل المنزلة اللائقة بها فى مناهج الدراسة ، وهم إن عنوا بها فانما يكون ذلك لغرض نفعى عملي . ولهذه الغاية من التربية مزاياها وخطرها من الوجهة الحيوية ، ولكن الذى

يخشى منه أن يقضى التعلق بالمادة والعناية بالمنفعة المادية الي اهمال الناحية الروحية وضعف شأن الثقافة الشخصية ، وهذا ليس من العدل في شيء ، إذ من الواجب أن يعطي كل من الناحيتين نصيبها من العناية ، وأن تحل محلها اللائق بهـا فى مناهج الدراسة ، وربما يكون من نتائج عدم القيام بهـذا الواجب ، وعدم ملاحظة التوازن بين المذهبـين أى مذهب الثقافة الشخصية والمذهب المادى ، قيام تلك المشاكل الخطيرة التى نقرأ ونسمع عنها كل يوم ، والتى تكاد ترجع الى أن ميل الامم المسماة بالمتحضرة الي الامور المادية قد زاد عن حده وأن الاقبال عليها قد اشتد أن قد ظن ذوو المطامع أن كل وسيلة موصلة اليها مبررة مهما كانت .

وهذا بالطبع ظاهر الخطأ لما ينشأ عنه من خلل فى المجتمع وهضم حقوق الضعفاء والمغالاة فى التنافس بين الامم والافراد الذى كثيراً ما يؤدى الي النزاع .

ومع هذا ليس من المعقول أن نطالب الامم بايقاف هذه الحركة أو نلوم الافراد على السعى المتواصل فى سبيل احراز القوة المادية التى هى قوام الحياة — ولكن نود أن ننعى على هؤلاء اتخاذهم القوة المادية وسيلة للتعدى على الغير ، وذريعة للقضـاء على حقوق الضعفاء ، كما أننا نريد أن نأخذ عليهم نسيانهم حقوق الغير ، وتغاضيهم عن حريات الآخرين فى سبيل حصولهم على مطامعهم الشخصية .

فمن الضرورى والحالة هذه أن يوجه تيار التربية نحو أخذ النشء بمبدأين : أولهما تقوية النفس وثانيهما العناية بالغـير والاعتراف بحقه فى الحياة ، فيصبح من الواجب على كل فرد أن يعنى بتربية نفسه وتقويتها وتهذيبها — على شريطة ألا يؤدى ذلك إلى إضعاف غيره بدون حق ، ومن غير ما مبرر ، و بعبارة أخري يجب أن يصحب التربيـة المادية الشخصية تربية روحية اجتماعية .

٦ — المذهب الوطنى

مما تقدم ترى أن الغرض من التربية فى العصور الحديثة كان ولا يزال على كل حال مادياً أكثر منه روحانياً ، ونزيدك هنا أن التربية فى هذه العصور قد اصطبغت بالصبغة الوطنية أى أن التربية الوطنية قد تجلت بأجلى مظاهرها فى العصور الاخيرة وأصبحت التربية خاضعة للسياسة بعد أن كانت خاضعة الدين فى القرون الوسطي ، وصارت الحكومة هى المسيطرة على التربية ، القابضة على أزمتها ، تسيرها كيف تشاء وأنى تشاء ، فأخذ الانجليز مثلا يعدون أبناءهم ليكونوا

انجليزاً ساعين لمصلحة انجلترا فقط ، وصار الالمانى يربى ولده ليكون ألمانياً ، باذلا جهده فى نصرة المانيا بقطع النظر عن غيرها من الامم .

وهذه التربية الوطنية مثل التربية المادية لها مزاياها التى لا تنكر ولا يسع الانسان إلا أن يعضدها لما ينشأ عنها من رقى الامم رقياً مطرداً برقي أبنائها وسعيهم فى إعلاء شأنها ، ولكن الذى نخشاه أن تؤدى تلك التربية الوطنية البحتة الي خلق الانانية فى نفوس الافراد والامم فيظن أفراد كل أمة أن إعلاء شأن أمتهم واجب مقدس بقطع النظر عن الطرق التى يسلكونها والوسائل التي يتخذونها للوصول الى غرضهم .

فكما أن التربية الشخصية المادية يجب أن يصحبها تربية روحية اجتماعية كذلك التربية الوطنية يجب أن تكون مشوبة بتربية انسانية يعرف بها الفرد واجبه نحو بنى الانسان و يعترف بحقوق الامم الاخرى فى الحياة ونصيبها من الحرية .

٧ — الخلاصة

مما تقدم كله يمكننا أن نقول إنه لم يكن هناك غرض واحد للتربية سعى نحوه المربون فى كل زمان ومكان ، بل إننا نرى أن كل أمة من الامم كانت تضع لها غرضاً من التربية يختلف باختلاف عصور حياتها و باختلاف منزلتها بين الامم الاخرى

ومع هذا لا يصعب علينا أن نضع غرضاً للتربية يمكن انطباقه على كل زمان ومكان ، و يسهل تحويره على حسب الظروف والاحوال فنقول « إن الغرض من التربية هو جعل النشء قادرين على أن يعيشوا فى بيئتهم عيشة هنيئة مرضية »

ومن حيث إن البيئة تشمل الزمان والمكان والمجتمع الذي يعيش فيه النشء وجب أن يتغير الغرض الخاص من التربية بتغير هذه الاشياء .

٨ — التربية فى مصر

ومن هنا يظهر سبب خطئنا فى سياستنا التعليمية إذ أننا لا نلاحظ طبيعة بلادنا ، ولا نبذل جهدنا فى اصلاح الاغلاط التى وقع فيها من قبلنا ، بل لا نزال نسير على المناهج الدراسية المنقولة عن غيرها نقلا ، ولا نزال نتبع النظام الذى وضعه لنا غيرنا فى العصور الماضية مع تعديل بسيط لا قيمة له .

وأهم ما نلاحظ على هذا النظام الحاضر على الرغم مما دخله من التحسينات ما يأتي : —

١ — عدم العناية بالتعليم الزراعى كما يجب مع أن الزراعة عماد حياتنا إذ أن بلادنا زراعية قبل كل شئ ، ولست أريد بتعلم الزراعة معرفة كيفية تشمير الاراضى بطرق نظامية علمية فقط ، ولكنى أريد ما يشمل كيفية تربية المواشى والدواجن والانتفاع بمنتجاتها الى أقصى حد ممكن ، وإنى أرى من الواجب أن تكون الزراعة العلمية والعملية من المواد الاساسية على الاخص فى مدارس الارياف الابتدائية والاولية .

وهذا لا يتمكن إلا بعد إعداد مدرسين أكفاء عالمين بالزراعة من جهة وقادرين على التدريس النظامى من جهة أخرى ، ولهذا أقترح أحد أمرين : فاما أن تدرس الزراعة بمدارس المعلمين والمعلمات وإما أن تلقى دروس فى التربية والتدريس بمدارس الزراعة كى يكون خريجوها قادرين على تدريس الزراعة بالمدارس المختلفة تدريسا جيداً .

٢ — إن التعليم فى بلادنا لا يزال نظريا أكثر منه عملياً وهذا بالطبع من بقايا العصور الماضية ومن أوزارها التى انتقلت الينا ، اذ كان الغرض من التربية فى تلك العصور إعداد آلات حكومية تقوم بأعمال الدواوين الكتابية ، وقد كان من آثار هذا النظام العقيم العتيق أن زاد عدد هذه الآلات عن الحاجة ، فوجدت أزمة فى الوظائف وكثر عدد العاطلين من المتعلمين الذين تعلموا تعلما نظريا لدرجة يخشى علينا من نتائجها الاجتماعية الخطرة .

ولا مخرج من هذا المأزق إلا بتوسيع نطاق التعليم الصناعى والزراعى والتجارى كى يقل عدد العاطلين من المتعلمين من جهة ويعلو شأن الصناعة والزراعة والتجارة من جهة أخرى ، كذلك يجب أن نعنى بالتعليم العملى فى المدارس الابتدائية وبمدارس المعلمين والمعلمات وفى القسم الاول من التعليم الثانوى ، وأعنى بالتعليم العملى ما يشمل الاعمال اليدوية بجميع أقسامها والرياضة العملية ، وفى رأيى أن تعلم الاقتصاد ومسك الدفاتر أكثر فائدة لطلبة المدارس الثانوية من قشور المنطق وعلم النفس التى لا تفيدهم .

٣ — إن تعليم البنات فى بلادنا ليس بحالة مرضية

والخطأ الأساسى الذى يرتكب فى تعليم البنات هو تقليد الأجانب مع عدم ملاحظة ما تتطلبه الحياة المنزلية من إصلاح سريع وما يحتاجه من عناية خاصة ، وبقطع النظر عن حالة البلاد الاجتماعية الماضية والحاضرة وعن الغرض الأساسى من تعليم البنت .

وقد أدى هذا التقليد إلي أن منهاج الدراسة فى مدارس البنات الابتدائية والثانوية يكاد يكون مماثلا لمنهاج الدراسة فى مدارس البنين وفى رأيى أن هذه التسوية أو المشابهة بين البنين والبنات سابقة لأوانها فى بلادنا .

فمن الضرورى أن تكون مناهج التعليم في مدارس البنات فى الوقت الحاضر على الأقل غيرها فى مدارس البنين . وأساس هذا الاختلاف يجب أن يكون ملاحظة طبيعة البنت ، ومراعاة الغاية الخاصة من تربيتها ومعرفة مهنتها فى الحياة معرفة تامة كى يكون إعدادها لهذه الغاية مبنيا على أساس متين .

وما دام الغرض الاساسى من تعليم البنات يجب أن يكون إعدادهن لأكبر مهنة يقوم بها الانسان وهي تربية النشء ورعاية شؤون المنزل على الوجه الأكمل فمن الواجب أن يكون للمواد التى لها علاقة بهذين الامرين الشأن الاول في منهاج تعليم البنات ؛ فانا فى وقتنا الحاضر الى مربيات قادرات أحوج منا الى محاميات وقاضيات وكاتبات وعالمات فى الطبيعة أو الكيمياء أو الجغرافيا أو التاريخ ، اذ المحامون والقضاة والكتبة والعلماء عندنا كثيرون والمناصب أمامهم محدودة ، ولا معنى لما قد يفهمه بعض المغالطين من أنى أرى بذلك الى أن تخرج مدارسنا المخصصة للبنات خادمات لا سيدات عالمات مماثلات للرجال فى العلم والادب — اذ أنني أدعو الى أن تربية البنت فى أدوار التعليم الاولى أى فى المدارس الاولية والابتدائية والثانوية يجب أن تكون لها صبغة خاصة يلاحظ فيها طبيعة البنت ومركزها فى المجتمع ومهنتها فى الحياة وحاجة الامة الي مساعدتها من جهة خاصة ، وهذا لا يمنع مطلقا من أن التى تأنس فى نفسها تفوقا خاصا فى ناحية من نواحي العلم والمعرفة يصح لها بل يجب عليها أن تكمل دراستها وتتخصص لتلك المادة التى تشعر من نفسها ميلا شديداً نحوها.

على أنه لا يضير السيدة العالمة التي تتخصص فى مادة من المواد أن تكون على علم تام بشؤون التربية وتدبير المنزل ، بل من الواجب عليها قبل أن تأمر خادمتها أو مربية أولادها أو مربية أحد أقاربها بأمر من الامور المتعلقة بالتربية أن تكون واثقة من أن ما تأمر به صحيح ضرورى مفيد للطفل . أى أنه يجب أن تكون أوامرها مبنية على أساس علمى متين .

وإنى أكاد أسمع من يهمس فى أذني قائلا « إنك لم تأت بجديد » ! ألا ترى أن الوزارة تعنى بالتدبير المنزلى في مدارس البنات ؟ وألم تسمع أنها ستنشىء داراً تسمى دار التدبير المنزلي ؟ »

وإني إزاء ذلك لايسعني إلا أن أرحب بهذه الفكرة وأرجو أن تخرج الى حيز الوجود في القريب العاجل وأن يكون نصيبها من النجاح كبيراً .

ولكني مع ذلك أقول إن شؤون التربية لايكاد يكون لها وجود في مدارس البنات الابتدائية والثانوية وأن ما يعلم من التدبير المنزلي خاص ببعض المدارس أو قاصر غير واف بالمطلوب في البعض الآخر ... فمن الضروري التوسع في تعليم هاتين المادتين بحيث يكون لهما أكبر عدد ممكن من الحصص ، ومن الواجب جعل تعليمهما عاما في جميع مدارس البنات.

٤ — وهناك ملاحظة رابعة لا تقل أهمية عن الملاحظات السابقة وهي أني أرى مع الأسف الشديد أن التربية الدينية والخلقية آخذة في الضعف في مدارسنا المصرية ، مما أدى الي انحلال الاخلاق بعض الانحلال في المجتمع المصري ، وليست وزارة المعارف وحدها مسئولة عن ذلك وليس السبب الوحيد هو ضعف التعليم الديني في مدارس البنين والبنات ولكن يضاف الى ذلك ضعف التربية المنزلية وتأخر المجتمع من الوجهة الخلقية وضعف الرابطة التي يجب أن تكون بين رجال التعليم بعضهم وبعض من جهة ، وبينهم وبين المتعلمين من جهة أخرى ، وبينهم وبين الاباء من جهة ثانية . وعدم سعي رجال التعليم سعيا جديا في تشخيص الامراض الخلقية التي يصاب بها الطلبة ومعرفة الادوية الناجعة لها وبذل الجهد في علاجها كلما سنحت الفرصة — فكل هذه الامور مجتمعة قد أدت الى تلك الحال الاخلاقية التي لاتوازي الحالة العلمية الحسنة التي وصلت اليها البلاد .

والحقيقة التي لا مراء فيها أن الضعف الاخلاقي ظاهر جداً في هذه البلاد لدرجة أننا أصبحنا ونكاد نعتقد أن الغرض من التربية هو التعليم وتلقين المعلومات وملء رءوس النشء بالمواد المختلفة فقط بقطع النظر عن الوجهة التهذيبية وعن العناية باخلاق التلاميذ قبل العناية بعقولهم وأجسامهم — وهذا لعمري إهمال بين في الناحية الكبرى من نواحي التربية وهي الناحية الخلقية أو الروحية مع العلم بأن التربية الصحيحة يجب أن تعنى بالروح والخلق عنايتها بالجسم والعقل .

فلهذه الاسباب كلها أرى أننا في حاجة شديدة الى وضع نظام جديد للتربية يكون الغرض منه إصلاح هذه الاغلاط والتخلص من قيود الماضي ، فالحياة في تجدد والامم في تقدم ، ونحن لانزال متمسكين بنظام لم يتغير إلا قليلا عن أنظمة العصور الغابرة التي أخذناها عن غيرنا .

وسنتناول في الاعداد القادمة البحث في مواضيع أخرى متعلقة بالتجديد في التربية إن شاء الله تعالى

حامد عبد القادر

تاريخ البيمارستانات

فى العهد الاسلامى

للاستاذ البحاثة أحمد بك عيسى

— ٢ —

وكانت قاعات البيمارستانات فسيحة ومشيدة بأحسن البناء وكان الماء فيها جاريا (١)

وللبيمارستان صيدلية تسمى شرابخاناه ولها رئيس يسمي شيخ صيدلاني البيمارستان (٢)

وكان للبيمارستان رئيس يسمى ساعور (٣) البيمارستان ولكل قسم من أقسامه رئيس فكان فيه رئيس للطب ورئيس للجرائحية والمجبرين ورئيس للكحالة .

وللبيمارستان الفراشون من الرجال والنساء والمشارفون والقوام للخدمة أيضا (٤) ولهم المعاليم على ذلك .

المعالجة والدروس الاكلينيكية

كان فى البيمارستان حالان من المعالجة : معالجة خارج البيمارستان يأخذ المريض فيها دواءه يتناوله فى بيته ، ومعالجة داخل البيمارستان يقيم المريض فى اثنائها فى البيمارستان نفسه حتى يشفى من مرضه .

فاما المعالجة الخارجية فكان الطبيب يجلس فى أثنائها على دكة ويكتب لمن يأتى إلى البيمارستان ويستوصف منه للمرض أوراقا يعتمدون عليها ويأخذون بها من البيمارستان الأشربة والادوية التى يصفها (٥)

وأما المعالجة فى داخل البيمارستان فكان المرضى يوزعون على قاعاتهم بحسب أمراضهم ، وكان

---

(١) ص ٢٦٠ ج ٢ أصيبعة

(٢) ص ٣٠٩ ج ١ أصيبعة

(٣) الساعور مقدم النصارى فى معرفة علم الطب وهو بالسريانية ساعورا ومعناه متفقد المرضى

(٤) ص ١٥٥ أصيبعة ج ٢

(٥) ص ٣٤٢ أصيبعة ج ٢

لكل قسم من أقسام البيمارستان طبيب أو اثنان أو ثلاثة (١) بحسب اتساعه وكثرة عدد المرضى وكان إذا دعت الحال يدعى طبيب من قسم آخر للاستشارة (٢) وكان الاطباء يشتغلون فى البيمارستان بالنوبة فجبريل بن عبيد الله بن بختيشوع كانت نوبته فى الاسبوع يومين وليلتين (٣)

الدروس الاكلينيكية بالبيمارستان

قال موفق الدين أبو العباس بن أبى أصيبعة (٤) « كنت بعد ما يفرغ الحكيم مهذب الدين والحكيم عمران من معالجة المرضى المقيمين بالبيمارستان وأنا معهم أجلس مع الشيخ رضى الدين الرحبي فأعاين كيفية استدلاله على الامراض وجملة ما يصفه للمرضى وما يكتب لهم وأبحث معه فى كثير من الامراض ومداواتها » وقال « وكان معه (أى مع مهذب الدين) فى البيمارستان لمعالجة المرضى الحكيم عمران وهو من أعيان الاطباء وأكابرهم فى المداواة والتصرف فى أنواع العلاج فتضاعفت الفوائد المقتبسة من اجتماعهما ومما كان يجرى بينهما من الكلام فى الامراض ومداواتها ومما كان يصفان للمرضى » وذكر موفق الدين أبو العباس بن ابى أصيبعة (٥)

نقلا عن شيخه مهذب الدين عبد الرحيم بن على « انه كان معه فى البيمارستان الكبير النورى وهو يعالج المرضى المقيمين به فكان من جملتهم رجل به استسقاء زقى قد استحكم به وقصد الي بزله وكان فى ذلك الوقت فى البيمارستان ابن حمدان الجرائحى وله يد طولى فى العلاج فجزموا على بزل المستسقى قال فحضرنا وبزل الموضع على ما يجب » وذكر أن أبا المجد بن أبى الحكم (٦) كان يدور على المرضى بالبيمارستان الكبير النورى ويتفقد أحوالهم ويعتبر أمورهم و بين يديه المشارفون والقوام لخدمة المرضى فكان جميع مايكتبه لكل مريض من المداواة والتدبير لا يؤخر عنه ولا يتوانى فى ذلك قال و بعد فراغه من ذلك يأتى فيجلس فى الايوان الكبير الذى للبيمارستان وجميعه مفروش ويحضر كتب الاشتغال وكان السلطان نور الدين محمود بن زنكى قد وقف على هذا البيمارستان جملة كبيرة من الكتب الطبية وكانت فى الخرستانين (الدولابين) اللذين فى صدر الايوان فكان جماعة من الاطباء والمشتغلين يأتون اليه و يقعدون بين يديه ثم يجرى مباحث طبية و يقرىء التلاميذ ولا يزال معهم فى اشتغال

(١) ص ٢٤٢ و ٢٤٣ أصيبعة ج ٢ (٢) ص ١٧٩ أصيبعة ج ٢ (٣) ص ١٤٨ ابن القفطى
(٤) ص ٢٤٣ أصيبعة ج ٢ (٥) ص ١٧٩ أصيبعة ج ١ (٦) ص ١٥٥ أصيبعة ج ٢

ومباحثة ونظر فى الكتب الطبية مقدار ثلاث ساعات (١) ثم يركب إلى داره .

وكان بعض متقدمى الأطباء قد جعل له مجلساً عاماً لتدريس صناعة الطب للمشتغلين عليه .

وقد وقف مهذب الدين عبد الرحيم بن على سنة ٦٢٢ الدار التى له بدمشق وجعلها مدرسة يدرس فيها صناعة الطب ووقف لها ضياعاً وعدة أماكن يستغل منها ما ينصرف فى مصالحها وفى جامكية المدرسة وجامكية المشتغلين بها .

ولم يكن الاطباء يغفلون النظر فى أبوال المرضى فقد كانوا يسمون ذلك «القارورة» فما كان يعالج مريض دون نظر الطبيب الى قارورته ، ولهم فى نظرها آراء وعلامات يتعرفون منها حالة البول من صحة وسقم ونحن نقص الحكاية الآتية للدلالة على مهارة الاطباء وقوة استدلالهم وحسن استنتاجهم من حال البول . أراد الرشيد أن يمتحن بختيشوع الطبيب أمام جماعة من الاطباء فقال الرشيد لبعض الخدم أحضره ماء دابة حتى نجربه ، فمضى الخادم وأحضر قارورة الماء فلما رآه قال: ياأمير المؤمنين ليس هذا بول انسان ، قال له أبو قريش وقد كان حاضراً كذبت هذا ماء حظية الخليفة فقال له بختيشوع : لك أقول أيها الشيخ الكريم لم يبل هذا انسان البتة و إن كان الامر على ما قلت فلعلها صارت بهيمة ، فقال له الخليفة من أين علمت أنه ليس ببول انسان ؟ قال بختيشوع لانه ليس له قوام بول الناس ولا لونه ولا ريحه ثم التفت الخليفة الي بختيشوع فقال له ماترى أن نطعم صاحب هذا الماء ؟ فقال شعيراً جيداً فضحك الرشيد ضحكا شديداً وأمر فخلع عليه خلعة حسنة جليلة ووهب له مالا وافراً وقال «بختيشوع يكون رئيس الأطباء كلهم وله يسمعون و يطيعون» (٢)

وكانت للطبيب الحرية التامة فى العمل والتجريب واستنباط الاساليب المناسبة للعلاج وكانت هذه التجاريب تدون في كتب خاصة يقرأها الجمهور ، فقد كان لأبى البيان المدور المتوفى $\frac{\text{٥٨٠ هـ}}{\text{١١٨٤ م}}$ بالقاهرة كتاب فى مجرباته فى الطب وكان للساهر يوسف القس كناش وهو ما استخرجه وجربه فى أيام حياته (٣) ولافرائم بن الزفان تعاليق ومجربات .

ولابن العين زربى مجربات فى الطب ولأبى بن الفضائل الناقد مجربات في الطب .

ولابى المعالى تمام بن هبة الله بن تمام تعاليق ومجربات فى الطب .

وكان لبعضهم أنواع من العلاج هي من مبتكرات قرائحهم كعلاج أوحد الزمان أبى البركات

---

(١) ص ١٥٥ أصيبعة ج ٢ (٢) ص ١٢٦ أصيبعة ج ١ (٣) ص ٢٠٣ أصيبعة ج ١

هبة الله بن علي بن ملكا بالوهم (١) فمما يدل على مهارته في المعالجة والمداواة أن مريضاً ببغداد كان قد عرض له علة الماليخوليا وكان يعتقد أن على رأسه دناً وانه لا يفارقه أبداً فكان كلما مشى يتحايد المواضع التي سقوفها قصيرة ويمشي برفق ولا يترك أحداً يدنو منه حتى لا يميل الدن أو يقع عن رأسه وبقي مدة وهو في شدة منه وعالجه جماعة من الاطباء ولم يحصل بمعالجتهم تأثير ينتفع به وأنهى أمره الي أوحد الزمان ففكر أنه ما بقي شيء يمكن أن يبرأ به الا بالامور الوهمية (٢) فقال لأهله اذا كنت بالدار فأتوني به ثم إن أوحد الزمان أمر أحد غلمانه بأن ذلك المريض اذا دخل اليه وشرع في الكلام معه وأشار الى الغلام بعلامة بينهما أن يسارع بخشبة كبيرة فيضرب بها فوق رأس المريض على بعد منه كأنه يريد كسر الدن الذي يزعم أنه على رأسه وأوحى غلاماً آخر وكان قد أعد منه دناً في أعلى السطح انه متى رأى ذلك الغلام قد ضرب فوق رأس صاحب الماليخوليا أن يرمى الدن الذي عنده بسرعة الى الارض ولما كان أوحد الزمان في داره وأتاه المريض شرع في الكلام معه وحادثه وأنكر عليه حمله للدن وأشار للغلام الذي عنده من غير علم المريض فأقبل اليه وقال والله لابد لي أن أكسر هذا الدن وأريحك منه ثم أدار تلك الخشبة التي معه وضرب بها فوق رأسه بنحو ذراع وعند ذلك رمى الغلام الآخر الدن من أعلى السطح فكانت له وجبة عظيمة وتكسر قطعاً كثيرة ، فلما عاين المريض ما فعل به ورأى الدن المنكسر تأوه لكسرهم اياه ولم يشك أنه هو الذي كان على رأسه بزعمه وأثر فيه الوهم أثراً برئ به من علته تلك .

ومع الهمة الزائدة والتدبير الحسن والعناية التامة التي كانت لهم براحة المرضى فقد كان لهم من حسن الخلق وطول الاناة والتسامح مع المرضى الشيء الكثير .

فقد كان أبو الحسن سعيد بن هبة الله (٣) يتولى مداواة المرضى بالبيمارستان العضدي وانه كان يوماً بالبيمارستان وقد أتى الي قاعة الممرورين يتفقد أحوالهم ومعالجتهم واذا بامرأة قد أتت اليه واستفتته فيما تعالج به ولداً لها فقال «أن تلازميه بتناول الاشياء المبردة المرطبة فهزأ به بعض من كان مقيما في تلك القاعة من الممرورين وقال هذه صفة يصلح أن تموها لاحد تلامذتك ممن يكون قد اشتغل بالطب وعرف أشياء من قوانينه وأما هذه المرأة فأي شيء تدري ماهو من الاشياء المبردة المرطبة وإنما سبيله أن تصف لها شيئا معينا تعتمد عليه »

(١) ص ٢٧٩ و ١٢٧ أصيبعة ج ١ (٢) ص ٢٧٩ أصيبعة ج ١ (٣) ص ٢٥٤ أصيبعة ج ٢

فلم يتحرج الطبيب من هذا القول، ولا غرابة فقد كانوا من العلم والفهم وعلو النفس وسمو الخلق على شيء كثير، فأوصلتهم صفاتهم هذه الى أعلى مكان فقد كان القاضي ابن المرخم يحي بن سعيد الذى صار أقضى القضاة فى الايام المقتفية ببغداد طبيبا فى المارستان المحمول وفصادا فيه (١) والامام العالم علامة زمانه أفضل الدين أبو عبد الله محمد بن ناماوار الخونجى قد تميز فى العلوم الحكمية وأتقن العلوم الشرعية وفى آخر أيامه تولى القضاء بمصر وصار قاضى القضاة بها وبأعمالها توفى سنه ٦٤٦ (٢) وصار سعيد بن البطريك بطريكا بالاسكندرية (٣)

طبيب مكفوف

كان تعلم الطب مكفولا لأى من كان مبصراً أو مكفوفا ذكراً أو أنثى فقد كان أبو الحسن على ابن ابراهيم بن بكس طبيباً مكفوفا وكان فاضلا عاملا بصناعة الطب متقنا لها غاية الاتقان وكان يدرس الطب فى البيمارستان العضدى ويفيد الطالبين وكاق إذا أراد معرفة سحنات الوجوه وحال بول المرض حول على من يكون معه من تلاميذه فى وصفه ذلك (٤)

وكانت زينب طبيبة بنى أود من الماهرات فى صناعة الكحالة عالمة بصناعة الطب والمداواة ولها خبرة جيدة بمداواة آلام العين والجراحات. مشهورة من العرب بذلك ذكر ابو الفرج الاصفهانى فى كتاب الاغانى «قال رجل من الاعراب أتيت امرأة من بني أود لتكحلنى من رمد كان أصابنى فكحلتنى ثم قالت اضطجع قليلا حتى يدور الدواء فى عينيك فاضطجعت ثم تمثلت قول الشاعر:

أمخترمى ريب المنون ولم أزر طبيب بنى أود على النأى زينبا

فضحكت ثم قالت أتدرى فيمن قيل هذا الشعر؟ قلت لا قالت فى والله قيل وانا زينب التى عناها وأنا طبيبة بنى أود أفتدرى من الشاعر؟ قلت لا قالت عملة ابو سماك الاسدى (٥)

(للبحث بقية) أحمد عيسى

---

(١) ص ٤٠٥ ابن القفطى
(٢) ص ١٢٠ أصيبعة ج ٣
(٣) ص ٨٦ أصيبعة ج٢
(٤) ص ٢٣٦ ابن القفطى
(٥) ص ١٢٣ أصيبعة أول

صفحة من زابور الاجتماع

النفس المادية والنفس الروحية

نعلم أن الحقيقة المجردة عن الخيال لا تأخذ من النفوس مأخذاً ولا تترك فى القلب أثراً أكثر منها فيه وأحسب أن تعليل ذلك ما نراه مطوياً تحت دخائل النفس من عقائد ومذاهب وآراء ، وإنما هو أثر من آثار الخيال الذهنى فما الحقيقة إلا بنت الخيال ، فمن ذلك مثلا أن فى طبائع الامزجة والنفوس ماهو أن النفس المادية أحط شأناً وأصغر قيمة فى جوهرها ومعناها من النفس الشعرية ، فان الظاهر الذى يبدو لنا فى الحياة أن السعادة لازمة ضرورية من لوازم الانس ، ولمناسبة اشتقاق الانسان من كلمة الانس كان بطبيعة الحال — ولا خلاص من تلك الطبيعة — حب المال والغلو في تقديسه بقدر ما هنالك من الشقاء.

ولأن التقدير للشيء يرجع الى إسناد عدم الحصول عليه. بيد أن هنالك تفاوتا فى حب المال وتقديره ، هذا مع علمنا بأن الانسان مادى حسى يعلم أن ليس هنالك سعادة بغير المال ، وإنما ذلك التفاوت فى التقدير يرجع الى مصدر واحد هو تعداد الأمزجة لنفوسها ولان النفس كما تقدم نفسان : نفس مادية ، وأخرى روحية مكتئبة . الاولى تقف عند مظاهر الحياة ومرآئها إذ تنظر الى الاشياء من حيث قيمتها لا من حيث جوهرها ومعناها فأصبحوا بذلك أقل حرارة وأخف ثوراناً في العواطف النفسانية . إذ الشعور راكد لا تثيره شتى العواطف والدروس الحيوية ، فهم أبداً ساكنون الى الحياة والاحياء لا يحفلون إلا بمطالبهم ومطامعهم فيها ماداموا قد هجروا عالم الروح ، وما به من آمال وأمان ولذة لاهوتية الى عالم المادة ذلك العالم المنظور المحسوس الذى لا يملأ العين منه إلا الثرى .

فالنفوس تتمايز فى تحديد السعادة للاجساد التى تحملها وترجع فى ذلك الى مجاراة أهوائها والأمزجة فى تهافتها على بدرات الحياة ، ومنها ترجع الى أهوائها تلك التى تكون شقاء أو سعادة . من ذلك أن أصحاب النفس الثانية هم الذين سكن نفوسهم الالم وهى فارغة وملء بطونهم وهي جائعة بعوامل وظروف أدت الي جعلهم يرون فى مصارعة الحياة بشرورها لذة لا تعدلها لذة وفرح لا يعدله سرور ، فلا يخضعون للحوادث مهما ملئت بدروس قاسية . ولا تذل لها نفوسهم ولا تلين أمامها عزائمهم ، إذ يرون فى ذلك قبساً ينير طريقهم الى حيث طريق سراب

الخيال ومدينة الخلود و بذلك يخرجون للعالم آراءهم ونظرياتهم فى أسفار ضخمة بها تعدد العلوم والمعارف . فهم الذين صفت قلوبهم فأصبحت صوراً صغرى للعالم السامي ، يرى فيهم الرائى الخبير واضحاً والدموع منهلة والاخلاص مجلواً ، فهم أصحاب الملكات الشعرية الحساسة يبكون لبكاء البؤساء المنكوبين وتدمع عيونهم سروراً لضحكات الطفل الطاهر و يلتهبون شوقاً الى استماع كلمة الفضيلة من فم العذراء ، و بسمة الفرح من الاشقياء ، فهم الذين قد أشرقوا على الطبيعة شموساً وأقماراً فأخرجوا بدائع رائعة وفنوناً مجهولة ومزايا حقت لهم منذ بدء الخليقة ، فنحن مدينون لهم بتلك الايادى البيضاء التى كان لها الاثر والفضل فى بعث تلك المعارف وافادة المجتمع بفوائدها . أولئك هم أصحاب النفس الروحية المكتئبة الذين هم ببكائهم سعداء و بتطرفهم فى اعتزالهم الحياة ومخاصمة الاحياء والنفور منهم فى هناءة .

ولعل الظاهر الذى أثار فى نفوسهم حب مصارعة الحياة والتجلد أمامها والاستعانة على الكفاح بالكتابة أو الشعر أو الموسيقي أو بأى الفنون هو ما يتصورونه من أن الشقاء فى هذا العالم ضرورى ومن لوازم النوع الانسانى ولا سبيل إلى التخلص منه إلا من طريق العدم المحض والفناء اللانهائي .

وتلك صورة تمثل لك ذلك واضحاً جلياً هي من صنيعة صاحب النفس الروحية المكتئبة أبى العلاء المعرى إذ يقول :

ألا تفكرت قبل النسل فى زمن به حللت فتدرى أين تلقيه ؟
ترجو له من نعيم الدهر ممتنعاً وماعلمت بأن العيش يشقيه ؟

وأصحاب النفس الروحية لا يريدون من المرأة التمتع بجسدها البض بل يرون فى طلب نفسها الكامنة فيها ما يغنى عن الشهوات ، فهم أبداً مؤمنون بالازلية وخلود الارواح ، نعم إنهم لا يطلبون من المرأة صلة الزوج بالزوجة بل صلة القلب بالقلب ، فما أحسن تلك النفوس التى لها من أهوائها شرائع حكيمة ونواميس سديدة الخطوات .

و إننا لنراهم غرباء عن هذا العالم الان من خلالهم أن يزدروا كل لذة إلا لذة الحب وكل جمال غير جمال الادب والخيال مع كساد نراه وعدم رواج فى حب الآداب والافتتان بها . وبحكم التحليل والبحث نرى أن من العادات الذميمة فيهم كثرة العزة النفسية لحد لا يوصف به غيرهم دون سواهم مما يجعلهم لا يستطيعون تحايلا لعيشتهم . ومثال ذلك ماقاله صاحب النفس المكتئبة أبو العلاء المعرى :

وأقصاني عن الرؤساء كوني   وكونهم لخالقنا عبيداً

فالنفس المادية لا تلتئم بالنفس الروحية بحال من الاحوال، ولا تجد السعادة بقربها والهدوء بجانبها ، فمن ذلك نرى وكثيراً ما نرى أن من أكبر الهفوات التى لا تغتفر فى مسألة الزواج أن الناس يتساءلون عن الجمال والمال والنسب غير مبالين بأساس وعماد كل تلك الاشياء والمطالب ألا وهو دراسة مزاج كل من العروسين قبل الاقتران ، فلا يهولن الرجل من الرجل أنه سرى كبير أو قائد عظيم أو ملك قدير ، فكل أولئك ماديون فى مطامعهم وما الدموع عندهم إلا من صفات الاطفال ، وما كلمة الحظ إلا من مترادفات الالفاظ ، وما الشعر والشعراء إلا أداة للبطالة والكسل ، فهم أبداً ينظرون إلى الاشياء نظرة المستهتر بتكوينها كأنما يظنون أن الذى منحهم ظروفا سعيدة ستدوم أمداً بعيداً ، فهم مخطئون إذ لا دائم إلا صداقة الفقر ، ولا رابطة تربط الامم إلا صلة الانسانية لا وثاق التجارة والاستعمار .

لهذا كان الفضل راجحاً للنفس الروحية حتى فى التفكير فى بدائع المخلوقات ومعرفة الخالق . ولذلك نجد أصحابها يقدرون عظمة الله ويؤمنون بها أكثر إيماناً من الماديين ، إذ الماديون يعتمدون فى تفكيرهم على نظم وضعية وليس تفكيرهم إلا تفكيراً تجريدياً ولا قيمة لمثل هذا ، إذ التفكير الصحيح الدخول به الى ساحة الفن والمجادلة وبذلك كان الماديون أشبه بالانعام يعيشون ليأكلوا عكساً للروحيين الذين يأكلون ليعيشوا . وتلك الفكرة عن النفسين المادية والروحية ليست مجرد استدلال منطقى ولكنها شيء واقع فى نفس ألوان الحياة الاجتماعية فالقلم يتكلم عن موضوع لا يختص ببلد واحد ومدينة دون سواها ، وإنما يتكلم عن بحث موضوع عالمى تكون الفائدة منه أتم لو انبرى الأفاضل فى الكتابة عليه والوقوف على أحسن طريق وأنجع علاج لمعالجة الامزجة لنفوسها ، ولظهر لنا أثر حسن من نتيجة تفكيرنا فى ذلك ، وإتماما لما سلف من القول نقول إن الماديين أشبه بالمملكة الحيوانية التى قسمها العلماء إلى ذوات الدم البارد وذوات الدم الحار فمن أمثلة النوع الاول السمك الذى هو صورة صغرى للماديين فى عدم تأثرهم بالعواطف أما أصحاب النفوس الشعرية فهم كالقسم الثانى من المملكة الحيوانية ذلك القسم الذى من ذوات الدم الحار والذى تنتمى إليه الطيور المتأثرة بالعواطف والحيوانات الثديية . ومن تلك الوجهة كان الخطر على المجتمع عظيما إذ أن أصحاب النفوس الشعرية لا يصلحون لسياسة الشعوب وحكمها وغير ذلك من الضرر الذى يحدثه الماديون إن وضعوا فى غير ما لا يليق بهم من استغلال المواهب . وبذلك يصبح مصير الامم والشعوب خاضعاً لتعداد الامزجة واختلاف

الاهواء وتحت رحمة المطامع والأمانى . وهذا هو مصدر الخلاف وسوء التفاهم بين الدول قديما وحديثاً وبذلك نتجت الحروب . فقضية واحدة من ملك مادي فى سبيل اهوائه تقلب كيان النظم وتحطم كيان الدساتير وتضع الحكام على أبواب كارثة . وهذا ما أصبح تفكيرا يحسب حسابه ويرصد جوه إذ فى تعداد الامزجة ومجاراة الاهواء ماقد يقذف بهدوء العالم إلى هوة الفزع ، وإنه لظاهر لنا أثر اختلاف الامزجة من قديم الزمان وسالف العصور حينما كان الناس قطعانا من الوحوش يسكنون الغابات وذلك مانراه واضحا فى قصة هابيل وقابيل ، ولأن مثل المعرى الشاعر الرومانتيكى الذى يحرم الزواج بقوله :

هـذا جناه أبى على وما جنيت على أحـد

لا يصح البتـة أن يكون ملـكا . وإن كانت هناك عوامل فعالة قد جعلته ملـكا إذا لـكان من جراء فكرته تحريم الزواج وأمره الناس بالنزول عند طاعته ، ماهو إلا أن يغير نواميس الطبيعة البشرية ولحصل هناك مأساة يتحدث بها لسان الدهر .

ولو قدر الله مثلا لفكرة افلاطون فى مدينته التى تخيلها وكتب عليها ـ لو صح أن قدر لها بالظهور والعمل بها لكان إذن كل شىء اشتراكى من مال وامرأة ملك شائع لكل انسان ولكان هناك من يجامع نساء أبيه وأخيه . وعلى هذا أقريبا كان أم بعيداً لا يصل الباحث إلى دواء ناجع لمداواة الانفس .

وأما وقد محى العـالم السواد الاعظم من أصحاب النفوس الروحيـة وأصبح العالم كله يعبد المادة ويسجد أمام وثن ملاحتها أصبح الكاتب أو الباحث لا يفرق بين نفس البائع أو العامل أو الملك إذ أن لكل من تلك الانفس مأربا واحداً ومحورا يدور حواليه ألا وهو طلب المال والسعى وراءه وغض النظر عما يخالف ذلك من المطالب ، فأصبحنا نرى الا اختلاف بين المطامع ونبرات الاصوات والافكار إذ الـكل يرجع إلى مصدر واحد وهو المال وإننا لو أنعمنا النظر فى صفحات التاريخ لرأينا أن النفسين كان لها التأثير والاثر الاكبر فى سياسة العالم وحكمه ، ولوجدنا أن أصحاب النفس المادية أرسخ قدما فى الحـكم والحظوة والجاه وتعليل ذلك أن أصحاب تلك النفس لايؤمنون بما يقول أبو العلا المعري :

تعب كلها الحياة فما أعجب إلا من راغب فى ازدياد
إن حزنا فى ساعة الموت أضعاف سرور فى ساعة الميـلاد

بدوى طه علام

بعث جديد للثقافة الاسلامية

للاستاذ محمد المكي الناصري
عضو البعثة المغربية

للغرب قضية مرفوعة ضد الشرق، وللشرق الاسلامي ثقافة عظيمة هي موضوع التهمة في هذه القضية، ونحن واثقون أنه لو تقدم بثقافته الى الغرب وأحسن في تقديمها، لدفع اتهامه، وكسب احترامه، ولكن إذا كان اعتبار هذه التهمة باطلة، من الوجهة النظرية البحتة، أمراً سهلا لا يكلف غير قليل من الجدل والكلام، فان اعتبارها باطلة من الوجهة العملية، يكلف أبناء الشرق من الجهود المحترمة، والأعمال المنظمة مالا تستطيعه الافراد، وإنما تتوافر عليه همم الجماعات المختلفة، وتشترك فيه إرادات الامم المتعددة، ولعل تهمة الغرب من هذه الوجهة ستظل قائمة كما كانت، حتى يكشف الشرقيون عن جوانب ثقافتهم، ويعرضوا على الانظار جميع خصائصها ومزاياها، وحتى يجعلوها حديث الاوساط المتمدنة والهيئات العلمية في العالم من أقصاه إلى أقصاه، ولا أظن أننا سنصل في يوم من الايام إلى هذا الغرض السامي العظيم مالم تخرج مصادر هذه الثقافة كلها من مجاهلها فتصبح في متناول جميع الباحثين، ومالم نبعث ثقافتنا بعثاً جديداً على أيدي الكتاب والمدرسين، فنلقنها للعامة على أعمدة الصحافة، ونلقنها للخاصة من فوق منابر الجامعات، وأرى أن أهم الوسائل التي تساعدنا على بلوغ هذه الغاية تنحصر في ثلاثة أمور: (١) نشر مصادر الثقافة الاسلامية، (٢) نقدها والبحث فيها (٣) دراستها في الجامعات الشرقية، واعتبارها مادة أساسية في تعليم الشرقيين.

(١) أما نشر مصادر الثقافة الاسلامية فهو عمل كبير، يعوزه المال الكثير، ويحتاج إلى تأليف شركات للطبع على هذا الاساس، ونحن لسنا بغافلين عن الجهود التي تبذلها «دار الكتب المصرية» لنشر شيء من هذه المصادر، وإنما الذي نلاحظه أنها تقصر عنايتها في الغالب على نشر المصادر الأدبية، بينما الواجب أن توزع عنايتها بالتساوي على جميع فروع الثقافة الاسلامية، كما أننا نعلم أن هنالك «لجنة محترمة للتأليف والترجمة والنشر» قدمت لجمهور القراء مؤلفات قيمة، ومترجمات نافعة، ولكنها إلى الآن فيما أعلم لم تقم بنشر مصدر محترم، من مصادر الثقافة الاسلامية، ولا يزال أملنا قويا في عنايتها بهذا الواجب، ولا نغفل هنا أن

المستشرقين بذلوا جهوداً حسنة ، ونشاطاً عظيما فى هذه السبيل فواجب أن نستفيد من هذه الجهود بالطريقة التى ترضينا ، ولا مانع عندنا من أن نقدر نشاطهم أحسن تقدير . بل نحن نغبطهم على عناية حكوماتهم بتحقيق أغراضهم وإجابة رغباتهم : وأرى أنه لو قامت هيئة محترمة من بين الشرقيين ، وبحثت عن جميع المصادر الجديرة بالنشر والطبع ، لاحياء الثقافة الاسلامية ، وقدمت بذلك رجاء إلى ملوك الشرق الذين ورثوا عروش العباسيين والفاطميين والأندلسيين ، ترجوهم أن يتبرع كل منهم لطبع هذه المصادر بما تسمح به أريحيته ، ويرتضيه كرمه لتقدم ملوك الشرق أجمعون إلى هذه المأثرة برحابة صدر وسماحة نفس ، ولقلدهم فى ذلك السراة الشرقيون من أمراء وزعماء ، ولرأيت مكاتب الباحثين قد امتلأت بمصادر البحث وأسس الاحياء . وتستطيع هذه الهيئة وقتئذ تأسيس « بيت الحكمة » من جديد . وتكون نفقاتة مشتركة بين الحكومات الشرقية و بين ملوك الشرق . فيقوم « بيت الحكمة » بعملية التصحيح والنشر ، كما كان يقوم من قبل بأعمال الترجمة والتأليف .

٢ — وأما الكتابة عن الثقافة الاسلامية والبحث فيها ، فنظرا إلى أن هذه الثقافة تراث مشترك بين شعوب إسلامية كثيرة ، أرى من الواجب على كل شعب ساهم في هذا التراث ، أن يقوم على العناية بسهمه قبل كل شىء ، وأن يجتهد لتحديد نصيبه الخاص من هذه الثقافة تحديداً تاماً ، فمصر مثلا يجتهد مفكروها وأهل العلم فيها أن يخرجوا لنا أبحاثا علمية ومؤلفات قيمة تكشف الستار عن مفاخر « مصر الاسلامية » فى التشريع أو فى الادب : أو فى التاريخ أو فى الطب ، أو فى الفلسفة . وغير ذلك من أنواع العلوم . و « المغرب الاسلامى » يجتهد أبناؤه فى عرض مفاخره الفكرية ، على جميع أبناء الشرق الآخرين ، وبهذا الأسلوب وشبهه من « توزيع العمل » يتمكن أبناء الشرق الاسلامى من إحياء ثقافتهم فى زمن غير طويل ، ويجب أن ينظر الى هذا الاقتراح ، على أنه وسيلة من وسائل تنظيم الجهود وتوزيع الواجبات لا أقل ولا أكثر ، وليس هذا دعوة منا الى استئثار كل شعب بمفاخره الخاصة ، والاقتصار على دراسة نصيبه الخاص ، فهذا ما لا نريده أبداً ، بل ولا يمكن أن يكون ، وإنما قصدنا حفز الهمم وإثارة العزائم ، حتى ينهض أعضاء العائلة الشرقية باحياء رجالها وبعث ثقافتهم بطريقة علمية مقبولة ، ونحن لا نجهل ما يلزم لهذه الابحاث من صبر طويل وجلد لا ينفد ، ونعرف تمام المعرفة أن الثقافة الاسلامية واسعة الجوانب ممتدة الاطراف وانها لاتزال كما تركها الاسلاف ، غير ممهدة التمهيد الكافى ، ولا منظمة التنظيم الواجب . وأن كثيراً من

مصادرها تختلف أساليبه عن أساليبنا ، ومناهج بحثه عن مناهجنا ، ولكن صعوبة العمل لا تقوم عقبة في سبيل الواجب ، بل هي عندي أهم الاسباب التي تدفع الشرقيين الى التعاون جميعا على القيام بهذه المهمة الكبرى و « يد الله مع الجماعة »

٣ — وأما إحياء الثقافة الاسلامية من جهة الدرس والتعليم ، فهو عمل عظيم يلقى على عاتق الجامعات القائمة الآن في الشرق ، والتي ستقوم فيه من بعد ، فواجب على جامعات الشرق الاسلامي أن تضع على رأس دراساتها دراسة « تاريخ المجهودات الفكرية » التي بذلها المسلمون في كل فرع من فروع المعرفة ، وأن تكون هذه الدراسة أساسية في كل جامعة من هذه الجامعات . وأن تقام فيها ما بين حين وحين ، حفلات تذكارية لاحياء ذكرى طبيب أو كيماوي أو فيلسوف أو أديب أو زعيم من زعماء الاصلاح ، وهكذا ، حتى يعرف الشرقيون مقدار نبوغ آبائهم ، ويؤمنوا بأن لهم وجودا مستقلا في عالم العقل والتفكير والاكتشاف .

ولاشك أنه من الغريب جداً أن توجد جامعة شرقية ، تدرس الطب والعلوم والفلسفة والآداب والتاريخ والقانون فيعرف طلبتها نظريات الغربيين في هذه الفروع جميعها ، دون أن تجعلهم على بصيرة تامة بنظريات أجدادهم الشرقيين في هذه العلوم نفسها ، ومن غير أن تكشف لهم عما وضعوه من أسس المدنية الحديثة والعلم الحديث ، حتى ليخيل الى بعض هؤلاء الطلبة أن المدة الطويلة التي كان فيها أسلافهم ، إنما هي فترة ملغاة من حساب الزمن ، وأنها فترة جهالة وعماء ، لا تدخل في تاريخ الانسانية المتمدنة !! ولولا الجهل بالثقافة الاسلامية ، لما أخذ هذا الفريق باعتقاد باطل كهذا الاعتقاد . فواجب ، في كلية الطب ، أن تكون مادة تاريخ الطب في الاسلام مثلا ، مادة اجبارية على الطلبة ، يعرفون منها مشاهير رجال الطب وابحاثهم وا كتشافاتهم واصطلاحاتهم الفنية ، وما قدموه للطب من خدمات في مختلف فروعه ، وفي كلية الآداب ، يجب أن يدرس الى جانب الدراسات الفلسفية الغربية المطولة ، تاريخ الفلسفة الاسلامية بجميع فروعها ومذاهبها واصطلاحاتها ، والى جانب الدراسات التاريخية الوصفية تاريخ المؤرخين الاسلاميين أنفسهم وعرض مناهجهم التاريخية المختلفة وما وضعوه من فلسفة في التاريخ ، والى جانب الدراسات الجغرافية ، تاريخ الجغرافية في الاسلام ، وشرح اكتشافات الجغرافيين المسلمين ، وما ابتكروه من خرائط وصححوه من أوضاع هي أسس مهمة في هذا العلم ، وفي كلية الحقوق ، تدرس أصول القانون الاسلامي ، وفلسفة هذا القانون . ووجوه الابتكار التي امتاز بها بعض « المجتهدين » عن بعض ، وما ناسب هذا من الموضوعات التي لها صلة بالقانون ، وفي كلية العلوم ، يدرس مثلا تاريخ الكيمياء

عند المسلمين مع مشاهير رجالها وأهل النبوغ والاكتشاف فيها ، وبهذا نجدد ثقافتنا الاسلامية بطريقة عملية حية ، ونمنحها من البحث والدراسة والاحياء ماهي جديرة به بين الثقافات المختلفة ونخلق فى جميع أصناف المثقفين ، علميين وأدبيين ، أطباء ومحامين ، روحاً قوية مؤمنة ، ترمى الى وصل جهود المستقبل بنتائج الماضى فى سلسلة واحدة ، و بلسان علمي واحد وتنظر الي الاسلاف ، نظرة عطف و إنصاف ، وربما كان هذا النوع من الدراسة هو الميزة الوحيدة للجامعات الشرقية عن أخواتها الغربيات . والجامعة المصرية — فما أعلم — هى أول جامعة شرقية شرعت تتجه فى هذا الاتجاه ، وتسعى للوصول الى هذه الغاية ، وهى ماضية فى سيرها بهمة ونشاط ، ومن المنتظر بعد زمن غير طويل . أن يصبح للدراسات الشرقية مجال واسع فى كليات الجامعة . وأن توجه فيها عناية فائقة الى الثقافة الاسلامية ، بفضل أساتذتها الممتازين ، وادارتها الشرقية الحازمة .

ونحن إذا كنا حريصين على إحياء تاريخنا العلمى ، وبعث ثقافتنا الاسلامية ، فلسنا فى ذلك مبتدعين ولا مغربين ، ونظرة واحدة الى الجامعات الغربية نفسها ، ترينا كيف أن القوم لا تخلو أبحاثهم العلمية ، من فكرة وطنية مستورة وراءها . فلو ذهبت الى جامعة فرنسية مثلا لرأيت أن الاشخاص الذين ينالون حظهم من الدراسة والعناية ، والعرض القوى ، والذكر الحسن عند كل فرصة ، إنما هم فرنسيون لحماً ودماً وتفكيراً ، وأن أول ما يقدمه الاستاذ الفرنسى لتلامذته فى كل فرع من فروع المعرفة ، إنما هو تعريفه بالجهود الفكرية الفرنسية ونبوغ العقل الفرنسى فى ذلك الموضوع ، ثم يعرج بعد ذلك على رجال الالمان أو الانجليز ، فيلقى عليهم نظرة بسيطة ويمر بهم مرورا خفيفاً ، وليس ذلك إلا خدمة للعقلية الفرنسية . وسعياً الى بث الايمان بها فى نفوس الشباب الفرنسيين ، ولو جلست الي شرقى متخرج فى الجامعات الانجليزية مثقف بثقافتها ، لوجدته لا يحسن الحديث عن المفكرين الفرنسيين ، ولا عن الثقافة الفرنسية ، لانه درس رجال الانجليز وحدهم ، وآمن بعبقرية العقل السكسونى دون سواه من العقول ، وتعلم ، فى جملة ما تعلم ، أن يجحد قيمة العقلية اللاتينية ، وليس هو فى ذلك إلا صورة طبق الاصل لاساتذته الانجليز ، هذه حقيقه واقعية لا جدل فيها . يظهر أثرها فى الدراسات الجامعية كما يظهر أثرها فى نفس الكتب والمؤلفات ، فما بالنا نحن الشرقيين لا نقلد الجامعات الغربية فى روحها الوطنية التعليمية ، ونجعل جامعاتنا قائمة منذ البدء على هذا الاساس؟

وما بالنا لا نأخذ بمبدئها في إيمانها المطلق برجالها ومفكريها ، قبل الايمان بغيرهم والعناية بمن سواهم ؟

* * *

نحن لا نريد أن نقاوم الثقافة الغربية في جامعاتنا ، ونرفضها من دراساتنا رفضا باتا . وإنما نريد ، الى جانب دراستنا لثقافة الغرب ، أن نبدأ في خدمة « تاريخنا العلمي كما نخدم تاريخنا القومي » ، نريد أن يعرف أبناء الشرق الاسلامي آثار أجدادهم وجهودهم في سبيل المعرفة ، وأن يقدروا عقليتهم وعبقريتهم في جميع العلوم ، نريد أن لا يشعر أبناء الشرق أنهم في ميدان المعرفة لقطاء ، ولا فقراء ، ففاقد الحسب والنسب حقير أمام الناس وأمام نفسه ، وأسير الفاقة ، غريق دائما في بحر شقائه وبؤسه . نريد أن يؤمن أبناء الشرق بأن العقلية الشرقية عقلية خصبة ، موفقة في الانتاج عندما تواتيها الظروف ، نريد أن يربط أبناء الشرق حلقات الحضارة الانسانية ، بعضها ببعض ، فيعرفوا أن الثقافة الغربية التي تسلمها اليوم ، إنما هي بضاعة آبائنا ردت الينا ، مضافاً اليها جهود الغربيين ونتائجهم ، حتى نضيف اليها جهودنا ونتائجنا نحن أحفاد الشرقيين السابقين نريد أن نتعلم كيف نؤمن بنفاذ عقليتنا وحسن استعدادنا ، وأن تكون جامعات الشرق هي مبعث هذا الايمان ، وأن يكون مثلها الأعلى هو تخريج شباب يؤمنون بشرقيتهم وثقافتهم ، كما يؤمنون بوجودهم وشخصيتهم ، حتى اذا ما هضمنا ثقافة الغرب ، وجمعنا ما فيها من عناصر صالحة ، الى ما في ثقافة آبائنا من عناصر خالدة ، أخرجنا للانسانية ثقافة شرقية جديدة ، تمد سلسلة التاريخ الفكري للشرق . وفي الوقت نفسه تمثل عقلية الشرق ، ومزاج الشرق ، وتسيطر عليها روح الشرق ، وعند ذلك يستطيع الشرق أن يدفع أخطر تهم الغرب ، وأن يسجل انتصاره النهائي في ميدان المعرفة ، كما سجل انتصاراته الاولى في ميدان السياسة ، وتصبح حينئذ قيادة الانسانية ، بيد الشرق والشرقيين لا يجحدها جاحد ، ولا يعاندها معاند ؟

محمد المكي الناصري

طبيعة النفس العربية

بين المزاج العقلى السامى والمزاج الآرى

للاستاذ صادق برسوم مطر

(ليسانسيه فى الفلسفة)

— ٢ —

بينما كان « أرنست رينان » يؤلف كتابه فى تاريخ اللغات السامية الذى ضمنه نظرية فى مقابلة المزاج العقلى السامى بالمزاج العقلى الآرى وهى التى بسطناها فى المقال السابق ، كان مستشرق آخر فى المانيا اسمه « لاسن Lassen » يكتب أيضاً فى المقابلة بين المزاج السامى والآرى بنفس الروح و بنفس الأسلوب الذى كتب به رينان ، وهذا الاخير يشير الي ذلك فى هامش الفصل الاول من كتابه فى تاريخ اللغات السامية فيقول: إنه قد كتب هذا الفصل قبل أن يقرأ ما كتبه « لاسن » وإنه بعد ذلك قد دهش كثيراً حين رأى أنه قد توصل الي نتائج تكاد تتفق فى مجموعها مع ما كتبه « لاسن » ثم يقول إن لاسن قد رأى وهو مصيب فى رأيه أن صفة الشخصية La subjectivité هى الصفة الجوهرية لكل خصائص الساميين وأن صفة الانانية لم تظهر وتبلغ منتهاها عند أي شعب آخر كما بلغت عند الساميين وأن حياة العرب هى سلسلة من الاحقاد والضغائن والأخذ بالثأر .

ومن الذين تأثروا بآراء « رينان » مسيو ليون جوتييه Gaulthier أستاذ الفلسفة الاسلامية بمدرسة الآداب العليا بالجزائر . يقول جوتييه فى المحاضرة التى افتتح بها دروسه فى الفلسفة الاسلامية بالجزائر (وهي مطبوعة فى كتيب صغير تحت عنوان (La Philosophie Musulmane) ما يأتي : ومبدأ الوحدة الالهية هو أهم خصائص النفس السامية كما نعرفها منذ موسي ومحمد ، بل أليست النفس السامية هى التى اخترعت فكرة الوحدة الالهية ؟ أما الجنس الآرى أو الهندى الاوربي فانه لم يسم من تلقاء نفسه عن فكرة تعدد الآلهة .. و بين أولئك الأنبياء الكثيرين الذين دعوا لاله واحد وخالق واحد لانرى واحدا من الجنس الآرى فكلهم من اليهود عدا محمد . الذى هو من العرب . واذن فكل الانبياء بدون استثناء ينتسبون الى الجنس السامى .

« وفى هذه الظاهرة يمكن ملاحظة تأثير الجو بمعناه الواسع على نفسية الاجناس وتكوين الديانات التى تعتقد بها . فصحراء ، وسامى ، واله واحد ، هى ثلاثة الفاظ لاسبيل الى الفصل

بينها — وإذا ألقيت نظرة على مصورين جغرافيين للعالم القديم، أولهما يمثل مناطق الصحراوات والسهول باللون الاصفر مثلا، والآخر يمثل باللون الاخضر البلاد الاسلامية. فانك ستدهش حين ترى هذين اللونين المختلفين يكادان ينطبقان تماماً. وفي كل من المصورين سترى أن المنطقة الملونة عبارة عن مستطيل طويل يمتد من المحيط الاطلنطى غربا الى المحيط الهادى شرقاً مخترقاً كل أفريقية الشمالية وبلاد العرب وفارس وغرب الصين ولكنك ترى أن منطقة اللون الأخضر تتعدى منطقة اللون الاصفر فى بعض نقط مثل: تركيا أوربا والهند وغيرها ولكن من المستحسن أن نلاحظ هنا أن فى تركيا أوربا لا يزيد المسلمون على ٢٣ فى المائة من مجموع السكان، كذلك مسلمو الهند ليسوا إلا أقلية. فالدين الاسلامى يبدو إذن كدين للصحراوات التى نشأ بها»

«فلنتتبع شعباً ساميا آخر هو الشعب اليهودى الذى شتته الامبراطور الرومانى (أدريان) وهو الآن منتشر على كل سطح الارض، ولكنه فى عصر النبوات كان محصورا فى تلك الواحة الطويلة وهى مصر، ثم فى وادى الاردن الضيق بين البحر والصحراء — وموسى ويوحنا عمدان والمسيح كانوا ينطلقون إلى الصحراء المجاورة للتحدث مع الاله الواحد الذى يتكلمون باسمه. أليس صواباً إذن أن يقال إن التأمل فى الصحراء والتأمل فى الصحراء فقط وهى ذات منظر واحد لا نهائى هو أمر موافق لظهور فكرة الوحدة الالهية؟ ثم أليس حقاً أن يقال إن صحراء وإلهاً واحداً لفظان لا ينفصلان؟»

أما فيما يتعلق بارتباط لفظ سامى بهذين اللفظين فان الصحراء وبعبارة أخرى العالم الاسلامى آهل بالساميين. وقد وجد العرب من السهولة فى إخضاع الساميين الى الاسلام بقدر ما لاقوا من الصعوبة والفشل فى حمل غير الساميين على اعتناقه، وأكبر شاهد على ذلك هو إخفاقهم في نشر دينهم فى أسبانيا وجنوب غرب فرنسا وصقلية وهى بلاد قد خضعت المسلمين طويلا ومع ذلك كان عليهم أن يتركوها عاجلا أو آجلا الى الصحراء. وبالعكس من ناحية السودان نرى أن الاسلام يجد له دائما أتباعا من السكان الزنوج القريبين من الصحراء. ولكن تقدمه يقف فجأة عند حدود الغابات الاستوائية. وإذن فصحراء، وسامى، وإله واحد هى ثلاثة ألفاظ لا تنفصل. وأخيرا ختم جوتييه رأيه هذا بقوله: هذه النظرية تبدو جذابة بالرغم من أنها لا تفسر كل الوقائع.

هذا هو ملخص آراء دعاة السامية والآرية المشهورين وقد كان لهذه النظرية أو قل هذه الدعوى مؤيدون وأنصار كثيرون فى أوربا إبان القرن التاسع عشر، أما الآن فقد أصبحت نظرية عتيقة فاسدة ودعوى باطلة واهية.

فهذه النظرية أول الأمر ليست لها أية قيمة علمية لأنها ليست الا فرضاً من الفروض ، ومن الفروض التى لا سبيل الي تحقيقها بالتجربة و بذلك تخرج عن دائرة العلم — ذلك أنه من المتفق عليه عند المناطقة وفلاسفة العلوم أن الغرض هو فكرة يلجأ اليها العالم لتفسير ظواهر أو أشياء . وهذه الفكرة أو هذا الغرض اذا استطاع العالم أن يحققه بالتجربة أصبح قانوناً علمياً وأصبح من حقه أن يضيفه الى قضايا العلم ، و بالعكس فالفرض اذا لم يستطع تحقيقه تجريبياً أو كان بطبيعته غير قابل للتحقيق التجريبي فهو ليس علمياً على الاطلاق . وفرض السامية والآرية هو من هذا الضرب الاخير فهو ليس علمياً . وكل ما نستطيع أن نصفه به فهو أنه محاولة للتفسير ، فهل كانت هذه المحاولة موفقة ؟

لقد أشرنا فى المقال السابق الي اهتمام الاوربيين فى القرن التاسع عشر بالدراسات الشرقية بوجه عام والدراسات العربية والاسلامية بوجه خاص . وقلنا إنهم لكى يفسروا ما رأوه من الاختلال بين آثار الفكر العربى وآثار الفكر الاوربى قد فرضوا دعوى السامية والآرية وقارنوا المزاج العقلى السامى بالمزاج العقلى الآرى وقالوا أو قال عميدهم رينان : إن النفس السامية هي أدنى من النفس الآرية ، فهل كانت هذه المقارنة جائزة ؟

يعترف مسيو « ليون جوتييه » فى كتيبه السابق الذكر أن ما يعرفونه من آثار الفكر العربى لا يزال ضئيلا و يشير الى قلة النصوص المطبوعة وضآلة ما ترجم منها وندرة ما كتب عنها من المؤلفات النقدية وغير النقدية . هذا ما يقوله « ليون جوتييه » فى سنة ١٧٩٩ وهو اعتراف صريح منه بأن ما كانوا يعرفونه من الدراسات العربية والاسلامية فى آخر القرن التاسع عشر كان لا يزال ناقصاً وضئيلا .

وعلى ذلك فان ما كان معروفا من هذه الدراسات فى عهد رينان ولاسن قد كان بالضرورة أشد نقصا وأكثر ضآلة « لان رينان توفى سنة ١٨٩٢ ولاسن سنة ١٨٧٦ » . وإذن فدعاة السامية والآرية قد بنوا نظريتهم على مقارنة آثار الفكر العربى بآثار الفكر الاوربى فى الوقت الذى كانت فيه الدراسات العربية فى أوربا باعتراف أحدهم لاتزال ناقصة وقليلة ، والمقارنة فى هذه الحالة هي فكرة طائشة وسابقة لأوانها لأنها مقارنة شيء معروف لديهم بشيء لا يعلمون منه إلا القليل فهم لم يقارنوا فى الواقع آثار الفكر الاوربى بآثار الفكر العربى بل بما وصل اليه علمهم من آثار الفكر العربى ، ولم يصل علمهم إلا إلى شىء قليل منها . واذن فهذه المقارنة غير جائزة وهي باطلة فتكون النظرية القائمة عليها باطلة بالضرورة .

نعود الآن الى أقوال دعاة هذه النظرية لننقدها نقدا إجماليا — فأقوال رينان تتلخص فى أن

الساميين هم أصحاب دين وعقائد وأن الدور الذى لعبوه فى التاريخ هو دينى أكثر منه سياسي أو علمي أما الآريون فهم أصحاب علم وفلسفة وأصحاب نظم سياسية . وهو يرجع كل خصائص الساميين الى التوحيد والبساطة ، فالتوحيد هو سبب تعصبهم وعدم وجود التسامح الدينى عندهم وهو السبب فى أنه ينقصهم الاحساس بالتنويع ، فالتشريع السامي البحت لم يعرف الا نوعا واحدا من القصاص هو الموت ، والشعر السامى وخاصة الشعر العربى يعوزه الاختلاف والتنوع فموضوعاته محدودة قليلة العدد . أما صفة البساطة فانها تميز الجنس السامى من الوجهة المدنية والسياسية . ورينان يفسر ميل الساميين الي التوحيد والبساطة بالصحراء ، فالصحراء هى ملهمة الوحدانية ومبعث التوحيد لمنظرها الواحد المتشابه ، ويأتى بعده ليون جوتييه فيؤكد ذلك بقوله إن صحراء وسامى و إله واحد هى ثلاثة ألفاظ لا تنفصل . ولكن اذا كانت سكنى الصحراء هى السبب الذى من أجله نسب رينان الى الساميين تلك الصفات التى ذكرناها فيجب أن لا تنسب اليهم إلا على هذا الاعتبار أى أن هذه الصفات هى صفات أهل الصحراء وهى لا تنطبق على الساميين إلا فى طور واحد من أطوار حياتهم هو طور البداوة . أما اذا كان رينان وأصحابه ومن لف لفه يعتقدون أن هذه الصفات الصحراوية قد لازمت الساميين فى جميع أطوار حياتهم — أقول اذا كانوا يعتقدون ذلك وأكبر ظني أن هذا هو اعتقادهم — فانهم بذلك ينكرون تأثير البيئة وينكرون وقائع التاريخ ، ولا ينكر الحقيقة إلا جاهل أو متجاهل ذو غرض .

أما نقد أقوال رينان وأتباعه من جهة أنها تتضمن إنكار أو تجاهل أثر البيئة فى الشعوب فأنا أتركه لأحيل القاريء إلى دائرة المعارف البريطانية فهى تقول « إنه ليس من صواب الرأى مافعله رينان ولاسن باضافتهم صفات خاصة الي الجنس السامى هي فى الواقع ناشئة عن عوامل خارجية ، فهى نتيجة البيئة التى عاشوا فيها والظروف التى أحاطت بهم وإنهم لو عاشوا فى بيئة أخرى وفى ظروف أخرى لظهرت لهم صفات جديدة الخ »

أما عن مخالفة أقوالهم للتاريخ والواقع فأنا أكتفى بالاشارة الي حضارة العباسيين والعرب الأندلسيين وما نبغ منهم من العلماء المبرزين في الوقت الذي كانت فيه أوربا في سبات عميق كذلك أشير الي اليهود فمنهم الآن كثير من علماء أوربا وفلاسفتها و رجال السياسة فيها ، ويكفى أن أقول إن منهم برجسون كبير الفلاسفة المحدثين وايذشتين صاحب نظرية النسبية وكبير الرياضيين .

واذن فمن هذا النقد العام يتبين أن هذه النظرية لا أساس لها من الحقيقة ولا سند لها من الواقع . وهنالك مجال كبير لنقد أقوال رينان وأصحابه نقدا تفصيلياً ولكن يضيق المقام عن ذلك وأكتفى هنا بذكر خمسة أبيات من الشعر لحافظ بك ابراهيم يدفع بها حملة رينان على الشعر العربى وهذه الأبيات من قصيدته فى حفلة تكريم واصف غالي باشا بفندق شبرد سنة ١٩١٤ بمناسبة ترجمته بعض قصائد العرب الي الفرنسية قال مخاطباً واصف باشا :

محوت ما كتبوا عنا بقاطعة ... من البراهين فلتقول (رينان)
أنحى على الأدب الشرقى مفتريا ... عليه ماشاء من زور وبهتان
ظن الحقيقة فى الأشعار تنقصنا ... واللفظ والقصد والتصوير فى آن
وأننا لم نصل فيها الى مئة ... عدا وذاك لعى أو لنقصان
ولو رأى ابن جريج فى قصائده ... لقال آمنت فى سرى و إعلانى

النظرية اذن واهية وأكبر ظني أنها نتيجة عصبية وهوى . فرينان وإن كان معروفا عنه أنه ليس متعصبا دينيا ، إلا أنى لا أستطيع تبرئته من التعصب الجنسي . فتعصب الاجناس والالوان كان ولايزال شديدا . ألا ترى اليونان القدماء فى عهد حضارتهم كيف كانوا يطلقون على غيرهم لفظة برابرة وهي أقوى ما فى لغتهم من الفاظ الدلالة على التحقير ؟ وكيف أنه لم يشذ عنهم فى ذلك حتى معلمنا الاول أرسطوطاليس ؟ ثم ألا ترى الرومان وقد ورثوا حضارة اليونان كيف سلكوا سبيلهم واستعملوا لفظهم ؟ ثم ألا ترى العرب كيف كانوا يقولون: عرب وعجم ؟ فعربى ترادف عندهم الشرف والسيادة ، وعجمي ترادف الذلة والضعة . وأخيرا ألا ترى الامريكيين — حتى فى القرن العشرين — يقولون أبيض وأسود ؟ وهل فعل رينان وأصحابه غير هذا ؟ . فسامى وآرى هى شرقى وغربى . هذه الدعوى التى عبر عنها « كبلنج » الشاعر الانجليزى بقوله « الشرق شرق والغرب غرب والضدان لايجتمعان » — تلك الدعوى التى تعبر عن شعور الكثرة المطلقة من الاوربيين .

فنظرية السامية والآرية قد لاتكون إلا دعوى الشرق والغرب تحت ستار البحث العلمى ولكنه ستار شفاف ينم عما تحته « فكيف يدفع الشرق تهمة الغرب ؟ » لقد تكلم لنا فى هذا الموضوع وتحت هذا العنوان صديقى الاستاذ السيد محمد المكى الناصرى المراكشى فى مقاله الشيق بالعدد الماضى فأكتفى الآن بأن أقول جملة واحدة وهى أن ندفع تهمة الغرب بأعمالنا ، فالي العمل . صادق برسوم مطر

فلسفة سقراط

رأينا — في العدد الرابع من هذه المجلة — أن هم الفلاسفة الذين سبقوا سقراط كان موجهاً الى الكون وإيجاد السبب الاول الذى نشأ عنه واتخذ منه مظاهره المختلفة، ورأينا من بعد هؤلاء السوفسطائيون الذين هدموا البحث الموضوعي بشكوكهم ووضعوا مكانه البحث الذاتي واتخذوه أساساً يشيدون عليه قواعد الاخلاق وأسس العلوم ، وكان من نتيجة هذه الذاتية أن اضطربت نظريات الاخلاق وشوهت الحقائق فقد كان يصح فى نظرهم أن يقتنع الفرد بحقيقة ما مادام يراها حقيقة ولو اختلف الناس معه وكان اختلافهم صواباً وحكمة .

انتهت هذه الفلسفة الى سقراط فدرسها دراسة عميقة واستخلص منها فلسفة ولو أنها تمت الى الماضي بصلات قوية ، إلا أنها مغايرة له فى أهم مظاهرها ، بل هي حد فاصل بينه وبين الفلسفات الانسانية العظيمة التى تأسست عليها واستسقت منها وكانت طريقته فى نشرها أن يحاور الناس فى الطريق ، يتقدم اليهم متسائلا متجاهلا ثم يشعرهم بجهلهم ويدخل الشك الى قلوبهم ، وينتهى الحوار بأن يبذر فى نفوسهم بذور المعرفة الصحيحة ، وهو فى كل محاوراته لا يبتعد بهم عما يتصل فى عقولهم من مسائل الحياة ، ذلك لانه لم يكن يفرق بين تعاليمه الفلسفية وبين الحياة نفسها .

وتختلف فلسفة سقراط عن فلسفة القدماء فى أنها تركت التجوال فيما وراء الطبيعة والتنقيب فى العماء الاول ، وهبطت الي الارض تتخلل نفس الانسان . فأهم أغراضه أن يعرف نفسه ، ويعرف الفضيلة التى شغلت من أبحاثه المحل الاول ، وكان يفخر بجهله المظاهر الخارجية ، وينسب ما يعزى اليه من تفوق عقلي الى هذا الجهل .

وتختلف فلسفته كذلك عن فلسفة السوفسطائيين ، فقد اتخذ نفس الاساس الذى اتخذوا ليبني عليه الحقائق الا أنه وصل الى نتائج مضادة تمام التضاد مع ما وصل اليه السفسطائيون. هم اتخذوا من الذاتية وسيلة يهدمون بها الحقائق الخارجية واتخذها هو لتقرير الحقائق الخارجية . كان يسمو بالفكرة الفردية الي مبدأ عام ثابت له حقيقته وله استقلاله عن عقول الافراد وكان يصل إلى هذه الحقائق معتمدا على الاستدلال والتعريف المنطقي وقد قال ارسطو « مأثرتان تعزوان الي سقراط : وسيلة الاستدلال ، والتعريف المنطقي وهما اللذان بنى عليهما العلم »

فلسفة سقراط

رأينا — في العدد الرابع من هذه المجلة — أن هم الفلاسفة الذين سبقوا سقراط كان موجهاً الى الكون وإيجاد السبب الاول الذى نشأ عنه واتخذ منه مظاهره المختلفة، ورأى من بعد هؤلاء السوفسطائيون الذين هدموا البحث الموضوعى بشكوكهم ووضعوا مكانه البحث الذاتى واتخذوه أساساً يشيدون عليه قواعد الاخلاق وأسس العلوم ، وكان من نتيجة هذه الذاتية أن اضطربت نظريات الاخلاق وشوهت الحقائق فقد كان يصح فى نظرهم أن يقتنع الفرد بحقيقة ما مادام يراها حقيقة ولو اختلف الناس معه وكان اختلافهم صواباً وحكمة .

انتهت هذه الفلسفة الى سقراط فدرسها دراسة عميقة واستخلص منها فلسفة ولو أنها تمت الى الماضى بصلات قوية ، إلا أنها مغايرة له فى أهم مظـاهرها ، بل هي حد فاصل بينه و بين الفلسفات الانسانية العظيمة التى تأسست عليها واستسقت منها وكانت طريقته فى نشرها أن يحاور الناس فى الطريق ، يتقدم اليهم متسائلا متجاهلا ، يشعرهم بجهلهم و يدخل الشك الى قلوبهم ، و ينتهى الحوار بأن يبذر فى نفوسهم بذور المعرفة الصحيحة ، وهو فى كل محاوراته لا يبتعد بهم عما يتصل فى عقولهم من مسائل الحياة ، ذلك لانه لم يكن يفرق بين تعاليمه الفلسفية و بين الحياة نفسها .

وتختلف فلسفة سقراط عن فلسفة القدماء فى أنها تركت التجوال فيما وراء الطبيعة والتنقيب فى العماء الاول ، وهبطت الي الارض تتخلل نفس الانسان . فأهم أغراضـه أن يعرف نفسه ، ويعرف الفضيلة التى شغلت من أبحاثه المحل الاول ، وكان يفخر بجهله المظاهر الخارجية ، و ينسب ما يعزى اليه من تفوق عقلى الى هذا الجهل .

وتختلف فلسفته كذلك عن فلسفة السوفسطائين ، فقد اتخذ نفس الاساس الذى اتخذوا ليبنى عليه الحقائق الا أنه وصل الى نتائج مضادة تمام التضاد مع ما وصل اليه السفسطائيون. هم اتخذوا من الذاتية وسيلة يهدمون بها الحقائق الخارجية واتخذها هو لتقرير الحقائق الخارجية . كان يسمو بالفكرة الفردية الي مبـدأ عام ثابت له حقيقته وله استقلاله عن عقول الافراد وكان يصل إلى هذه الحقائق معتمدا على الاستدلال والتعريف المنطقي وقد قال ارسطو « مأثرتان تعزوان الي سقراط : وسيلة الاستدلال ، والتعريف المنطقي وهما اللذان بنى عليهما العلم »

ولكي نشرح تلك النقطة الهامة نقول إن سقراط كان ينتقل فى محاورته من بحث سلبي الى بحث ايجابى، كأن يسأل الناس كما يسأل الجاهل المتعطش الى المعرفة، فاذا أفضوا اليه بما تحوى به أدمغتهم من المعارف صب عليهم سيلاً من الاسئلة توقعهم بين الحيرة والارتباك وتكشف لهم عن جهلهم حقائق الامور وتبين لهم أن من الاشياء مايظهر سهلا بسيطا لايحتاج لبحث وهو فى الواقع من أعقد الامور وأعوصها ، هذا هو الجزء السلبي ، و إن كثيرا من محاورات سقراط التى وصلت الينا عن طريق افلاطون تنتهي عند هذا الحد .

وفى أثناء محادثته مع الذى يحاوره كانت تلوح له افكار لم تكن تخطر له على بال فهو يناقش عدة أمثلة و يلاحظ مابينها من تباين وتشابه واتصال وانقطاع ثم ينتهى به البحث والاستدلال الي تقرير الفكرة العامة كالعدل والسعادة وغيرها ، وهذا استدلال يرمى الى تعريف منطقى شامل جامع مانع .

قال ارسطو « اهتم سقراط بفحص طبيعة الفضيلة كأنه مسألة مسائل الفلسفة ولهذه الغاية سأل نفسه ما العدل ؟ وما الارادة ؟ لأنه كان يعتقد أن الفضيلة معرفة »

ولما كانت الفكرة يصح اتخاذها مرشدا لجميع الاعمال التي تصدر عن أجزائها كانت الفكرة هى الكائن الحقيقى للاشياء .

ولسقراط رأى فى الاخلاق كان له أثر جليل فى العالم النظرى والعالم العملى ، كان يري أن الفضيلة تنبع من المعرفة والعقل وحسن التمييز ، فالفعل الذي بلا ادراك عماء يتناقض مع نفسه والفعل الذى باعثه الادراك لا بد آت غايته ، و ينبنى على ذلك أن ليس هنالك شر يقع مع الادراك أو خير من غير الادراك .

و إنما الادراك الناقص هو الذى يهوى بالناس الى أعماق الرذائل ، ومن هنا نشأ القول بأن الانسان خير بطبيعته و إنه يساق لارتكاب الرذائل رغم إرادته ومن يفعل الشر و يصدر ذنبه عن معرفه وادراك خير من الذى يفعله وهو يجهله لأنه فى هذه الحالة صنع الخير بلا معرفة أو بمعنى آخر بلا فضيلة ، أما فى الحالة الاولي فقد أسيء استعمال الفضيلة ولكنها موجودة على كل حال .

وكانت نتيجة هذا الرأى منطقياً هى إيجاد وحدة لجميع الفضائل ، ولما كان فعل الخير هو فى الواقع إدراك عقلى انتهينا الى أن هذا الادراك هو واحد مهما كان اتجاهه مصوباً الى أى موضوع من مواضيع الفضيلة .

ولكى نشرح تلك النقطة الهامة نقول إن سقراط كان ينتقل فى محاورته من بحث سلبي الى بحث ايجابى، كأن يسأل الناس كما يسأل الجاهل المتعطش الى المعرفة، فاذا أفضوا اليه بما تحويه أدمغتهم من المعارف صب عليهم سيلاً من الاسئلة توقعهم بين الحيرة والارتباك وتكشف لهم عن جهلهم حقائق الامور وتبين لهم أن من الاشياء مايظهر سهلا بسيطا لايحتاج لبحث وهو فى الواقع من أعقد الامور وأعوصها ، هذا هو الجزء السلبى ، و إن كثيرا من محاورات سقراط التى وصلت الينا عن طريق افلاطون تنتهي عند هذا الحد .

وفى أثناء محادثته مع الذى يحاوره كانت تلوح له افكار لم تكن تخطر له على بال فهو يناقش عدة أمثلة و يلاحظ مابينها من تباين وتشابه واتصـال وانقطاع ثم ينتهى به البحث والاستدلال الي تقرير الفكرة العامـة كالعدل والسعادة وغيرها ، وهذا استدلال يرمى الى تعريف منطقى شامل جامع مانع .

قال ارسطو « اهتم سقراط بفحص طبيعة الفضيلة كأنه مسألة مسائل الفلسفة ولهـذه الغاية سأل نفسه ما العدل ؟ وما الارادة ؟ لأنه كان يعتقد أن الفضيلة معرفة »

ولما كانت الفكرة يصح اتخاذها مرشدا لجميع الاعمال التي تصدر عن أجزائها كانت الفكرة هى الكائن الحقيقى للاشياء .

ولسقراط رأى فى الاخلاق كان له أثر جليل فى العالم النظرى والعالم العملى ، كان يري أن الفضيلة تنبع من المعرفة والعقل وحسن التمييز ، فالفعل الذي بلا ادراك عماء يتناقض مع نفسه والفعل الذى باعثه الادراك لا بد آت غايته ، و ينبنى على ذلك أن ليس هنالك شر يقع مع الادراك أو خير من غير الادراك .

و إنما الادراك الناقص هو الذى يهوى بالناس الى أعماق الرذائل ، ومن هنا نشأ القول بأن الانسان خير بطبيعته و إنه يساق لارتكاب الرذائل رغم إرادته ومن يفعل الشر و يصدر ذنبه عن معرفه وادراك خـير من الذى يفعله وهو يجهله لأنه فى هـذه الحالة صنع الخير بلا معرفة أو بمعنى آخر بلا فضيلة ، أما فى الحالة الاولي فقد أسيء استعمال الفضيلة ولكنها موجودة على كل حال .

وكانت نتيجة هذا الرأى منطقياً هى إيجاد وحدة لجميع الفضائل ، ولما كان فعل الخير هو فى الواقع إدراك عقلى انتهينا الى أن هذا الادراك هو واحد مهما كان اتجاهه مصوباً الى أى موضوع من مواضيع الفضيلة .

وثمة نتيجة أخرى عملية وهى تعليم الفضيلة ما دامت معرفة وإمكان نشرها بين جميع الأفراد بالممارسة .



(سقراط الفيلسوف اليونانى)

وهكذا وضع سقراط الحجر الأساسى لنظرية الاخلاق ولكنه لم يحاول السمو بها ، وكان يحاول الوصول الى السعادة عن طريق الفضيلة ، ونهاية السعادة فى نظره أن يسمو فوق مطامع الحواس، وأن يتحرر من الرغبات فيرتفع الى مصاف الآلهة وأن يثق بقوة الروح .

وترى من وسيلة سقراط أنه لم تكن له مدرسة، وإنما كان له تلاميذ، وقد اختلف هؤلاء الاتباع فى فهم فلسفته الي حد التناقض مع بعضهم البعض ومعهم ومع سقراط نفسه .

وقد أنشأ ثلاثة من هؤلاء الاتباع أهم المدارس : الأولى المدرسة الكلبية وتتفق تعاليمها مع تعاليم سقراط فى أن الفضيلة معرفة يمكن تعليمها ، وهى مبنية على التخلص من الرغبات كلها حتى يتوصل الى السعادة ، وقد دعا ذلك بعض أتباعه الى الانزواء عن العالم والازراء بقوانينه وتعاليمه ومن أشهر هؤلاء ديوجونيس .

والثانية المدرسة القورينائية ، ومؤسسها ارسطيبس وكان يقول: إن السعادة هى غاية الوجود وفهم منها أنها اللذة ، فكل ما يوصل الى اللذة خير ، إلا أنه يلزم لذلك ألا يترك الانسان لشهوته العنان فتتحكم فى نفسه .

والثالثة المدرسة الميغارية . وقد عرفت الخير بأنه الكائن النقى، فليس مذهبها إلا تعبيراً سقراطياً طرأ على فكرة الاليين .

لم تتمم هذه المدارس فلسفة سقراط ، وإنما الذى تممها وزاد عليها وكون نظاماً فلسفياً عاماً هو أفلاطون . ولنترك تلخيص فلسفته الى مقال آخر؟

نجيب محفوظ

وثمة نتيجة أخرى عملية وهى تعليم الفضيلة ما دامت معرفة وإمكان نشرها بين جميع الأفراد بالممارسة .


(سقراط الفيلسوف اليونانى)

وهكذا وضع سقراط الحجر الأساسى لنظرية الاخلاق ولكنه لم يحاول السمو بها ، وكان يحاول الوصول الى السعادة عن طريق الفضيلة ، ونهاية السعادة فى نظره أن يسمو فوق مطامع الحواس، وأن يتحرر من الرغبات فيرتفع الى مصاف الآلهة وأن يثق بقوة الروح .

وترى من وسيلة سقراط أنه لم تكن له مدرسة، وإنما كان له تلاميذ، وقد اختلف هؤلاء الاتباع فى فهم فلسفته الى حد التناقض مع بعضهم البعض ومعهم ومع سقراط نفسه .

وقد أنشأ ثلاثة من هؤلاء الاتباع أهم المدارس : الأولى المدرسة الكلبية وتتفق تعاليمها مع تعاليم سقراط فى أن الفضيلة معرفة يمكن تعليمها ، وهى مبنية على التخلص من الرغبات كلها حتى يتوصل الى السعادة ، وقد دعا ذلك بعض أتباعه الى الانزواء عن العالم والازراء بقوانينه وتعاليمه ومن أشهر هؤلاء ديوجونيس .

والثانية المدرسة القورينائية ، ومؤسسها ارسطيبس وكان يقول: إن السعادة هى غاية الوجود وفهم منها أنها اللذة ، فكل ما يوصل الى اللذة خير ، إلا أنه يلزم لذلك ألا يترك الانسان لشهوته العنان فتتحكم فى نفسه .

والثالثة المدرسة الميغارية . وقد عرفت الخير بأنه الكائن النقى ، فليس مذهبها إلا تعبيراً سقراطياً طرأ على فكرة الايليين .

لم تتمم هذه المدارس فلسفة سقراط ، وإنما الذى تممها وزاد عليها وكون نظاماً فلسفياً عاماً هو أفلاطون . ولنترك تلخيص فلسفته الى مقال آخر ؟

نجيب محفوظ

الروح وماهيتها (١)

للسيد محمد الحريري

— ٢ —

جاء العلم الحديث مصدقاً لما ذهب اليه الفيلسوف بركلى من أن الكهرب أو «الالكترون» هو الجزء الذى لا يتجزأ من المادة ، لأن الذرة تتركب من جملة كهارب ، وأن هذا الكهرب مركب من جملة تموجات أثيرية . ولسنا نعرف على التحقيق ما هي طبيعة هذه التموجات ، فالتموجات كما هو ظاهر عبارة عن حركة دائمة . ويسهل إذن تصور الكهرب على اعتبار أنه حادث أى أنه غير ثابت . ومعنى الحادث هنا هو حصول التموجات والحوادث ، أى أن التموجات تتلاحق فيتراكم بعضها على بعض .

وزيادة فى التبيان أقول إن التموجات التى يتركب منها الكهرب عبارة عن نوع من القوى لا نعلم ما هو ، وما كنهه وطبيعته . ولكننا نعلم أن الكهرب يمتص الاشعاعات الضوءية ثم يلفظها ، ونعلم أنه يثب من هنا إلى هنا داخل الذرة . وهذه الاشعاعات التى يمتصها الكهرب هى التموجات التى تحل الموجة منها محل موجة أخرى ، ولا بد من مضى زمن تافه جداً بين حركة التبديل هذه (أى تبديل موجة بموجة) وبين حركة حلولها محلها .

إذن ليس ثمة شيء يسمى المادة ، وإنما هناك حوادث لا تخضع لقوانين معروفة لنا ، تجرى وفق إرادة خارجة عنها ، أي أنها مسيرة لا مخيرة ثم هى تجرى فى الفضاء غير متأثرة بالزمن ، وقد وصف الاستاذ ارنجتون الكهرب بأنه شيء مجهول يعمل شيئاً مجهولا ، إلى أن تقرر أن عنصر الكهرب — الذى يدرك أثره ، ولا تعلم حقيقته — منفعل لعنصر آخر أدق منه وأقوى ، وهكذا إلى أن يمكن القول بأن جميع المواد متلاشية فى قوى بعضها فوق بعض فى الدقة والخفاء حتي تصل إلى نقطة يمكن أن يعبر عنها بقوة مجهولة لا تعلم ، وهى فى حكم العدم بالنسبة لنا .

وهنا يتحقق قول من قال : إن العالم أبدعه الله من العدم إلى الوجود بقدرته غير المتناهية وهو المبدأ المقرر فى الشريعة الاسلامية من أول نشأتها . وقد أثبته العلم الحديث مكرها . وهذا الكهرب جزء من الأثير العام .

---

(١) راجع الجزء الخامس من هذه المجلة

الأثير

جاء فى كتاب المذهب الروحانى لعبد الله أباحى الذى نقله عن المجامع العلمية الاوربية والأمريكية بعد تجارب علمية لا تقبل الشك عند بعض من لهم خاصية الانطلاق الروحى يقظة أو فى حالة الانخطاف أو التنويم المغناطيسى قوله: إن الكون به مادة أثيرية غير خاضعة لنواميس المادة وهى أصل عناصر المادة، ولا تؤثر فيها أقوى رطوبة ولا أشد حرارة، ومنها تصدر المواد واليها تعود وتتلاشى فيها بعد تفاعلات فى جملة أوجه وصفات. وما الكهرباء والمغناطيسية والتشعع والراديوم واتصال التلغراف اللاسلكى إلا نتيجة اتصال بهذا العنصر الأثيرى بأى كيفية كانت، كآلات وحركات ميكانيكية على نظام خاص تحفظ بواسطتها بطارية كهربائية تحوى قوة دافعة مضيئة أو محركة كتفاعل انسان بطريقة مخصوصة أو فجائية ككثرة التأملات والتغذى بأشياء مخصوصة عند الهنود، أو كالرياضة عند الصوفية، أو كالتنويم المغناطيسى وما شابه ذلك.

هذا الأثير غير القابل للتلاشى والذى ثبت أنه مالىء لجميع الكون له من سرعة السريان والحساسية ما لا يخضع للزمن ويفوق سريان الضوء بما لا يتصوره العقل — ثبت عند علماء الروحانية أن الجسم الروحانى الملازم للروح بعد مفارقتها الجسد، مكون من هذا الأثير، لأن الجسم الروحانى برزخ بين الجسد والروح، كما أن الأثير برزخ بين المادة وما وراءها، وأن هذا الجسم الروحانى على شاكلة الجسم المادى ذرة ذرة، إذ أن الجسم ما نشأ إلا على منواله وتقديره كمنزل رسم ثم بنى على منوال ما رسم. وهذا الجسم الروحانى هو الذى ننتقل به فى الرؤيا المنامية فى جملة جهات، وتعمل جملة أعمال دون أن يفقد الجسم حياته، وما ذلك إلا باتصال هذا الجسم بأصل هذا الأثير العام الذى هو جزء منه وفيه يأخذ حكمه من عدم الخضوع لأحكام الزمان والمكان، إذ أن النائم يرى ويعمل فى الدقائق المعدودة ما لا يعمله فى عالم الحس إلا فى الشهور بل السنين، وما ذلك إلا لخضوع كل حالة لنا موسها، فسماع الاصوات البعيدة كأنها قريبة، أو رؤية البعيد قريباً، أو الانتقال إلى مكان بعيد فى لمحة، ليس هو فى الواقع خوارق عادات لناموس المادة، إنما هو توصل بمغناطيسية أو كهربة الجسم بأى حالة اصطناعية أو تعبدية للوصول الى هذا الأثير والاندماج فيه بحالة نفسية روحية، تجعل الانسان يفعل فى أقل الأوقات وأدقها مالا يعمله فى السنين وهو محبوس فى مادة الجثمانية.

باكتشاف هذا الأثير المالىء الكون وبايضاح خاصته من أنه غير خاضع لحكمى الزمان والمكان، وأنه سريع التأثر والسريان — باكتشافه تحل مشكلات كثيرة منها كيفية التخاطب بالتلغراف اللاسلكى، وهى عبارة عن وضع بطاريتين متقابلتين محتويتين على كمية من هذا الأثير أو من أثره

ثم اطلاق هذه المحتويات فى الفضاء بحالة فنية معلومة لدى أربابها فلا تلبث أن تتصل بهذا الاثير العام ، ومنه الى البطارية المشابهة فى الاحتواء والماهية ، و بوضع فنى مخصوص يحصل التخاطب . وهذا بعينه هو تخاطب الارواح من أمكنة بعيدة إذا اتفق روحان من انسانين على اتجاه خاص فى وقت خاص ، وهذا شىء أصبح فى حكم التواتر الآن ، بعد أن ذكره كثير من الصوفية وكان عند كثير من الناس فى حكم الخرافة ، وما نداء سيدنا عمر بن الخطاب لسارية الجبل يحذره من العدو إلا نوعا من هذا الاتصال الروحى ، وكان ما بينهما مسيرة أيام بل شهور على الأبل وقتئذ ، وقد سمع نداءه وانحاز لما أراد ، وطبعاً ما ناداه سيدنا عمر إلا بعد ما رأى حرج مركزه و إحاطة العدو به ، وفى هذا الاتصال الروحى الانسانى ما يعلو عن الاتصال المادى اللاسلكى ، إذ أن الانسان يرى و يسمع بروحه ما يغنى عن رموز آلة التلغراف اللاسلكى ، بل أكثر من هذا ثبت فى الروحانية أن الانسان يتنقل بروحه فى جهات بعيدة ، و يعمل أعمالا عجيبة ، وقد يكون جسم هذه الروح فى مكان أمام الناس وهو فى أقصى المعمور فى مختلف الاعمال . وهؤلاء الناس الذين حازوا هذه الخاصية هم المعبر عنهم بالأبدال فى عرف الصوفية والذين كنا نعد حكاياتهم ضرباً من الترهات ، قد ثبت الآن بالعلم الروحانى المؤيد بالبراهين المشاهدة لجمعيات علمية لاتقتنع إلا بالبرهان والشهود الحسى ومن هنا تحل مشكلة حياة الشهداء التي تخبط فيها المفسرون .

وفى كل العصور بل وفى عصرنا هذا وفى كل الطبقات من ذا الذى لم يشاهد أو يسمع على الأقل أن شخصا فى حالة ما ، فى حالة تفاعل روحى شاهد شخصاً كان بعيدا عنه فى أحد البلاد أنه أمامه ثم لم يلبث أن لا يراه ، وإذا قيد حركة ما رآه واستفسر عنه بعد ذلك عند مقابلته ، لوجده طبق ما رأى؟ وهذه الحالة تنمو وتثبت عند كبار المتريضين أو أصحاب الانطلاق الروحى الطبيعى منهم .

ثبت فى الروحانية أكثر من ذلك ، فقد أخبرت بعض الأرواح أن من هذا الأثير و بقوة إرادة الروح فيه يمكن إيجاد أى مادة فى الحال ، كايجاد زهور وفواكه وأقمشة وغير ذلك ، و إن كانت الارواح أخبرت أنه لا يقوى على مثل هذا الفعل إلا الارواح النقية الطاهرة بسماح من الله ، ولما سئلت الارواح عن كيفية هذا الايجاد قالت : إنه وجد بمجرد تسلط الارادة بالمطلوب ، ذكر ذلك العلامة و يليام كروكس غرة علماء انجلترا فى كتابه «مباحث الروحانية» فانه عمل هذه التجارب والامتحانات فى معمله نفسه بعد أن أخذ كل حيطة وتأكد من صحة ما حصل وعلى يد جمعية علمية . وفى سنة ١٩٠١ وسنة ١٩٠٢ اشتغلت الصحافة الايطالية بغرابة الامتحانات التى أقامها العلامة الخطير لامبروزو فى جنوا بصحبة العلماء مورسلى ولبرو والكاتب تاتلو ، مدير جريدة الجيل التاسع عشر .

وفى القرآن الكريم ما يشير إلى إمكان اجتماع الانسان بأحد الأرواح التى نقلت إلى العالم الآخر حيث قال الله تعالى « ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير » .

أقول إذا ثبت ذلك فى الروحانية الحديثة ، فهو حقيقة ما ذكر عن غرائب الصوفية والصالحين والذى كان يعده معظم الناس خرافة ، فقد ذكر الامام الشعرانى عند ترجمة الشيخ الفرغلى فى الطبقات الكبرى المدفون بأبى تيج أنه طلب منه جوز هندى من الهند - وهم فى أبى تيج - لأحد المرضى ، فأحضره فى الحال . وقد نظر الحاضرون فعلا شجرة هذا الثمر أمامهم ، وأخذ منها مطلوبه وكان الشيخ الفرغلى من أرباب الانطلاق الروحى أى مأخوذاً من صغره ومجذوباً .

وفى قرآننا الكريم ما يؤيد ذلك فى قصة السيدة مريم حيث قال الله تعالى « كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا » وقد أجمع المفسرون على أنه كان يوجد لديها فاكهة الشتاء فى الصيف وبالعكس ، مما أدهش نفس سيدنا زكريا عليه السلام ، لأنه كان يقفل عليها المحراب ولم يسمح لأحد بالدخول عليها والاختلاط بها .

كذلك ذكر الاستاذ الشعرانى فى طبقاته كثيراً من هذه الخوارق : كانتقال إنسان إلى أمكنة بعيدة وإحضار أشخاص أو أشياء من أمكنة بعيدة ، كما ذكر عن السيد البدوى وسيدى إبراهيم الدسوقى وأضرابهما .

وقد جاء فى القرآن الكريم ما يؤيد ذلك فى قصة إحضار عرش بلقيس من سبأ إلى بيت المقدس فى أقل من لمح البصر ، قال تعالى « قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك » وغاية ما هنالك أن قوة التأثير فى هذا الأثير تختلف فى القوة والضعف بحسب نقاء الارواح وقوة إمدادها بحسب الفطرة التى فطرها الله عليها ، وقد جاء فى الحديث القدسى « عبدى أطعنى أجعلك ربانياً تقول للشيء كن فيكون »

وفى هذا المقام يمكننا فهم قول الامام محيى الدين ابن العربى فى الفتوحات المكية « إنما خرق العادات رجوع إلى أصل العادة » وبمعنى أوضح نفهم أن الاصل فى الاقتدار الإلهى القدرة على كل شيء ، وللارواح - باعتبار أنها من أمر الله والتى سبقت هذا الاثير فى الايجاد والرتبة فضلا عن الحياة التامة والعلم بالذات - أن تؤثر فى هذا الأثير بما تريد فيكون ما تريد ، وذلك فى حدود الطاقة الروحية التى أمدها الله بها ، وهذه هى حالة أهل الجنة فى العالم الآخر ، توجد بالتمنى

والارادة . ولما خلق الله الكون الراسب الكثيف من العناصر الخاضعة للمقدار والكمية ولناموس الطبائع، من : حرارة ورطوبة ، وقدر أن يخلق من هذه المادة الكثيفة جسم الانسان ليكون مطية - لهذه الروح - اقتضت الروح أن تخضع لناموس المادة طالما هي مقيدة بها، فان تخلصت من هذه الرواسب والاثقال بأى حالة من التى ذكرناها آنفا ، رجعت الى فطرتها وأمكنها التسلط بالايجاد لأى شيء بمجرد الارادة، وهى المسماة «خرق عادة» والواقع أن الروح ما رجعت إلا لعادة فطرتها التى فطرها الله عليها، وما ثم خرق عادة لمن فقه هذا . ويقرب من هذا النوع عالم الجن الذى يقرب فى تكوينه من مادة هذا الاثير، لذلك لا تحكم عليه المادة، فهو يتخلل المواد الكثيفة إلى آخر ما هو مشهور ومعلوم ، وكذلك عالم الملائكة - وهم أرقى من عالم الجن - وكلا هذين العالمين لا يمكن أن يصلا لعالم الروح المجردة ، ونفس الجسم الروحانى كذلك، لأن الروح المجردة هى من عالم الأمر الصادر من القوة الالهية .

وعالم الامر هذا هو الوارد فى القرآن الكريم فى قوله تعالى « ألا له الخلق والأمر » وهو يعلو عالم الخلق ، وهو الملك والملكوت المشاهد والمعقول، وإن كان المعقول هذا فى عالم الملكوت غير المنظور قد يكون منظوراً لمن سبح فيه بجسمه الروحانى السابق التعبير عنه. ولا دخول البتة لعالم الامر إلا بالتخلص من نفس الجسم الروحانى المكون من مادة الأثير العام وأن يكون الانسان روحا مجردة فيمكنه أن يتصل بالعالم الذى برز منه وبالحالة التى كان عليها « ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » أى قلة فى العلم اذا كان نفس الثوب الروحانى للروح مخالف بالمرة للقواعد العلمية التى نعرفها فى المواد. وما متحصل سائر علومنا إلا بحث تلك المواد بجميع أنواعها . أي أن الله سبحانه وتعالى أحال علم كنه الروح على أنها من عالم الامر ، ولا يمكن تقريب فهم عالم الامر إلا بشرح ثلاث عوالم، طبقة بعد طبقة : عالم الجسمانية وهو الكون المنظور ،وعالم الروحانيات ويجمعها الجسم الروحانى وعالم الملائكة والجن وهم المتصلون بالاثير العام ، وعالم الارواح المجردة وهو أول ما انبثق من عالم الامر. هذه هى العوالم الرئيسية وإن كان كل عالم منها له اثواب عديدة تخلع للتخلص من الكثيف الى اللطيف إن حساً وإن معنى وهى المعبر عنها عند الصوفية الأقدمين بالنفوس السبعة او الحجب والمنازل والمقامات ، إلا أنها مهما تعددت لا تخرج عن هذه العوالم الثلاثة ملك — ملكوت — أمر . أى خلق وأمر . وسنتكلم عن ذلك فيما بعد ؟

محمد الحريرى

بالنيابة العمومية

الأم الثكلى

للكاتب الأمريكى واشنجتون إرفنج

(تعريب)

الأستاذ حسن شريف الرشيدى

ليس هذا العنوان بالترجمة الدقيقة لعنوان القصة ، ولكنه يعطينا صورة واضحة للقصة كلها التى تدور حول ثكل الأم وحنانها الأبدى . أما الترجمة الدقيقة للعنوان فهى « الأرملة وولدها » . وفى هذه القطعة يعطينا الكاتب صورة واضحة لثكل الأم الدقيق بعد أن تفجع فى ولدها وعائلها الوحيد فى أيامها الأخيرة . وقد أجاد الكاتب حقاً وليس لنا إلا المحاولة لإظهار إجادته هذه .

يقول الكاتب : كل من اعتاد ملاحظة ما يجرى حوله من دقائق الأمور لا بد وأن يكون قد لفت نظره هدوء المناظر الريفية الانجليزية فى يوم الأحد ، إذ يهدأ صوت المصانع ولا نسمع مطرقة الحداد ، أو صفير الحراث أو قرقعة عربات النقل ، وكذلك تسكن كل أصوات الاعمال الريفية الاخرى ، بل يلاحظ أيضاً قلة نباح كلاب المزارع لعدم انزعاجها بالمسافرين الذين يمرون عليها . فى مثل هذه الأوقات كثيراً ما يخيل لى أن الرياح نفسها تهدأ فى هبوبها ، وأن المناظر الطبيعية المشرقة بألوانها الخضراء الزاهية الذائبة فى الضباب الأزرق ، تشارك نفسها فى التمتع بهذا الهدوء المقدس .

وكأن العناية الالهية فرضت أن يكون يوم الصلاة يوم راحة . ولهذه الراحة المقدسة التى تتسلط على الطبيعة تأثيرها الخلاق ، فتهدأ كل عاطفة جامحة ، كما نشعر بأن نفوسنا تمتلىء بالقدسية الطبيعية . أما عن نفسى فكثيراً ما يعترينى إحساس فى الكنيسة الريفية وسط هدوء الطبيعه الجميل ، الذى قلما أجده فى مكان آخر . وإذا لم أكن بطبيعتى كثير التدين ، فانى أظن أنى فى يوم الأحد أكون أكثر تديناً منى فى أى يوم آخر من أيام الأسبوع .

وتذكرنى طرقات هذه الكنيسة القاتمة وتماثيلها البالية وحوائطها الخشبية الداكنة بظلام السنين الماضية ، وتجعل هذا المكان ملائماً للذكريات المقدسة . ولكن لقيام هذه الكنيسة فى جوار عامر بالغنى والثروة ، فقد نفذ اليها شىء من بهرج الحضارة وقلل من قداستها ، وكنت أشعر مرات عديدة أثناء الصلاة فيها ، بتشتت فكرى نحو أمور الدنيا ، وذلك من مظاهر الثراء والجمود الروحى للمخلوقات التى حولى . والكائن الوحيد فى كل المصلاة الذى ظهر أنه يشعر

تماما بالتقوى والتواضع الدينى هو امراة عجوز نحلها الكبر حتى لتكاد تسقط تحت ثقل السنين والأدواء ، وكان يظهر عليها آثار الفقر المدقع بينما تلمح فى مظهرها بقايا عز محتشم . كان ملبسها وضيعاً جداً إلا أنه غاية فى النظافة ، كما كانت تلقى ممن حولها شيئاً من الاحترام لأنها لم تأخذ مقعدها بين فقراء القرية بل جلست وحيدة على درجات الهيكل . ويظهر أنها عاشت بعد أن فقدت كل الحب والصداقة والألفة ، ولم يبق لها إلا آمالها فى السماء . وعندما رأيتها تقوم من مقعدها ، ويكاد الضعف يقعدها ثانياً ، ثم تحنى هيكل جسمها المحطم لتقرأ صلواتها فى كتابها المقدس الذى كانت تقبض عليه بيد تهتز من الضعف ، وتنظر اليه بعين كليلة لم تكن تسمح لها بالقراءة ، ولكنها تقرأ عن ظهر قلب ، شعرت ووثقت بأن هذا الصوت الضعيف الذى ينبعث من هذه المرأة المسكينة يصعد الى السماء مباشرة أسرع بكثير من ترانيم الواعظ أو صوت الأرغن أو أناشيد المرتلين .

شغفت كثيراً بالتجوال فى الكنائس الريفية ، وكانت هذه الكنيسة مقامة فى موضع جميل ، حتى إنى كثيراً ما شعرت بدافع يدفعنى لزيارتها . كانت ترتكز على تل مرتفع قليلا ، ينعطف حوله مجرى من الماء وينحنى فى التواء جميل ثم يسير بعد ذلك فى خط مستقيم ممتد وسط مراع ناضرة خضراء ، ويحيط بالكنيسة شجر السرو المرتفع جداً ، حتى ليخيل إلى الانسان أنه غرس وقت إقامة بناء الكنيسة ، ويظهر وسط هذا الشجر برجها الملتوى يحلق حوله كثير من الطيور مثل الغربان وغيرها . جلست مرة هناك فى صباح يوم مشرق فلاحظت رجلين من حفار القبور يحفران قبراً ، وقد اختارا أحد الأركان المهملة البعيدة من فناء الكنيسة ، حيث يظهر من القبور العديدة التى فى هذا الركن والتى لا أسماء عليها ، أن الفقراء والذين لا أهل لهم يدفنون هناك بدون عناية . ثم علمت أن هذا القبر الجديد هو للابن الوحيد لأرملة فقيرة .

وبينما كنت أفكر فى الفروق بين طبقات الانسان التى تلازمه حتى تلحقه فى التراب ، دق ناقوس الكنيسة معلناً قدوم مشهد الجناز . وكان مشهداً يدل على الفقر ، ليس فيه شىء من مظاهر الفخر والجاه . وكان النعش مكوناً من أبسط المواد الخشبية وليس له غطاء يحمله بعض القرويين . ويمشى أمامه قندلفت الكنيسة بهيئة جامدة ليس فيها شيء من مظاهر الرحمة ولم يكن فى المشهد هؤلاء الذين تعودنا أن نراهم يلبسون ثوب الحزن رياء ومداهنة ويبكون مجاملة ، بل كان هناك نائح حقيقى يسير متهدجا خلف الجثة ، وما هذا الباكى إلا الأم العجوز للابن الراحل ، وهى المرأة الفقيرة المسنة التى رأيتها قبل ذلك تجلس على درجات الهيكل . وكان يعينها على سيرها صديقة لها ، فقيرة مثلها ، تحاول جهدها أن تخفف من حزنها بكلمات

العزاء. وشيع النعش قليل من جيرانها الفقراء أيضاً، يجرى وراءهم بعض أطفال القرية يصيحون فرحين غير مبالين، وأحياناً يحملقون، تدفعهم غريزة حب الاستطلاع، فى الأم الثكلى. وعندما اقترب المشهد من القبر، خرج القس من باب الكنيسة مرتديا ثوبا أبيض وبيده الكتاب المقدس، يتبعه مساعده، ثم تليت الصلاة كأنها عمل إحسان. كان الميت فقيراً وخلفه معدما، ولذا أسرع القس فى تلاوة الصلاة، ببرود وبدون أى شعور، ولم يترك أثناء ذلك باب الكنيسة إلا خطوات قلائل كما لم يسمع صوته عند القبر إلا لماما. ولم أكن أنتظر أن أرى صلاة الجناز، هذا العمل النبيل المؤثر، ينقلب إلى كلمات باردة لا قداسة فيها مطلقاً.

اقتربت نحو القبر، وكان النعش موضوعا على الأرض، وعليه نقش اسم وعمر الميت « جورج سومرز، وعمره ٢٦ سنة ». ثم أعينت الأم الفقيرة على الركوع عند رأس النعش، فضمت يديها النحيلتين بعضهما إلى بعض كأنها تصلى، ولكنى كنت أرى من هيكل جسمها المتهدم المهتز، وتحريك شفتيها المرتجفتين، أنها تنظر إلى بقايا ولدها الأخيرة بلهفة قلب الأم، نظرة الوداع الأخيرة.

وعملت التجهيزات الأخيرة لوضع النعش فى القبر. فكانت هناك تلك الحركة والضوضاء التى تندفع بخشونة وتزعج إحساسات الحزن والمحبة. وأعطيت الأوامر بالدفن بلهجة العمل الجامدة، ولا شك أن أشد ما يؤلم سمعنا من الأصوات هو ضربات الفؤوس فى الرمل والحصى لحفر قبر عزيز لدينا. وكأن الحركة والضوضاء أيقظتا المرأة من تخيلاتها المحزنة، فرفعت عينيها المبيضتين من الحزن ونظرت حولها بوحشة حائرة. وعندما اقترب الرجال يحملون الحبال لادلاء النعش فى القبر فركت يديها بعضهما فى بعض، واندفعت فى تيار من البكاء المؤلم فأخذتها المرأة الرفيقة التى تعاونها من ذراعها وحاولت أن ترفعها من الأرض وأن تهمس فى أذنها بعض كلمات العزاء، فهزت الأم رأسها فقط وضمت يديها بعضهما إلى بعض كأنها على ثقة أن كلمات العزاء قليلة الأسعاف لديها. وعندما أدليت الجثة فى القبر آلمها صوت الحبال، ولكن عندما حدث أن اهتز النعش أثناء نزوله من عقبة قابلته فى طريقه، انفجر كل حنان الأم واندفعت باكية، كأن ضرراً وقع لابنها، وهو الذى بعد بعداً شاسعاً عن كل آلام الحياة.

لم أستطع أن أرى أكثر من ذلك — فطغى قلبى إلى حلقى وامتلأت عيناى بالدموع، وشعرت أنى أقوم بعمل وحشى بوقوفى هكذا، ورؤيتى لهذا المنظر المفعم بالحزن الوالدى. فانسحبت إلى ناحية أخرى من فناء الكنيسة حيث لبثت حتى انتهى وتفرق مشهد الجناز — وعند ما رأيت الأم الوالهة تتحرك ببطء من ناحية القبر، مخلفة وراءها بقايا أعز مخلوق لديها

على الارض . لترجع إلي الوحدة والفاقة شعرت بوخزات من الألم النفسى تملأ قلبي من أجل هذه المسكينة . ففكرت فى ماذا تكون أحزان الاغنياء المترفين ؟ عندهم من الاصدقاء من يواسونهم ، وعندهم من المسرات مايلهيهم ، ودنيا عريضة تبدد أحزانهم . وماذا تكون آلام الشباب ؟ فما أسرع ماتطفو أرواحهم اللدنة من تحت ضغط الكارثة وما أسرع ماتلهو عواطفهم المرنة بأمور جديدة . ولكن أحزان الفقراء الذين ليس لهم فى دنياهم الخارجية مايلطف من حرارة حزنهم — وأحزان المسنين الذين لاتعد الحياة لديهم إلا يوم شتاء مطير ولا يأملون فى سرور مقبل — وأحزان الارملة ، عجوز ووحيدة ومعوزة ، تنوح على ولدها الوحيد الذى كانت تعده عزاءها الاخير فى أيام حياتها الباقية --- هذه هي الاحزان والآلام الخمة التى تجعلنا نشعر بأن العزاء فيها عديم الجدوى .

لم أترك فناء الكنيسة إلا بعد مدة ما . وفى طريقى إلي المنزل قابلت المرأة التى كانت تعاون الأم الثكلى . وكانت لاتزال قافلة من مرافقة الأم إلى مسكنها الوحيد ، فعلمت منها بعض تفاصيل تتصل بالمشهد المحزن الذى شاهدته .

أقام والدا المتوفى فى القرية منذ طفولتيهما . وكانا يسكنان كوخا من أحسن أكواخ القرية ، ويعيشان على الاعمال الريفية ، وكذلك كانا يملكان حديقة صغيرة يجنيان من ثمارها مايعينهما على الحياة السعيدة الشريفة . ثم رزقا بابنهما الوحيد ، فنما وترعرع ليكون عونا لهما ونخراً عندما يقعد بهما السن والضعف عن العمل . قالت المرأة التى تقص على هذه القصة « آه ياسيدى ، كم كان شابا جميلا ذا خلق جميل وعطف على كل الذين حوله ، وكم كان مطيعاً وباراً بوالديه ! وكم كان يبعث السرور فى النفس عند رؤيته فى يوم الأحد يرتدى خير ماعنده ، طويل القامة مستقيمها ، ظاهرة عليه آثار البشر ، يسير تعتمد أمه العجوز على ذراعه نحو الكنيسة . وكانت أمه دائماً شغوفة بالاعتماد على ذراع جورج أكثر من زوجها الطيب . وكان يحق للمسكينة أن تفخر به ، إذ لم يكن يوجد فى القرية من الشباب مايدانيه فى جمال الخلق والخلق .

وفى إحدى السنين أصاب القرية قحط وفاقة ، فاضطر الابن لسوء حظه أن يلتحق بالخدمة فى إحدى السفن التى كانت تروح وتجيء فى النهر المجاور . ولم يلبث طويلا فى عمله حتى اختطفته عصابة من الذين يختطفون البحارة لاستعبادهم فى العمل فى السفن بدون أجر ، وأبحرت به .

وعلم أبواه بخبر اختطافه ، ولكن لم يعرفا أكثر من ذلك شيئاً ، وبذلك خسرا العائل الهام لهما . فأخذ الأب المسكين يضعف شيئاً فشيئا ، حزناً ويأساً على ولده حتى واروه أخيراً القبر . وتركت الارملة وحيدة متهدمة ، ولم تكن لتستطيع أن تعول نفسها ، فمنحتها الكنيسة

إعانة طفيفة تستعين بها على العيش . أما أهالى القرية فقد غمروها بشعور العطف والرحمة كما كانت تلقى منهم شيئاً من الاحترام لشخصها المسن . ولم يفكر أحد من الأهالى فى أن يغتصبها أو يشاركها كوخها الذى قضت فيه أيام سعادتها الأولى ، فأقامت فيه وحيدة لامعين لها . أما حاجياتها الغذائية فكانت تستمدها من حديقتها الصغيرة التى كان الجيران يزرعونها لها بين حين وآخر . وحدث قبل اليوم الذى قصت على فيه تلك القصة بأيام قلائل أنه بينما كانت تجمع بعض الخضروات لغذائها سمعت باب الكوخ الذى يواجه الحديقة يفتح فجأة ، ويدخل منه شخص غريب ينظر باهتمام وبعين زائغة حوله . وكان يلبس ملابس رجال البحر ، غاية فى النحافة وشحوب الوجه ، تظهر عليه هيئة الذى أفقده المرض والجهد كل قوته . وعندما وقع نظره عليها أسرع نحوها بخطوات ضعيفة مضطربة حتى ركع أمامها وبكى بكاء الطفل ، فخدجته المرأة المسكينة بنظرة طويلة كأنها لاتفقه شيئاً . فصاح « آه يا أمى العزيزة ! ألا تعرفين ولدك ؟ ولدك المسكين جورج الذى حطمته الجروح والامراض وأنهكه الأسر ، وقد جر جسمه المتهدم لينال راحته بين مناظر طفولته »

ولا أحاول هنا أن أفصل دقائق هذه المقابلة حيث امتزج فيها كل الامتزاج الحزن بالفرح : ألا يزال هو حياً ! وقد رجع إلى منزله ! وسيعيش أيضاً ويكون سلوى وعائل لها فى كبرها ! ولكن القدر كان قد ضرب ضربته ، ولم يكن يحتاج هذا المسكين إلا لكوخ أمه الحقير حتى يتم القدر عمله ، وهنالك ارتمى على فراش أمه الأرملة حيث قضت المسكينة قبل ذلك كثيراً من ليالى الأرق ، وكان هذا فراشه الاخير الذى لم يقم منه بعد ذلك .

وعندما سمع القرويون أن « جورج سومرز » قد آب إلى موطنه تجمعوا لرؤيته ، وبذلوا كل ما تسمح لهم به مواردهم الضئيلة لمساعدته وعونه ، وكان هو من الضعف بحيث لم يستطع الكلام ، ولكن عينيه كانت ترسل نظرات تدل على الشكر والعرفان بالجميل ، ولازمته أمه دائما ، وكان هو من جهة لا يرغب فى المساعدة من أى إنسان غيرها .

يوجد شيء من المرض يكسر من حدة الزهو فى الرجل ، ويلين من طموح القلب ويرده ثانياً الى إحساسات الطفولة . من ذلك ، الرجل الذى أضناه المرض والحزن فى كبره . من ذلك الذى تقلب على فراش من الأسى والأعياء يقاسى الوحدة والاهمال فى بلاد غريبة عنه ولم يفكر فى تلك الأم التى احتضنته وأحاطته برعايتها وحنانها في طفولته . . . حقاً ، يوجد حنان أبدى فى حب الأم لولدها يسمو على كل ميول القلب الاخرى . وقلما تضعف عاطفة الحنو هذه بالأثرة ، أو تقتل بأى خطر ، أو تقل بضآلة القيمة ، أو تزول بنكران الجميل . بل إنها تضحى بكل راحتها فى سبيل منفعته ، وتستغنى عن كل مسراتها فى سبيل إسعاده ، وينالها

الفخر عند سعود طالعه ورخائه ، وإذا أفل نجمه يكون أعز وأحب لديها مما سبق ، وإذا أحاط العار والخزى باسمه فأنها تحبه وترعاه غير آبهة لعاره ، وإذا رماه كل العالم بنظرات الازدراء تكون هي عالمه المنعم بالعطف والحنو .

وقد قاسى «جورج سومرز» المسكين هول المرض مع الوحدة والسجن وسوء العناية ، ولذلك لم يكن يطيق أن تبعد أمه عن نظره ، فاذا تحركت بعيداً عنه تبعتها عينه دائما . وكانت تجلس ساعات متتالية بجانب فراشه تنظر اليه وهو نائم . وربما فزع أحياناً من حلم مخيف رآه فى نومه فينظر حوله بلهفة ، حتى إذا رآها تنحنى عليه يأخذ بيدها ويضعها على صدره ثم يستغرق فى نومه هادئا مستريحا كأنه طفل . وعلى هذه الحال قضى المسكين نحبه » .

كان دافعى الوحيد عند سماع هذه القصة المحزنة أن أزور كوخ الأرملة وأهبها شيئا من المال والعزاء . وعند ما سألت عنها وجدت أن شعور القرويين الطيب دفعهم لعمل كل ما تسمح به الحال . ولما كان الفقراء يعرفون كيف يواسون بعضهم البعض فى الاحزان ، فانى لم أجرؤ على أن أتطفل عليهم .

وفى يوم الأحد التالى ، عندما كنت فى كنيسة القرية ، دهشت إذ رأيت المرأة المسكينة تسير متهالكة وتأخذ جلستها المعتادة على درجات الهيكل .

وقد حاولت جهدها أن ترتدى شيئا يدل على الحزن لفقد ولدها ، وليس من شيء يؤثر فى النفس أكثر من هذا الجهاد بين محبتها لابنها وبين فقرها المدقع — فكانت تلف حول عنقها شريطا أسود ، وتحمل منديلا أسود ، وأشياء أخرى تافهة تحاول بها أن تظهر مبلغ حزنها الدفين . وعندما وقع نظرى على التماثيل الضخمة والنقوش الثمينة المصنوعة من الرخام التى تظهر بجلال وروعة الحزن على الاشراف الراحلين ، والتفت الى هذه الأرملة المسكينة التي تحطم قلبها ، وأحنى ظهرها الكبر والحزن ، تركع على هيكل ربها وتتمتم بصلوات التقوى والورع شعرت بأن هذه الدمية الحية ، هى خير مثل للحزن الحقيقى ، وأبين له من كل ما ذكر .

قصصت قصتها هذه على بعض الأغنياء الذين كانوا يصلون فى الكنيسة ، فتأثروا منها وبذلوا كثيرا من وسعهم ليعاونوا الام ويخففوا من أحزانها . فكان ذلك بمثابة تسهيل طريقها الى القبر . وبعد أسبوع أو أسبوعين ، فى يوم أحد ، لم تكن ترى فى مجلسها المعتاد فى الكنيسة . وقبل أن أرحل من هذه الناحية علمت بشعور الاطمئنان أنها قضت نحبها ، وأنها رحلت لتلاقى الذين تحبهم فى ذلك العالم الذى لا يعرف فيه الحزن مطلقاً ولا يفترق فيه الأصدقاء والمحبون أبدا ؟

حسن شريف الرشيدى

رد على مقال

تقييد النسل

بقلم ادمون كريدى
بكلية الطب

أدهشني جداً ما قرأته في هذا الموضوع في العدد الماضي من هذه المجلة ، وما كنت أظن يوماً أن سيثور ثائر فيرمي دعوة تقييد النسل بأنها دعوة هدامة .

هو يقول إن هذه الدعوة دعوة قديمة من منذ عشر سنوات فقط ، أنسى ما كان يفعله العرب من وأد بناتهم خشية الإملاق ؟ إذن فهذه دعوة قديمة وقديمة جداً . ولقد رمى البشرية بالانحطاط الانساني وضرب مثلا لذلك : سقوط نابليون وإكراهه على الزهد في الحياة نظراً لما لاقاه من نكران الجميل ، ولكني أستحلفه بالله ، ماهي علاقة هذا المثل بتقييد النسل ؟ أيوجد وجه شبه بين قوم يدعون إلى تقييد النسل ويبدون لذلك أقوى الأسباب والبراهين المقبولة وبين قوم ينكرون الجميل لما قام به نابليون ؟ إذن فتهمة الانحطاط الانساني التي يتهمنا بها هي تهمة نحن منها أبرياء .

ويرمي الدكتورة ماري ستوبس ، بأنه لم يجد في مؤلفاتها غير شرح للعلاقات الزوجية بشكل مخجل مزر بالآداب ، وبشكل ساحر جذاب مغر للشبان والفتيات ، وفاته أن يعرف أن الحياة التناسلية هي أساس الحياة الزوجية ، ومؤلفات الدكتورة ماري أكبر عون على فهم هذه الحياة واستيعاب مكنوناتها ، فبقراءتها يفهم الرجل وزوجه نفسيهما من جميع الوجوه ، وإني لم أجد في مؤلفاتها أي تهييج للشعور الجنسي ولا إغراء للفتيان والفتيات ، فهي تتكلم بصراحة كلية وباختبارات واعترافات اكتسبتها بحكم مهنتها ، وباحتكاكها بطبقات مختلفة من النساء والرجال عن العلاقات الجنسية بين الرجل وامرأته بصفتهما زوجين شرعيين ، وعن الطرق التي تؤدي إلى حياة زوجية هنيئة — أيصح أن يعد هذا إغراءا أو تهييجاً ؟

كثرة النسل وأثره في الحياة الاجتماعية

ثم يأتي أخيراً ويقول إن تقييد النسل عمل إجرامي محض ومخالف لناموس الاجتماع ،

فأى ناموس اجتماعى يعنى ؟ إن للاجتماع ناموسا يتغير بتغير الظروف المحيطة به ، ويتطور بتطور الكون والعمران ، فأى اجتماع هذا الذى يرضى بكثرة النسل فى الطبقات الحقيرة التى لا تمكنها أن تقوم بأعباء نفوسها ؟ فكيف نطلب منها أن تقوم بأعباء النشء الذى يتطلب مالا كثيراً وتضحية كبيرة حتى يصبح النشء صالحاً ؟

ومن أغرب المظاهر أن تقييد النسل انتشر حقيقة فى الاوساط الراقية والمتعلمة ، انتشر فعلا فى الطبقات الموسرة التى فى إمكانها أن تنسل عشرات الأولاد وتربيهم تربية صحية وأخلاقية ، ومع ذلك فهى تقنع باثنين أو ثلاثة على الأكثر . أما كان أجدر بالطبقات الفقيرة أن تحذو حذوها ؟

إذا نظرنا الى الاحصائيات الدولية نجد أن الأمم الأكثر نسلا ، هى الأمم الأكثر همجية وتقهقراً ، والبلاد الاكثر مواليد هى البلاد الأكثر وفيات ، والعائلات الأقل غناء هى العائلات الأكثر نسلا ، فالنتيجة أننا فى فوضى اجتماعية أساسها كثرة النسل ولا يوجد ناموس يقر هذا قط . فأكثر أمم العالم حضارة وثقافة هي الأمم الصغيرة ، ويكفى أن نقارن بين الهند والصين وبين هولنده والدنمارك وأسوج . فهولندة مع صغرها أمرت أطباءها باعطاء محاضرات لمعرفة طرق منع الحمل ، ومع ذلك فسكانها فى ازدياد ولكنها فى رخاء ، مع أن ايطاليا التى لا تبيح التقييد ، فسكانها فى ازدياد أيضاً ولكنها فى فقر مما أدى إلى المهاجرة إلي بلاد العالم المختلفة ، وكذلك الحال فى امريكا التى ضجت من ازدحامها بالسكان فمنعت المهاجرة . والاجهاضات هناك تباشر بكثرة وبطريقة غاشمة ، وذلك لأن قوانين « كومستك » تمنع التصريح بطرق التوقى من الحمل .

النسل وأثره فى الحياة الزوجية

تقول الدكتورة مارى ستوبس : إنه كثيراً ما يتقوض الهناء الزوجى بالحمل الباكر فلا يمضى على الزوجين عشرة أشهر أو أقل حتى يكون لهما ابن يقع عبؤه فى الواقع على الزوجة ، ليس معنى هذا أن الانتاج الباكر معول يهدم الهناء . فلأسباب كثيرة يستحب فيها هذا الانتاج الباكر ولكن إذا كانت الحالة الاقتصادية صعبة كما هى الآن فى الحياة الحاضرة ، أفلا يكون كثرة النسل مقوضاً للهناء الزوجى ؟ ؟ ألم يكن هذا السبب من أقوى الاسباب التى تعمل على انتشار أزمة الزواج فى وقتنا هذا ؟ فما الأيسر ؟ أحث الناس على الزواج الباكر مع معرفة طرق منع الحمل حتى تتحسن حالتهم المالية ، فيجدون فى نفوسهم الكفاية والمقدرة على سد عوز أبنائهم ، أم

تأخير الزواج مع ما فيه من دنس ومرض أو كبت لعاطفة قوية تؤدى إلى هستريا شديدة ؟

ثم أى بيت يسكن ؟ أهو هذا الذى يموج بالأولاد ويعج بصياحهم ويضطر الوالد حينذاك أن ينشد الراحة خارج المنزل فتتوتر العلاقة بين الرجل وامرأته وتصبح هى فى حالة عصبية شديدة لا تطيق رداً أو مناقشة من زوجها أو أولادها وخصوصاً إذا كانت الحالة المالية صعبة فلا تجد ما يسد عوز أبنائها وطلباتهم المتواترة ؟

النسل وأثره فى الزوجة

إنه ليس انحطاطاً انسانياً أن نعرف طرق منع الحمل ، بل هو عمل انسانى محض ، عمل نرحم به الزوجة الفقيرة التى تتوق الى تقييد نسلها فلا تجد أمامها الا طرق أبواب الدجالين والدجالات غير عالمة أن فى عالم الطب وسائل متعددة من السهل عملها — فاذا انتشرت طرق منع الحمل لم تعد هذه الزوجة المعدمة فى حاجة الى الاجهاض على أيدى هؤلاء الدجالين أو الى « عمل الوصفات البلدية » فتعرض نفسها بذلك الي خطر ربما يعقبه الموت تاركة وراءها أيتاماً يئنون من أحكام الدهر القاسية .

ثم إن المرأة التى لا تستهجن الوضع كل عام، والذى ينزلها الى مستوى الحيوانات — يجب أن تستهجنه رحمة بنفسها وبجنينها من هلاك مقدر ، وإذا سلمت هى فلن يسلم طفلها الذى ينشأ عليلا ضعيفاً عالة على المجتمع ، وقد قالت الدكتورة مارى في موضع آخر : إنه يجب أن يمضى بين كل ولادة وأخرى من ٣ الى ٥ سنوات حتى يتمكن الطفل الأول من النمو الكامل ، وحتى تستعيد الأم قوتها فيستفيد الطفل الثانى وينمو كاملا ، وقد أوجد الدكتور Ploetz نسبة فى الوفيات وفى الولادات المتعاقبة فقال : إن نسبة الوفيات فى أطفال أول ولادة هى ٢٢٠ فى الألف ، وفى سابع ولادة ٣٣٠ فى الألف ، وفى الولادة الثانية عشر هى ٥٠٧ فى الألف والسبب فى ذلك راجع إلى أن تكرار الولادات ينهك حيوية المرأة وخصوصاً إذا لم تمض مدة بين ولادة وأخرى ، فتضعف بذلك قوى الأم الجسمية وربما العقلية أيضاً ويذوى جمالها وتترهل ، وتصبح وهى فى الثلاثين كامرأة فى الخمسين أو الستين ، بينما زوجها لا يزال حافظاً لرجولته وقواه الجسمية .

هل من خطر على الأخلاق من معرفة طرق التوقى من الحمل ؟

ننتقل الآن إلى الناحية الاخلاقية فى الموضوع ، فمعرفة طرق منع الحمل لا تؤدى إلى

انتشار الفاحشة بين النساء والفتيات كما يزعم بعضهم، إذ بذلك تتقى الفتاة الحمل سفاحا ، ولكن بالله إذا لم تخش الفتاة ما هو أخطر من الحمل والاجهاض ، إذا لم تخش الأمراض السرية الفتاكة التي تحل في نسلها ، فتكون أكبر وصمة في تاريخ حياتها وحياة أبنائها من بعدها ، أيكون بمعرفة طرق التوقي من الحمل نشر للرذائل بين النساء ؟ في الحقيقة إن تبعة نشر الرذائل تأتي على الرجل قبل أن تأتي على المرأة ، فاذا لم تجد المرأة من يغتصبها ومن يهدد شرفها فانها مضطرة إلى الاستقامة والسير في طريق الحق . فمن الجهل إذن أن نرمى الفتاة بالفحش اذا عرفت طرق منع الحمل ، بل نتهم الرجل السافل الذى لا يقيم للاخلاق وزنا ولا يبالى بانتشار الفاحشة والامراض السرية التي تقوض أساس المجتمع وتدك أركانه دكا .

ادموند كريدى

نشأة الكون

للشاعر الكبير الاستاذ محمد الهراوى

أنسنا بلقاء الشاعر الكبير الاستاذ الهراوى ، في مأدبة عامرة ، أقامها العالم الجليل الدكتور أحمد بك عيسى لرجال العروبة وأنصارها ، فأسمعنا الاستاذ الهراوى ، هذه القطعة الفلسفية الفنية الفريدة في نوعها ، والتي يعدها في قصص الانبياء لينشرها قريبا ، وقد أحببنا أن نشرك قراءنا الكرام، إعجابنا برقة شعره وبديع خياله .

الله رب الكون قد أنشاه إنشاء
أنشأ في ستة أيا م به ما شاء
فأولا بحكمة قد نشر الضياء
وثانياً بقدرة قد رفع السماء
وثالثاً قد فجّر الله تعالى الماء
ورابعاً قد كوّر الكواكب الزهراء
وخامساً قد برأ ال أطيار والهواء
وسادساً قد خلق ال إنسان والأسماء
ثم على العرش استوى سبحانه استواء

الهراوى

نظرات

بقلم الاديب اللبناني

للأستاذ جورج نقولا عطية

الاضافة

الاضافة هى نسبة اسم الى آخر نحو « سارق البيت » ومحل « سارق » من الاعراب مضاف ، والبيت مضاف اليه . وسارق البيت هى إضافة لفظية ، أما المعنوية فهى نسبة اسم الى آخر على معنى حرف الجر . مثال ذلك : « غلام زيد » أى « غلام لزيد »

هذا موجز تحديد الاضافة ، كما هو مذكور فى كتب النحاة ، وسنحدد الاضافة بحسب اختباراتنا الشخصية ، ومحادثاتنا الشفهية وثوراتنا النفسية ، وأنا أعرف أناساً قد أتقنوا درس الاضافة اتقاناً يحسدهم عليه معظم النحويين المحققين . أحسنوا درس الاضافة اللفظية وانتقلوا منها الي المعنوية بأسرع من البرق الخلاب ، فتراهم يسرقون البيت ومن فيه ، حتى والكحل من العين بكل دهاء ومقدرة يضيفون الى قبائحهم حسنات غيرهم ومقدرات أفاضل الناس ، يضيفون الى بطونهم كل المأكولات الغذائية والمادية ولا ينفكون عن الاضافة عملا بالاسماء التى لا تنفك عن الاضافة أصلا لأنها ناقصة . ككل و بعض وشبه ومثل .. الخ ..

لا شيء

الذكرى كالعقرب تلدغ وتؤلم ،

وكل ما يؤلم فى هذه الحياة يزعج أبناء الحياة ، وكما تبتعد عن العقرب السام هكذا ابتعد عن كل ما يؤلمك ويشجيك ، ولا يمكن الابتعاد عن الآلام إلا بالنسيان ، ولولا النسيان لما عاش إنسان . نريد أن ننسى ، ولذا سننسى كل شيء فى سبيل لا شيء :

أنساك لا زالت إذن منسية نفسي ولا برحت بيعدك تنكب

سننسى الماضى وما حدث فيه ، والحاضر وما يجرى فيه .

وسننظر الى المستقبل بثغر باسم على أمل أن ننساه عندما يتحول الي حاضر وماضى.

انس يا أخى كل شيء فى سبيل لا شيء ! انس ولا تذكر خسائرك ومصائبك ، وخيانة أصحابك ورياء إخوانك ! انس كأنك لا شيء فى هذا المحيط وكأن المحيط لا شيء !

وهكذا يتصرف من يريد إطالة عمره ونبذ كل شيء .

للضرورة أحكام

يضطر المرء أحياناً لاتيان الموبقات فى سبيل الدفاع عن حقوق له تكاد تهضم ، ويضطر المرء مراراً لأكل الجيف وتناول المياه القذرة كأنها بنت الراح !
وأولئك الذين يضطرون لهذه الامور ينشدون متأوهين :

ما أنت الا كلحم ميت   دعا الى أكله اضطرار

يحكى — والعهدة علينا إذ الحكاية حقيقة لا أثر للخيال فيها — أن اثنين ترافقا فى سفر ، وتاها فى مجاهل الصحراء ، وعطشا حتى تدلى لسانهما « كلسانى محاميين ماهرين » وارتميا على الرمال شبه مغمى عليهما . والتفت الاول فرأى أن دابته تبول بغزارة ، فأدنى فمه وشرب وارتوى ، ودعا رفيقه ليشاركه ذلك (الكأس السحرى) فتأفف ورفض ، وهكذا مات بعد قليل . أما الاول فعاش وواصل سيره حتى صادف قافلة رافقها الى حيث كان يقصد السفر . وهكذا بعض الناس فى هذا العالم يأنفون من إتيان بعض هذه الادوار وماشابهها ، ولكن الدهر كحجر الرحى ، فليتعودوا على أكل وشرب كل شيء ولا خوف على أجوافهم التمساحية .

نحن نمشى

عقرب الساعة يمشى ، ونحن نمشى ببطء زائد ، فمن الثوانى الى الدقائق الواحدة تلو الاخرى الى الستين الى الساعة ، الى الساعات ، الى الايام ، الى السنين ، عقرب الساعة يمشى ونحن بدورنا نمشى ، نمشى ولا نشعر بأننا نمشى ولا نفيق من هولنا إلا عند ما نرى نعشاً سائراً وميتا يدفن ، وعند ذاك نعتقد بأننا بسرعة هائلة وأسرع من البرق الخلاب نمشى .
عقرب الساعة يمشى ونحن بالرغم من أنوفنا نمشى ! نمشى ونمشى ونمشى حتى إذا تعبنا من المشى المتواصل ، واجترنا المراحل بعد المراحل قادنا السير الى نهاية الشوط الأخير ، وارتحنا فى المثوى النهائى ونمنا نوم الابد .

تأثير الخطابة

يقف الخطيب فى المجتمعات الغربية ويلقى خطابه السياسى أو الاجتماعى على رءوس الالوف من سامعيه ، فتنقل اللاسلكية خطابه بحروفه الى أطراف المعمور . هناك فى بلاد الغرب

يحترمون ذوى الشخصيات البارزة ، فان قيل لهم : سيلقى العالم الفلانى المحاضرة الفلانية ، تراهم يتسابقون الى حضور الحفلة كتسابق أصائل الخيل فى ميدان السباق . أما فى بلادنا ، فان الكتاب والشعراء كثيرون ، وأما الخطباء فهم دون عدد أصابع اليد . والسر فى ذلك أن (لا وقت فراغ) عند الناس ، لسماع محاضرة ذلك اللغوى المدقق أو العالم الأثرى أو الاديب اللوذعى .

نحن نسمع (المحاضرات) ونضحك من لحية قائليها . نسمع (الحماسيات) ولا تدب الحماسة فى صدور سامعيها . ونسمع (الدينيات) ونهزأ بحق واعظيها ، إذ نسمع أقوالهم ولا ننظر الى أفعالهم ، وفى هذا من السخافات ما فيه ؟! ونحن خطباء شهيرون ، ولكن فى الامور التافهة الخاسرة .

صيدا — لبنان جورج نقولا عطية

تحية

للأستاذ الشاعر عبد اللطيف النشار

تجاهل أم تناسى من عارف غير ناس
أليس عندك للصحب غير هذا الشماس
ما أنت ليث عرين واست ظبى كناس
حمى الوظائف تهتاج فى النفوس الخساس
متى تعلمت أن السلام إحناء راس
متى كففت عن الجرى عند مرأى أناس
هل أعفى اليوم رد من رجفة واحتباس
لقد غدوت رئيساً لكن على غير ناس
من طال بينهمو القزم دون كل قياس
اذهب وحى سوانا في حيطة واحتراس
أو فى ادعاء وزهو أو رجفة وانتكاس
الود كالبغض عندى إن مس أى مساس

عبد اللطيف النشار

البغاء وانتشاره

إقامة حدود الله خير علاج لتخفيف وطأته

للاستاذ عبد العزيز الهادى

إذا سرت فى طريق مزدحم ، أوجلت فى حديقة عامة ، أو زرت حانة أنس وطرب كما يقولون ، وجدت فتيات أجسامهن عارية . وبنات بملابسهن متبهرجات . وسيدات بطلاء وجوههن فاتنات . وفتيانا فى شركهن واقعين ، ورجالا فى هواهن منغمسين . يتعاطون المحرمات ويتبادلون الضحكات والقبلات ، فاذا قربت الشمس من المغيب تأبط كل فتى محبوبته ، وأمسك كل شاب بذراع معبودته . ومشى الكل مشى الهوينا إلى الأماكن النائية البعيدة عن الانظار حتى إذا أرخى الليل سدوله ، يوقظ الشيطان النفس الخبيثة فتحسن لها ارتكاب الفضائح ، كما وأنه تحرك فى الفتاة شهوتها فتخطف عقل رفيقها بجمالها ، فيقع أسير هواها ، وصريع نبالها . حتى إذا فعل فعلته الشنعاء ، ودعها إلى دارها تجر وراءها ذيل الفضيحة والعار فاذا قضى وطره منها بعد مدة أمسك بتلابيب غيرها وسرعان ما تشتبك بغيره وهكذا . هذا يتناولها وذاك يبتعد عنها ، حتى إذا طار خبر وقوعها فى شرك الفاسدين إلى أهلها أو أحد أقاربها ، لجأت إلى التخلص من الحياة بالانتحار وهو جريمة لا تقل عن سواها من الجرائم ، أو قصدت بيوت الدعارة والبغاء ، وهناك تجد صدراً رحباً ومرتزقا حسناً .

لذلك تجد البغاء فى ازدياد ، وأحاديثه فى انتشار على مرأى ومشهد منا فى المجالس والطرقات ولا تطرق رهبة الاسلام بابا من أبواب صدورنا . ولا تهز عظمة الدين وتراً من أوتار قلوبنا .

والكل يعلم ما لهذا الداء العضال من الأخطار الجسيمة والأوباء الوبيلة ، منها أمراض الجهاز التناسلي كالزهرى والسيلان اللذين انتشرا انتشاراً مريعاً فى القطر المصرى . وكانا يفتكان بأبناء الأمة ويوديان بهم إلى الحضيض .

وهذا هو إحصاء الحكومة للعاهرات فى سنة ١٩٢٤ :

عاهرات ٥٤٢٩ ، مريضات بالزهرى ٤٢١ ، مريضات بالسيلان ٤٠٨٨ ، سليمات ٩٢٠ أى أن نسبة الصحيحات ١٧ فى المائة تقريباً ، والباقى مريضات .

وإنى أضرب مثالا صغيراً أستشهد به على بعض مضار هذا الداء . إذا تزوج رجل بامرأة وخلف منها طفلا ، وفارقها لخلاف حدث بينهما ، فاننا نشاهد الأم تسرع إلى أخذ ولدها من زوجها لتتخذه سلاحا لمعاكسته ، وتعطيله عن أعماله . ثم تهمل أمر تربية ذلك الطفل وتتركه فريسة لفاسدى الاخلاق ، حتى إذا تزوجت من رجل آخر ، تبرأت من ابن زوجها الأول وفلذة كبدها ، وطردته من بيتها فيصبح عرضة لنكبات الزمان ومصائب الدهر .

هذا ماتفعله الخبيثة بابنها الذى أتت به من الحلال ، فمما لاشك فيه أن ابنها وابن الكثير ممن أتوها فى الحرام ، وكانت غير محصن « ليس لها زوج » ترميه وليداً فى بيت من البيوت الخربة أو على طوار شارع ليلا ، لكيلا يفتضح أمرها . وإذا كانت متزوجة فانها تنسب بنوته إلى زوجها ظلما وعدوانا ، وتترك الصغير يمرح ويرتع فى بؤر الفساد من صغره فيصبح بعد ذلك شراً مستطيراً على المجتمع الانسانى .

من هذا نعلم مقدار ضرر البغاء ، فضلا عن أننا أصبحنا مركزاً للضعف ، ومهدا للفقر وضاعت أنسابنا وتفرقت كلمتنا وصرنا لانقيم للفضائل وزنا ، وننفوه باسم المروءة ولا نفهم لها معنى . وقد نهى الله عن الزنى فقال « ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا » وحكم النبي صلى الله عليه وسلم على الزانى بعدم الايمان فقال « لايزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن » وقال أيضا يصف حالهم يوم القيامة « إن الزناة يأتون يوم القيامة تشتعل وجوههم نارا ويعرفون يوم القيامة بنتن فروجهم ، ويسحبون على وجوههم الي النار »

وقال أيضا ينهانا عن الاقتراب من الزنى ، لما فيه من خصال دنيئة وصفات مشينة « احذروا الزنى فان فيه ست خصال : ثلاثة فى الدنيا ، وثلاثة فى الآخرة . فأما الثلاثة التي فى الدنيا . فانه يذهب البهاء من الوجه ، ويورث الفقر ، وينقص العمر . وأما الثلاثة التى فى الآخرة ، فانه يوجب سخط الله ، وسوء الحساب ، والخلود فى النار » كما وأنه بين عقابهم يوم القيامة بقوله «سبعة يلعنهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة . ويقال لهم ادخلوا النار مع الداخلين — الفاعل والمفعول به في عمل قوم لوط . وناكح الأم وبنتها . والزانى بامرأة جاره ، وناكح المرأة فى دبرها ، وناكح يده إلا أن يتوب ، ومؤذى جاره »

ولقد أقدم الشاب على هذه الفعال وتلك الأعمال ، لأنه لم يجد من نفسه مانعا ، ولا من أهله ناصحا ، ولا من أولى الامر رادعا . ووجد من أصدقائه مرشدين ، ومن مصاحبيه مشجعين .

العـلاج

القرآن الكريم بين أيدينا ، والذكر الحكيم أمام أعيننا ، والقانون السماوى المـنزل على رسولنا مأمورون بتنفيذ أوامره ، والعمل بما جاء فيه لنسود الامم ونكون فى هـذه الحياة من السـعداء المنعمين . « إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله »

ورأيى أنه لو نفذ عقاب الله فى الزناة لارتاحت الارض من تلك الجرائم التى ترتكب على ظهرها ، وتئن الملائكة من نتن رائحتها ، ولاستعمل كل واحد فرجه فى الحلال ، ولأصبحنا من التوابين المطهرين .

قال تعالى « الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، ولا تأخـذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » .

وإن بعض الناس الذين يرقبون الامم الاخرى ، ويخافون انتقادهم وسخطهم ، ويستهجنون ذلك العقاب ويستكثرونه ويعدونه من الهمجية والوحشية ، هم فى الواقع يخشون الناس ، والله أحق أن يخشوه إن كانوا مؤمنين ؟

عبد العزيز ابرهيم الهادى
مدرس بالمدارس الابتدائية

آثار العقلية السقيمة

فى حياة الشعوب المستعبدة

بقلم الأديب مأمون محمد منصور

قلما تصدر العقلية الناضجة أحكامها فيما يحيط بها من الشئون دون أن يكون لإلهامات الروح أثر فعال فى تهذيب ميولها ونزعاتها ، فتنطلق أحكامها حصيفة نزيهة ، آمنة مطمئنة عن معرفة جمعت الحواس ثمارها الخالدة من حدائق الأجيال الغابرة والحاضرة ، وعن خبرة باطنية لا محدودة، يسودها ضمير حى يقظ لا تخاف منه وخزاً ولا تخشى .

وكثير من هذه العقلية يغمر الشعوب المستضعفة ، إذ قد هذبها الألم المحيق وكونها التأمل العميق ، وآثارها الأمل الغريق للالتجاء إلى ناحية الضمير . وما الضمير إلا عاطفة الروح اليقظى التى لا يتصل شعاعها إلا بالنفس الحساسة الدقيقة . والنفس الحساسة أكثر ما تكون وجوداً فى الأجواء التى غمرها أنين الوجد وغشيها موج من نضيج الألم .

كثير من هذه العقلية القوية يغمر الشعوب المستضعفة فى كثير أو قليل من نواحى الثقافة العامة . ولطالما يرى الألى تنوء سجونهم الآدمية بزلزالها وزئير أصفادها أن لا جناح عليهم إن برروا جنوح ذواتهم لمغالبة عقلياتهم الثائرة بما فى أجواء الاستعباد من خنق للحرية يمنع ينابيعها أن تتفجر . وظلام قاتم من سواد الظلم يحيل الحركة إلى سكون عميق! ونير فادح تنوء بكلكله النفوس ، فكان تسامحاً ، وكان صبراً لا يفسرها إلا الضعف وحده .

قليل من أولئك غمرتهم يقظة الروح القوية ، فثاروا للكرامة ، وتمردوا على الأصفاد . حملوا لواء الزعامة وهاجموا وسائل الاستعباد بعزم يغالب الموت فينتصر ، وثبات وإيمان يعالجان اليأس فيندثر .

ولكن . . . ولكن . . .

ولكن كلما كهربوا النفوس بتيارات اليقظة ، ومزقوا أغلال النقمة ، وسدوا على المستعمر منافذ التسلط ، فضاقت به الحيل . وأوجس الغرق فى لجة دامية من عصير ظلمه . استعان بالعقلية السقيمة من بين ضحاياه ليسترد بها نفوذه أحقابا ، ويصليهم من منافذ ضعفها عذابا .

وينكل ، بهم على يقظتهم عقاباً ، ويهدم مابنوا لمجدهم فلايخشى حسابا . وينال من شعورهم وتراثهم ، وجهودهم ، بقدرمايحيل حياتهم جحيما ، ومتاعهم نهباً ، وجهودهم شتاتا ، وديارهم خرابا .

حتى إذا بلغ الغاية ، صفع صنيعته القاضية . فكان كمثل الشيطان إذ قال للانسان : اكفر فلما كفر قال إني برىء منك يامن خان أمه وأبيه واستل خنجرى فى صدر مصره التى تأويه فما رعى لقومه عهداً ، ولا لعهده كرامة . فكيف أبقي عليه وأصطفيه ؟ .

خذوه فغلوه ، ومن نار ظلمه صلوه . فقد أغرانى بكم ، وحرضنى عليكم . وكشف لى عن مواطن ضعفكم ، فعاقبوه وانتظرونى حتي أنقذ الغريق ، فى ناحية من نواحى الرقيق ، أو عاتبوه وهادنونى حتي أستفيق ، وآتيكم بوثيقة التوفيق . فالاتفاق خير لمجدى ومجد شعبكم العريق .

إن هذه العقلية السقيمة المجردة والتى لاتدين لغير المادة ، ولا تؤمن إلا بالنفس الأمارة . مرت عليها ظروف عسيرة يتميز فى ضوئها الطيب من الخبيث . وأحاطت بها عوامل غير منظورة ، فهى أحق برحمتكم أن ترحموها وربما أفادتكم حيناً فأشفقوا عليها أوأهملوها . فمن كانت هذه العقلية صدى نواه ، فبأى عاطفة يستبين الموت من الحياة . . . ؟

هذه هى العقلية السقيمة ، إنها لأشد فتكا ، وأهول نذيراً .

وإنى لأقسم بالحرية التى تقدسها البشرية منذ أول ذرة فى الوجود لآخر لحظة فى السرمدية ، أن لا يذل شعب إلا وكان بعض بنيه سبب إذلاله وشقوته ، وما تمكن الاستعمار فى أى جيل من قوم بغير معونة العقلية السقيمة .

هاهو التاريخ كله عبر ، ولكن لمن يتذكر أو يخشى .

وكم من مآس تداولها الايام أخذاً ورداً ، وذكريات تتهاداها الأجيال جزراً ومداً ، ولما تتصل العقلية السقيمة بضميرها بعد ، أو تخشى نقمة الشرق فى نهضته الفتية ، فلا تزال تمد الاستعمار مداً ، وتمكن له فى أمصارها زرعاً وحصداً .

ها هى الهند ، والعراق ، وسوريا ، وشرق الاردن ، وعدن ، وفلسطين. شرقى وادى الاهرامات . وطرابلس ، وتونس، ومراكش، والجزائر ، غربيه. وكلها تئن أنين النيل ، وتلعن العقلية السقيمة فى كل جيل .

يا أقطاب العقلية السقيمة !

إن كان فيكم من يفخر بفضيلة فلتت منه لشعبه قضاء وقدراً ، فهيهات أن تغسل وصمة العار التى وصمتكم بها الانسانية المعذبة ، وقلما تقبل الاجيال لكم توبة ، لأنكم الأيدى الجريئة للصوص الاستعمار . فأنتم أبالسة البشر ، وأعداء الانسانية ، وخصوم الفضيلة ؟

مأمون محمد منصور

الاختلاط بين الجنسين

بقلم الاستاذ على نجيب

« كما أن السمك الذى يوضع فوق أرض جافة يموت ، كذلك يضل النساك الذين يغادرون صوامعهم ، ويختلطون بالعالم فيبتعدون عن طريق الخير » (أناتول فرانس)

حقاً إن المصائب لا تأتى فرادا ، فاذا قسى الدهر وتعسف بأمة جعل من أبنائها نفراً عاقاً ينكل بها تنكيلا ، ويطعنها طعنة إثر الطعنة ، ويهدم آمالها مهما تعالت وسمت ، ومهما بنيت على أساس صلد متين .

هذا النفر العاق الذى لا تخلو منه أمة ، يوالى نقمته بمختلف وسائل الإفساد العام ، حتى يجرفها ويكتسح صفحة حياتها من الوجود .

ورحم الله أمة يعاديها أبناؤها ، ورحم الله أمة يختلط نساؤها برجالها وشبانها بفتياتها .

دمعة حارة انحدرت من عينى شفقة على مصر وبنيها . بكيت ما شاء لى البكاء الموقف المفجع والقدر الساخر الجبار الذى جعل من أبنائها نفراً عاقاً جحودين جلادين لأمتهم ساعين لدمارها وخرابها وتقويض أركانها تحت ستار التمدن المزعوم .

لقد غمر مصر المسكينة التعسة السيئة الحظ سيل من الأباحية القاتلة للشرف ، الهادمة للعفاف .

ولقد حدث أخيراً حادث كان له الأثر السيء فى نفسى ، حين قام نفر يدعون إلى اختلاط الجنسين فى معاهد العلم .

ولم يدر بخلد هؤلاء أن كل اختلاط بين الشاب والفتاة غايته ونهايته الاستمتاع الجنسى بشتى الطرق ، لأنهما مدفوعان بقوة جاذبية عظيمة ليس فى مقدور أحدهما مقاومتها مهما استعمل من الوسائل المانعة غير المجدية ، فلا بد أن تنتصر الطبيعة وينتصر معها (كيوبيد إله الحب) .

أجل ليس فى مقدورهم أن يقمعوا الشهوة وهى ملتهبة ، لقد أوقدوا النار فليس فى مقدورهم إطفاؤها إلا بماء الحياة ودماء الشرف .

أما قمعها فذلك يفضى إلى أشق الأمراض ، ويفضى إلى الجنون . وفى ذلك تقول (الين كى) ،

في كتابها « الحب والزواج » .

« إن الذين يصفون ضبط النفس كعلاج لقمع الشهوة التناسلية ، حتى ولو كان هذا القمع مقاوماً للحياة إنما هم كالطبيب الذى حاول أن يخمد حمي العليل فأخمد أنفاسه » .

والحب مهما قيل عنه إنه « روحى » (١) فهو وهم وخيال لا أثر له إلا فى عقلية المجانين والمشعوذين .

فكل اتصال بين الرجل والمرأة بالحب قد يبدأ فى الاول روحياً لكنه يتحول سريعاً إلى الحب الشهوانى .

فالجمع بين الفتاة والفتى يتولد منه شرارة الاتصال بالحب الجسدى وليس فى وسعهما أن يسلما من الاحتراق . وهما فى وسط اللهيب . وفى ذلك يقول (سيبريان) فى كتابه .

« إن جنس المرأة ضعيف وجنس الرجل خليع فلا يمكنهما أن يسلما من ارتكاب الفاحشة » .

قد يعمد البعض إلي طمس الحقائق وإسدال ستار الباطل عليها لحجبها ، بقولهم : إنه لامانع من أن يقبل الفتى الفتاة شريكته فى الدراسة ومعهد العلم ، إذ ليس فى ذلك من حرج كما يزعمون . فأقول إن القبلة مقدمة الاتصال الجنسى الكامل لأن الانسان طماع يريد المزيد من كل شيء والجديد فى كل شيء ، فاذا ارتوى من القبلات واللثمات تاق إلى الضم والعناق ثم تاق إلي الوصال .

وبعد ، فالرأى عندى أن اختلاط الجنسين هدم للعفاف والشرف ، وهذه نتيجة تكاد تكون محتومة ، وإنى أرى فى ذلك خطراً يكاد يقوض أركان عائلتنا وأركان قوميتنا بل هو مقوض فعلا . فالاختلاط في معاهد العلم وإن كان قد قامت فى وجهه بعض العقبات فسيسلم به يوماً من الايام ، أسوة بما هو جار الآن من اختلاط الجنسين فى شواطىء البحار ، وأندية اللهو والمتنزهات وفى السينما والمسارح ، وفى بعض المنازل التى تجارى الروح العصرى الأوروبى .

وعلى كل حال فهذا لا يمنعنا من أن ننبه إلى الفساد وإلا كنا مجرمين . وسأعود إلي الموضوع زيادة فى الايضاح والتفصيل فى أبحاث قادمة فى « مجلة المعرفة » الغراء عن (العائلة المصرية وتدهورها) .

على نجيب

مدير الصور الاجتماعية — بكالوريوس آداب

(١) لعل حضرة الكاتب يقصد الحب العذرى ، وإلا فالروحى له شان آخر ، وثمة فارق دقيق بين المعنيين .

الطرائف في المتاحف

— ٢ —

المتحف القبطي (١)

للاستاذ صبري فريد

المعادن :

إذا انتقلنا إلى بحث المعادن وجب علينا أن نلاحظ ملاحظة فنية ما نراه من قلة الأواني والأدوات المعدنية ، التي تنشأ من صعوبة الحصول على المواد الخام المعدنية للاديرة البعيدة عن شواطيء النيل ، والمتغلغلة في قلب الصحراء ، ففي قلب الصحاري والوديان كان الرهبان يحترفون مختلف الحرف التي تنطوي على الزخرفة وغيرها من نسج الأقمشة وصناعة التعدين والتكفيت ، وإننا لنأسف لقلة المواد التاريخية التي تخبرنا عن كيفية احتراف الرهبان بصناعة التعدين. إلا أن هنالك بعض قطع فخار ذات نصوص قبطية تنبيء عن معيشة الرهبان في الأديرة وعن بعض الصناعات التي كانوا يقومون بها فيها .

وكان استعمال المعادن في العصر القبطي قاصراً على الأدوات الكنسية الصغيرة ، مثل صناديق الأناجيل والمباخر والصلبان والشمعدانات والمسارج الصغيرة التي يستعملونها في المنازل ، إلا أن هذا لا يؤخذ به كدليل قاطع على عدم احتراف الاقباط صناعة التعدين

على أن الأقباط اشتهروا من قديم الزمان بصياغة الحلى الدقيقة التى مازال أثرها حتى اليوم.

وأهم محتويات المتحف القبطي من الادوات المعدنية هي :—

١ — مجموعة من الاطباق النحاسية والفضية عثر عليها في كنائس مصر القديمة وأهمها :

صينية من النحاس جيء بها من كنيسة أبي سيفين وعليها نصوص عربيـة هي . « الملك الأكرم ، صاحب السيف والقلم نصر لمولانا .. الملك المالك الأشرف أبو النصر قايتباى سلطان الاسلام والمسلمين محي العدل في العالمين » ومما يسترعى النظر أن الكتابة يتخللها جامات داخلها أربعة (رنوك) إشارات (٢) متداخلة ببعضها ، وهي (الدواة والسيف والبقجة والكأس)

(١) راجع مجلة المعرفة ج ٤ (٢) انظر مقالى فى مصر الحديثـة تحت عنوان الرنوك والشارات ومدلولات الالوان.

إشارة لسعة قدر صاحبها وكثرة وظائفه ، وهنالك كتابة أخرى نصها : « فاطمة بنت صاحب عبد الرحمن سنة ١١٣٣هـ » ويظن أنها السيدة التى آلت اليها .

٢ — مجموعة من الصوانى المستعملة فى الخدمات الدينية يرى على معظمها نصوص بالقلم القبطى تتضمن طلب الرحمة لأنفس قديسين توفاهم الله، وبينها صينية عليها أربع أسماك بشغل الحفر. ويدخل ضمن هذه المجموعة أيضاً عدة أباريق وطسوت تستعمل لغسل أيدى الكاهن قبل تقديمه القربان وبينها طست على حافته العليا ١٢ دائرة بارزة بها آثار تنزيل بالمينا الزرقاء وهذا هو المثل الوحيد الموجود بالمتحف الذى يدل على تنزيل المينا على المعادن .

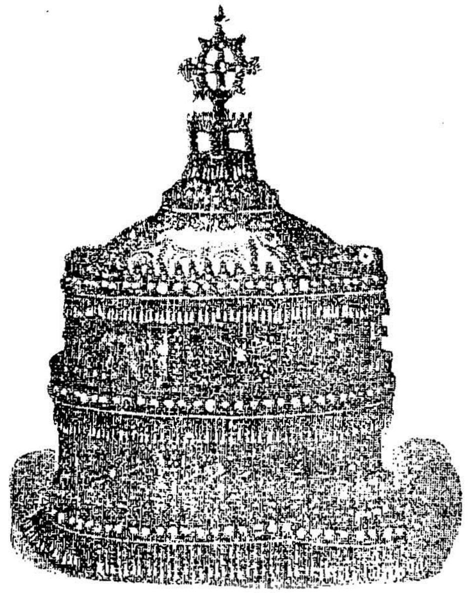
٣ — مجموعة من المباخر الحبشية — أو المصنوعة على الخط الحبشى — وتمتاز عن باقى المباخر القبطية بضخامة حجمها وبالأجراس الكثيرة المتدلية من سلاسلها .



(لوحة من خشب الجميز)

٤ — مجموعة من الشمعدانات المصنوعة من البرونز (الشبهان) والنحاس وعلى بعضها آثار تكفيت بالفضة بزخارف نباتية ونصوص عربية فيرى على إحداها النص الآتى : « لصاحبة السعادة والسلامة وطول العمر مافاحت حمامة ... » وعلى آخر : « المعز العالى المولوى الامير المالكى العالمى المجاهدى المرابطى المؤيدى الظلى ... » ثم على آخر « المعز لدين الله العالى المولوى » مكررة أربع مرات متواليات . وقد جيء بمعظم هذه الشمعدانات من كنيسة المعلق القبلى بمصر القديمة . وهنالك أيضاً بابان من الخشب المصفح بشرائط ودوائر من البرونز المسبوك على أحدها نص جنائزى بالقلم اليونانى معناه « ياالله الواحد ! ... ! أعن المتوفاة الراقدة فى هذا المكان بسلام » مما يدل على استعماله لمقبرة .

٥ — مجموعة من صناديق الفضة المعدة لحفظ الأناجيل وعلى سطوحها الخارجية آيات من الاناجيل باللغة العربية والقبطية بحروف بارزة يتخللها زخارف هندسية ونباتية يرجع تاريخها إلى القرن الخامس عشر ، وعلى أغلبها وقفيات الكنائس التى كانت مستعملة بها .



٦ — التيجان : ويوجد تاجان من النوع الحبشى أحدهما للمتنيح الأنبا كيرلس الخامس البطريرك السالف . أهدى له من قبل أحد أمبراطرة الحبشة وقد أهداه إلى المتحف نيافة الأنبا يوآنس — البطريرك الحالى — مع مجاميع نفيسة أخرى . وهذا التاج اسطوانى الشكل عليه تقاسيم بداخلها رسوم العذراء ومارى جرجس والملائكة بالحفر ويزين هذا التاج أحجار متلألئة تأخذ بالابصار ، أما التاج الثانى فكروى الشكل تقريباً .

٧ — مجموعة من الصلبان بعضها من الفضة والآخر من البرونز والنحاس وكان يستعمل الكبير الحجم منها فى الاحتفالات الدينية ، (تاج حبشى من الذهب المرصع بالحجارة الكريمة)

والصغير منها للتعليق بين الصدور والنحور ، بين ربات الخدور ، وعليها أشكال المسيح والعذراء ومناظر دينية أخرى .

الأقمشة :

وهنا تعالوا بنا نستمع ما يقوله الأستاذ وديع افندى حنا المتخصص فى الآثار من الجامعة المصرية ،

« كانت نعمة بنت مالك و والدتها حملت ، أول من اخترعتا غزل الصوف ونسج الأقمشة والنقش عليها ، ومنهما ورث مصرايم — الذى تنسب اليه مصر — مهنة عمل الصوف ونسج الاقمشة فعممها بين أبناء جلدته ، حتى برع فيها أكثر من كل أخوته الذين عمروا البلاد الاخرى ، فأنشأ لها المعامل الكبيرة فى مصر وقد شهد بذلك حزقيال النبى فى الاصحاح ٢٧ العدد ٧ إذ يقول : « كتان مطرز من مصر هو شراعك ليكون لك راية .. الخ »

ولما كانت مصر غنية جدا بكتانها نجد أن جثة المتوفى فى عهد الفراعنة تلف بلفائف من الكتان يتراوح طولها بين (٤٠٠) الى (٧٠٠) متر . واستعمل أيضاً فى ملابس الكهنوت (الفرعونية والمسيحية واليهودية) وكان عند ما يصنع بألوان مختلفة يرمز إلى معان متنوعة فالابيض مثلا هو رمز الطهارة والصلاح .

وقد برع الاقباط خاصة فى صناعة النسيج حتى كادوا يتفوقون على معاصريهم من الأمم

الاخرى ، فهاهى أمثلة من بقايا ملابسهم القديمة التى عثر عليها فى الجبانات والمقابر القبطية معروضة فى معظم متاحف ومكتبات العالم .

واشتغل الرهبان أيضا فى صناعة النسيج بالأديرة إذ عثر على جدران هذه الأديرة على بعض نصوص قبطية لارشادهم عن هذه الصناعة .

واشتهرت بعض المدن المصرية بمصانعها الكبيرة فهنالك (دمياط وتينس وأخميم) التى مازالت ذات شهرة فى البلدان بصناعاتها ومنسوجاتها . وقد وصلت الينا نماذج عن طريق المقابر لأن القبط كانوا يختارون لجباناتهم المحلات الجافة فى الصحراء فيدفنون موتاهم بافخر ملابسهم وحليهم .

وتتكون القطع المعروضة الآن من أجزاء مستديرة أو مستطيلة وأحياناً شرائط كانت تنسج على انفراد بواسطة الانوال من خيوط ملونة من الصوف فتخاط بعد ذلك بالثياب ، ومما يستلفت النظر فى هذه القطع هو ثبات ألوانها ودقة رسومها رغم مرور العصور المتعاقبة .

وأهم الثياب التى اشتهر الاقباط بصناعتها هى القباطى (جلاليب) كانت تنسج بأكمامها ورقبتها قطعة واحدة . وكذلك كان لهم نوع آخر من النسيج يسمونه المقصب لانهم يستعملون فيه خيوطاً من الفضة وخلافها .

وتنقسم معروضات المتحف الاقمشية الى نوعين رئيسين : الاول يرجع تاريخه الي ما بين القرنين الثالث والثامن والآخر الي ما بين القرن السادس عشر والثامن عشر الميلادى .

فأهم طرف القسم الاول هى : قطع نسيج مستطيلة من الكتان والصوف عليها رسم مدخل معبد قديم تعلوه كتابة قبطية ورسوم طواويس بألوان مختلفة — والطاووس رمز الابدية فى العصر المسيحى — وبوسط القطعة رسم العنخ (رمز الحياة) عند قدماء المصريين ، ومما يسترعى النظر بنوع خاص أن بهذه القطعة يرى حرفان قبطيان هما من كلمة المسيح (ك . ر أى كريستوس) وفى هذه القطعة دلالة على ربط الطقوس المسيحية بمسحة فرعونية كما ذكرنا فى مقالنا السابق ، ويغلب على الظن أن هذه القطعة كانت تعلق على الجدران . كما تعلق السجاجيد وغيرها اليوم . لغرض الزينة .

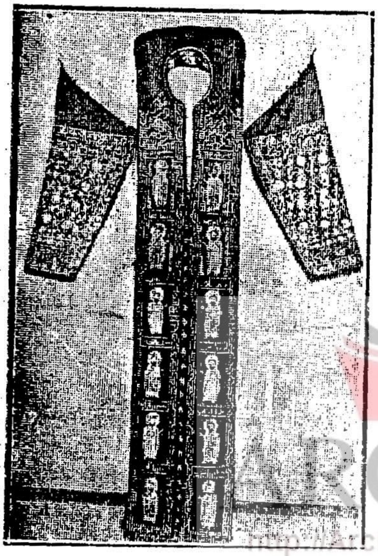
وهذه القطعة ترجع الى القرن الرابع الميلادى (أى الى ما قبل ١٥٠٠ سنة) وقد عثر عليها بجهة أسيوط .

وتليها فى الأهمية قطعة عليها رسم أربعة أوجه رسمت بغاية الدقة والاتقان لأنها ترمز

الى أربعة فضائل مسيحية : المحبة ، الرأفة ، السهولة ، التواضع . بحيث إن الناظر اليها يتبين من الملامح ما يرتسم على صاحبها من الفضائل المذكورة .

ويدخل ضمن مجموعات الاقمشة عدد من الصنادل (الجزم) القديمة المصنوعة من الجلد الموشى بالذهب ، وكذلك مجموعة من قطع العاج التى كانت مستعملة كعرائس ولعب للاطفال وقد عثر على معظمها بجهات أخميم .

أما القسم الثانى من الاقمشة فيشمل جملة ملابس كهنوتية تستعمل فى الاحتفالات و يرتديها الكهنة والبطارقة أثناء الصلاة . وهى على سبعة أنواع أهمها صنف يسمى (بالبطرشيل) وهى خاصة بالبطارقة عليها رسم الاثنى عشر رسولا مطرزة بخيوط من الفضة تعلوها كتابات ونصوص قبطية وعربية تتضمن أسماء البطاركة الذين كانوا يرتدونها .



بدلة كهنوتية للبطريك (البطرشيل)

ويشمل هذا القسم أيضا مجموعة من الستائر التى توضع على أبواب الهياكل يرجع تاريخ أقدمها الى القرن السادس عشر ، جيء بها من كنائس القاهرة .

الفخار والزجاج

تعد صناعة الفخار من أقدم الصناعات المصرية التى يرجع تاريخ منشأها الى ماقبل الاسرة الاولى بدليل ما اكتشف من هذا النوع من الاوانى المطلية بألوان زاهية . وكذلك التماثيل الصغيرة التى بينت أن هذه الصناعة وصلت منذ ذلك العهد الى أرقى مراتب الكمال . وبديهى أن صناعة الخزف والفخار تحتاج الى مهارة بممارسة وطول زمان . وقد اقتصر الاقباط من صناعة الفخار على ثلاثة أنواع :

الأولى الأزيار المعدة لحفظ الخمور وتبريد الماء ، والثانية الاطباق المزينة باشكال مختلفة من صور الحيوانات والانسان بالمغرة الحمراء . وأخص الرسوم التى كانت عليها هى سنابل القمح . والثالثة المسارج ، وكانت تزين برسوم الضفادع .

والفخار المعروض بالمتحف على نوعين الاول يشمل بقايا الاطباق والسلاطين التى صار اهداؤها من دار الآثار العربية ، وأصلها من مخلفات مدينة الفسطاط العربية فى العصر الاسلامى

وهي على أنواع ، منها قطع عليها رسوم هندسية ونباتية وصور حيوانات بارزة ، ومنها قطع كسا بقتها مطلية بالمينا ذات البريق الذهبي وعلى كثير منها أسماء أعلام أو المصانع التى عملتها أو الاشخاص الذين صنعوها .

ويدخل ضمن هذه القطعة مجموعة من شبابيك القلل المفرغة بأشكال نباتية وهندسية وحيوانية بل نصوص وحكم مثل (طف من خف) و (خف تعاف) .

أما الزجاج فالمجموعة بالمتحف محدودة صغيرة أهمها صينية من كنيسة المعلقة عليها ثلاث دوائر بالمينا الحمراء على أرضية زرقاء و بيضاء وكذلك بيضة تستعمل فوق المشكاوات عليها بالمينا الزرقاء ما يأتى :

« المقر الاكرم العالى المولوى الملكى الصالحى المالكى المخدومى السيفى صرغتمش »

الصور

إن أهم الاشياء التى صنعها الاقباط فى كنائسهم هى : صور القديسين ومازال عدد كبير منها باقياً حتى الآن بالأديرة والكنائس والناظر الى هذه الصور وهى تعلو أحجبة الهياكل بأرضياتها المذهبة يتمثل فيها روعة الفن الذي يظهر دعة الوجوه .

وأقدم هذه الصور هى التى عثر عليها بجهة باويط وسقارة ويرجع تاريخها للقرن الخامس الميلادى . وتمتاز الصور القبطية بأنها مرسومة على الجص الملصوق على الخشب . وكان الاقباط يستعملون فى تصويرهم زلال البيض عوضاً عن الزيت .



القديس مرقوريوس (أبو سيفين)

ومن أجمل الصور المحفوظة بالمتحف صورة العذراء حاملة المسيح . وكذلك جملة صور تمثل الشهداء كمارى جرجس وأبى سيفين وغيره ؟

صبرى فريد

المحاورات السقراطية

بقلم الاستاذ ا . د . لندساى

تعريب

الاستاذ ابراهيم عبد الحميد زكى

قد يبدو لأول وهلة أننا ما ذكرنا هذه العبارات (١) إلا لنبين فقط ضعف المحاورات السقراطية من الوجهة الفنية ، وما تعكسه من صور الحياة العملية كما كانت تبدو فى طرقات أثينا يومئذ . إلا أننا سنذكر فيما يلى حقيقة ما نرمى اليه .

من الواضح أن عناية سقراط بشئون الانسان كانت لا حد لها . ولذا فاننا عندما نراه يعالج شئون شخص سواه بما وهب من عقل راجح ، وفكر ثاقب ، لا نتردد فى القول بأنه لا بد مدل اليه بالكثير من الملاحظات القيمة ، التى تنير له سبيل عمله ، فضلا عما يسوقه اليه من الاسئلة الايحائية العديدة .

وهكذا نجد سقراط كما أراد أن يصوره زينوفون أى الرجل الذى « كلما حادث شخصاً ممن يشتغلون فى الفنون والصناعات ابتغاء الكسب أقام الحجة على أنه (أى سقراط) ذو فوائد جمة ونفع جزيل له » وهو الذى نراه يتحدث مع بارهاسيس المصور ، وكليتو المثال ، و بستياس صانع الدروع . أو بمعنى آخر انه كان رجلا قوى الملاحظة ، واسع التجربة ، قد خلق و يسر لأن يدلى بالنصائح للشباب الجاهل بشئون هذه الحياة . ولا جدال فى أن هذه هى الناحية التى أعجب بها زينوفون من سقراط .

على أننا اذا أنعمنا النظر فى هذه العبارات لا نلبث أن نرى فيها ما يرشدنا الى جوهر تعاليم سقراط . فقد كان يتحدث عن الاسكافيين والنجارين لا ليحسن صناعة هؤلاء أو أولئك ولكن ليجعل أساليبهم نبراسا له . وفى الحديث السالف الذكر (٢) ترى هيبياس يقاطعه حين يقول : إن النجارين يعرفون صناعتهم ، وفى حيز قدرتهم أن يعلموها غيرهم ، ولكن من سوء الحظ أن الحال ليست كذلك مع الرجال العادلين . وقد كان سقراط يتحدث دائما عن النجارين

---

(١) راجع مجلة المعرفة صفحة ٥٦٧ الجزء الخامس

(٢) راجع مجلة المعرفة صفحة ٥٧٠ الجزء الخامس

والاسكافيين . اذ كان يكثر من موازنة معرفة الناس لصناعتهم بجهلهم للحياة أو الفضيلة . وفى آخر عبارة اقتبسناها من أرسطو تراه يحاول أن يبين أين أخطأ سقراط فى هـذه الموازنة بين الفضيلة والصناعات .

ويقول سقراط فى الابولوجيا لأفلاطون : إنه وجد الناس جميعهم جاهلين عدا الصناع فهم يعرفون صناعتهم ، ولكنهم يفسدون معرفتهم هذه بظنهم أنهم يعرفون أشياء أخرى كثيرة هم فى الحقيقة جاهلوها .

وإننا لنجد سقراط يتساءل من غير انقطاع فى محاورات أفلاطون : من يستطيع أن يعلم الفضيلة كما يعلم النجار النجارة ؟ كل فرد يستطيع أن يقول: ماهو الدواء؟ فلماذا لا تستطيع أن تقول بالمثل ماهى العدالة ؟

فأنت ترى أنه يتخذ إجراءات الصانع العلمية والعملية نموذجا له على الدوام ، ويسأل لماذا لا يتبع هذا فى الأخلاق ؟ فقد كان يتحدث عن النجارين والاسكافيين لان الشبه بين الفضيلة والصناعات كان أهم جزء فى تعاليمه .

وفى هـذا الذى ذكرنا كان سقراط ابن أثينا البـار . وفى محاورة « بروتاجورس » لأفلاطون يسمى هيبيارس أثينا « موطن الحكمة الأغريقية ومذبحها » وقد كانت غاية بركليس العظمى أن تصبح أثينا « مدرسة الهلاس » وخلال مرثيته العظمى حيث تقع هذه الكلمات يصر بركليس على أن أعظم مجد للاثينيين هو إيمانهم بالمشورة والتبصر واقتناعهم بأنه مهما كان نصيبهم من حكم القدر ، فان من الأفضل على الدوام أن يكونوا متروين فى أمرهم . ولا شك أن التبصر والتدبر كانا أعظم الفضائل الأثينية .

وخطب بركليس فى كتاب « توكيديدس » عن الحرب « البلبونية » تعبر عن وجهة نظر فى الحياة شبيهة كل الشبه بما لسقراط . فهناك فى الحرب ما لا يمكن التنبؤ به . إذ الأمر فى النهاية بيد الآلهة ، ولكن ذلك لا يمنع وجود الحقيقة القائلة بأن ثمة مجالا لاظهار الفرق بين المهارة وبين الجهل ، وبين التبصر والاهمال .

بمثل هذا ميز سقراط بين ما هو فى قدرة الانسان وما ليس فى قدرته . وقد ذكر أن ثمة أشياء ليست فى قدرة الانسان ولا يجدى البحث فيها شيئا . بل يتحتم عليه أن يتركها للآلهة ولكن إذا أعطينا ما لله لله كان لزاماً علينا أن نقبض بشدة على ما للانسان . والانسان معنى بما يلزم أن يفعله ، وكيف يفعله وماذا يختار ؟ وفى هذه الحال تصبح المعرفة قوية ضرورية .

ويشبه أفلاطون فى كتاب « القوانين » حياة الانسان بقارب فى زوبعة . فالزوبعة قد تتغلب على أقدر النوتية وأمهرهم ، ولكن الأفضل على الدوام أن يكون ربان السفينة على معرفة حسنة بادارة سكانها .

واذا كان الأثينيون يحبون الحكمة . فان ذلك راجع إلى أنهم كانوا قوما صناعيين ماهرين وإلى أن الفرد منهم كان يعرف الشيء الذى هو خير والذى هو شر ، ويثق كل الثقة بأن الآلات بمفردها لا تعلم طريقة استعمالها ، وبأن النجاح لا يأتى إلا عن طريق التعلم والمعرفة.

وإن سقراط ليلجأ دائما إلى أولئك الذين يعرفون الفرق بين الخبير وبين الهاوى ، ويسأل الناس : كيف يرجون النجاح فى الحياة بدون أن يعرفوا القاعدة والأساس ، اذا كانوا لا يفوزون فى ميدان الصناعة إلا إذا ألموا بهما إلماما حسنا . ومن ذا الذى يبدأ فى عمل من غير معلم ؟ وأين المعلم الذى يعلم الناس فن الحياة ؟

وإنه لمن الميسور أن نرى كيف نشأ تعقل سقراط من موقفه هذا ، فجوهر كل صناعة متقنة هو أن تعرف ما تريد أن تنتج . ولا يعقل ان امرأ يبدأ فى عمل لا يعرف ماهيته . فعليه أن يعرف أولا ما يراد ، مثل حجم الحذاء أو أوصاف السفينة . وعندئذ يأخذ فى البحث عن الوسائل التى تيسر له الوصول الى غايته . فاذا حصل على معرفة الغاية والوسيلة لعملها ، فليس ثمة ما يعوزه لاتمامها . ولقد طبق سقراط هذا المبدأ الفعال على الحيـاة . وبما أن الناس جميعا يبحثون عن الخير الذى هو غاية الحياة فلزام عليهم أن يعرفوا أولا ماهيته ، وثانياً ما يسببه . وبمثل هذه المعرفة يمكن التمييز بين الرجل الطيب وبين الردىء ، كما يمكن التمييز بين الصانع الماهر والصانع الردىء .

ومن هنا كان تناقض سقراط المزدوج :

فهو اولا يقول : إن الرجال يخطئون لجهلهم ، إذ الواضح ان الناس جميعهم يرغبون فى الخير واذا قصروا عن الحصول عليه ، فذلك ولاشك راجع إلى انهم لم يدركوه ادراكا واضحا ، او انهم اتخذوا الوسائل الخاطئة للحصول عليه .

وثانياً يقول : إن الانسان لا يستطيع ان يكون خبيرا بدون المعرفة والمهارة ، مع انه قد ظهر من سؤال الناس أن ليس لشخص منهم شيء من المعرفة

ولقد جرت العادة بأن تحل مشكلات سقراط بأن يذكر انه قد تجاهل الارادة . ولما كان هذا النقد الذى يوجه اليه لم يوضح ما هى الارادة ، فلا جدال فى أنه لم يقل اكثر من ان سقراط

قد تجاهل شيئا ما . وهذا واضح من التناقض الذى تقودنا اليه تعاليمه .

واذا كان لنا ان ننقد تعاليمه هذه ، بان نختبر محاوراته وندرسها . فلزاماً علينا ان نبحث لماذا لا يمكن ان نلجأ فى سهولة الى الحذق والمهارة فى الحياة كما نلجأ اليهما فى الصناعات ؟

وفيما يلى يتلخص نقد ارسطو لتعاليم سقراط :

فى الصناعات يسلم بالرغبة فى الغاية المنشودة . فليس يعنى الاسكاف مثلا ما اذا كان الناس يحسنون صنعا بلبسهم الأحذية او لا ، فهم يقررون ذلك والصانع يسلم بتلك الغاية التى تقضى بها حاجتهم .

ونزيد على ذلك ان الغاية هنا يتيسر وصفها بوضوح . ويمكن ان يشار اليها . وان تقاس فمن السهل مثلا ان تعرف اذا كان الحذاء مناسباً للقدم او لا ، واذا كانت السفينة بالمقاييس المطلوبة والحجم المعين او لا وهلم جرا .

اما اذا كنا بازاء الحياة بأجمعها . فعلينا ان نتبصر وننظر فى الرغبة فى اية غاية . او بمعنى آخر ان نجد شيئا هو خير لذاته . ومهما تكن غاية الحياة فلا شك انها لا تقاس ولا يمكن ان يشار اليها . كما انه من المستحيل ان نلجا فى سلوك الانسان الى ما يتطلبه الحذق الذى له من الشان فى الصناعات ما له . اذ نكون هنا بازاء اسئلة لا يمكن ان تقوم بحال فى الصناعات .

واذا قلنا مع سقراط اننا اذا عرفنا الخير فعلناه . فواجب علينا ان نعطى للمعرفة معنى جديدا . معنى ينطوى على عنصر من الاستحسان أو الاهمية . وعلى ذلك فلن تكون هذه المعرفة من ذلك النوع الذى يتيسر تعليمه بالأسلوب العادى .

وعلى هذا النمط توسع افلاطون فى تناقض سقراط من حيث جبرية الشر . فهو يقول فى « القوانين » ان الواجب علينا ان نميز بين نوعين من الجهل . فقد نكون جاهلين بان هـذا الشىء خطأ وذاك صواب . وهذا النوع من الميسور ان يعالج بالارشاد . وقد نكون جاهلين هذا النوع الخطير من الجهل والذى لا يعالج . الا وهو الظن بان فعل الخطأ لا يضير ولا يهم . وهذا النوع الثانى لا يمكن ان يعالج بالارشاد .. والمعرفة التى تماثله ليست كتلك المعرفة التى يحظى بها الصانع

ويؤيد افلاطون قول سقراط . ان الفضيلة هى المعرفة باقلاعه عن معنى المعرفة كما كان يقصد بها فى الأصل عند هذا القول .

ابراهيم عبد الحميد زكى

كامل كيلانى

بقلم الأستاذ الشاعر محمود أبو الوفا



(الاستاذ كامل كيلانى)

اسم يملأ كل مكان ، وجسم لا يشغل أكثر من مساحة الكرسى الخيزران الذى يجلس فيه أى موظف فى ديوان .

لا تكاد الصحف العربيـة تخلو يوماً واحداً من الانتقاد أو التنويه عن كتاب جديد ظهر بقلم كامل كيلانى . ولا تكاد أيها القارىء تمر على مكتبة إلا وتجد وجهتها الأماميـة رصعت ترصيعاً بل احتلت احتلالا ، بكتب هذا المؤلف كامل كيلانى . وهكذا ظل يتردد هذا الاسم بين الثناء والهجاء ، و يتكرر بين الألسن والشفاه ، فى أندية الأدباء وفى أنهر الصحف ، حتى اجتازت شـهرته حدود الوطن ، والشهرة إذا اجتازت حدود أوطانها ، فليس فى قدرة أحد أن يردها عن غاية ، أو يقف بها عند نهاية . بل ليس يملك أحد أن يلقاها فى سرعتها ليسألها إلى أين ؟

وقديماً وقف الشاعر ينشد النبي صلى الله عليه وسلم قصيدته حتى بلغ إلى قوله :

بلغنـا السماء مجدنا وجدودنا   وإنا لنبغى فوق ذلك مظهرا

فوقف النبي سروراً وقال له : إلى أين ياأبا مالك . فلم يملك الشاعر أن يجيب أكثر من أن قال : إلى الجنة بك إن شاء الله يا رسول الله . فقال لا فض فوك .

وقد حسب بعض فقهاء الأدب أن هذا الجواب من أجوبة البديهة الحاضرة ، وسرعة الخاطر النادرة . ولكن الحق الذى لا مراء فيه ، أن جواب الشاعر ليس فيه أكثر من أنه قال الحقيقة ، ونجا من الافحام . فقـد كان الشاعر يعرف كما يعرف غيره من عامة الناس أن شهرة الاسلام جاوزت حدود وطنه الأول . وكذلك كان يعرف الشاعر ببداهة الفطرة المفروضة

فيه كشاعر أن الشهرة متى جاوزت هذه الحدود فقد تغلبت على عناصر التثبيط ، ولا بد لها أن تسير إلى آخر المدى الذى يشاء الله — وعلى هذه القاعدة التى لا يمكن أن تشذ من أقدم عصور التاريخ إلى الآن . لم تكد شهرة الأستاذ كامل كيلانى تصل إلى حدود مصر الشرقية حتى طارت فاذا بها ملء المشرقين .

لن أنسى يوماً كنا فى حفلة سنوية لاحدى مدارس مصر الأهلية . وكان الأستاذ كامل كيلانى أحد المدعوين . وقد انتهى خطباء الحفلة من خطاباتهم . وقام صاحب الدعوة يشكر الذين لبوا دعوته عامة وأبى أن يخص بالذكر إلا الأستاذ كيلانى خاصة . وكنا نتأهب للانصراف لأن كلمة الشكر لا تكون كما هو العرف فى هذه الحفلات الا بمثابة جرس الانصراف

لن أنسى أن صاحب الحفلة لم يكد يذكر اسم الأستاذ كامل كيلانى حتى رأينا شاباً يندفع كالقذيفة إلى جهة المنبر وإذا به فوقه ، فاشرأبت الأعناق إلى المنبر ، وانحبس الناس عن الانصراف واندهشوا . واندهش صاحب الحفلة معهم ، ولكنه ماذا يصنع فى حماسة هذا الشاب ، وفى اندفاعه سوى أن يسأله ، ماذا يريد أن يقول ؟

لقد تهامس الناس وقتئذ أن الشاب ليس مصرياً ، ولقد ظهر حقيقة أنه من جاوه . وأنه لم يهبط مصر إلا منذ أسابيع ولم يحضر لهذه الحفلة إلا تبعاً لرصفائه الذين سبقوه إلى مصر من طلبة البعثة الجاوية .

ويحك أيها الشاب الجاوى لقد حبست الناس ليعرفوا ماخطبك أو ليستمعوا رأيك ، لأنك غريب ، والناس فى هذا البلد يهتمون كثيراً لرأى كل غريب ! !

أراهنكم أيها القراء جميعاً ، واثقاً أن أحداً لن يستطيع أن يربح الرهان لأنه لن يستطيع أحد أن يعرف ماذا أراد هذا الشاب أن يقول ، وأى المعانى قام بنفسه فأحس أنه سيختنق إن لم يفض به إلى الناس .

قل أنت أيها الشاب ماذا تريد ؟ لقد تكلم ولكنه لم يبن ، لأن لهجته لا تزال جاوية صرفة إذن ليقف أحد زملائه ليفصح لنا عن رأيه فاذا بهذا المترجم يقول : إن مواطنه الشاب سمع صاحب الدعوة يذكر اسم الأستاذ كامل كيلانى المؤلف المصرى العظيم . وإنه كان فى جاوه يقرأ مؤلفات هذا العالم الأديب ، وطالما كان يمنى نفسه برؤيته . وإنه لا يمكنه وقد عرف أنه أحد الحاضرين فى هذه الحفلة أن يترك هذه الفرصة المنشودة تمر من غير أن ينتهزها ليعلن تحيته وإعجابه العظيمين لهذا الأستاذ النابغة العظيم .

لكم أيها القراء أن تصفوا كما شئتم مبلغ الفخر القومى الذى شعر به المصريون الحاضرون فى هذه الحفلة . ولكنى أؤكد لكم أن هذه الهزة الفخرية التى شعرت بها ليلتئذ كمصرى ينتسب إلي وطن هذا المؤلف ، و إلى صداقته المشرفة ، لا تزال تعاودنى كلما دعيت إلى حفلة من هذا القبيل . بل كلما لقيت جاويا فى الطريق :

على حين أن مضى على تلك الذكرى بضع سنوات . وأستطيع أن أصرح الآن بأن كلمة هذا الشاب وقعت عندى موضع البرهان من النظرية ، فانى منذ لقيت كامل كيلانى أول مرة كنت أقدر أن أدبه من نوع الادب الخالد . وكنت كلما ازددت به معرفة ازددت بهذا الرأى إيماناً ولكنى كنت أخشى أن أصرح بنظريتى هذه حتى لكامل نفسه لأنى لم اخرج وقتئذ عن كوني واحداً من الناس الذين لا يؤمنون بالعظمة الأدبية إلا اذا غلفت بمثلها من العظمة الحسية، ولم يرزق كامل هذا النوع الأخير لانه لم يرزق بسطة فى الجسم ولا بسطة في المال .

لذلك فقد كان الايمان بعظمة أدب كامل محتاجاً الى فراسة المؤمن الذى ينظر بنور الله ، او الى مثل هذا البرهان الذى جاءنا به هذا الشاب الجاوى النجيب .

إن ادب كامل كيلانى حرى باحراز الشهرة التى نالها باستحقاق فى الشرق كله . لأنه ادب اسس من المواهب والكفايات — على ما يشبه الاسمنت المسلح — فأنت من اى النواحى تجىء إلى كامل تجده من امتن ما بنى الله من الأدباء .

عرفنا ادب كامل ايام كان يشرف على تحرير جريدة الرجاء . فاذا بنا نراه يتولى هذه الجريدة وهي احدى الوريقات . فماهي الا جولة من جولات قلمه الساحر ، كأنما حرك بها الفلك . فاذا به يدور بهذه الجريدة دورته اليمين ، واذا بها فى عشية وضحاها جريدة النهضة الفكرية فى مصر يكتب فيها الاساتذة : وجدى .. والمنفلوطى .. والعقاد . . والمازني . . وشكرى . . وصدقى وغير هؤلاء جميعاً من كبار قادة الكتاب المصريين .

فبرهن الاستاذ كامل على أنه من اقدر الكتاب رؤساء تحرير الصحف . واذا بالناس يحسبونه لا يحسن من انواع الادب الا هذا الادب الصحفى الرائع الذي يرونه فى «الرجاء» وتناقل الناس ثناءه على انه اديب صحفى ممتاز لا أكثر ولا اقل . وظن الناس أنهم لن يجدوا فى أدبه اكثر من هذا الجانب من الادب . واذا هم فى صيحة كأنما نفخ فى الصور . واذا بأدباء العصر جميعاً يطالعون لكامل رسالة الغفران ، وديوان ابن الرومى ، ونظرات الادب الاندلسى .

عجب الناس يومئذ ، وحق لهم من جهد هذا الشاب الذى لا يعرفونه الا صحفياً يومئذ . ودهشوا كيف يستطيع وحده أن يبعث ادب المعرى وابن الرومى من هذه الارماس

المطمورة ، والقبور المهجورة ، فيهيء بذلك لهذا العصر الناهض سبيل فقه الأدب الصحيح - وكأنما هذه القيامة الادبية التى بعثت فيها رسالة الغفران ، قد انست الناس حكمهم السابق فى كامل فعادوا لا يصدقون انه الاديب الصحفى الممتاز ، وانما هو الاديب الاصولى الذى لا يحسن من انواع الادب الا هـذا الذى يضعه فى قرن صديقيه القديمين ابن الرومى وابى العـلاء . وظل كامل مستمتعاً بزعامته فى هذا الادب الاصولى . فكان كأنه فى اعين معاصريه من المصريين اناتول فرانس فى منزلته من عيون معاصريه الفرنسيين الى أن ظن الناس أنه لا يحسن الا هذا النوع من الادب القديم ، اذا به يفاجئهم مرة اخرى بأقوى وأشد وأعنف مما فاجأهم به فى المرة السابقة ، اذا به ينقلهم دفعة واحدة من الغاية العليا الى مايقابلها من الغاية الاخرى . و بعبارة ثانية ينقلهم من النقيض الى النقيض ، واذا بهؤلاء القراء الذين تعودوا أن لا يجدوا اسم كامل كيلانى الا على أعلى رسائل وكتب الادب ينظرون ، فجأة إلى ذلك الاسم موضوعاً على كتب للاطفال ، وفى شهور لا تعدو العام تمتلىء مكتبات مصر وفلسطين وسوريا والشرق كله بكتب الاطفال تاليف كامل كيلاني .

بل ها هى بعض الجمعيات الاجنبية فى مصر تسرع وتقرر على أطفال مدارسها هذه الكتب دون سواها . وكذلك فعلت بعض البلدان القريبة ، وأظن أن فلسطين على وشك أن تفعل . فقد علمت من مكتبة المعارف أن فلسطين أرسلت فى طلب كميات كبيرة من كتب الأستاذ كيلانى التى طبعتها هذه المطبعة اخيراً للاطفال . وها هى المكاتب العربية الكبرى تتسابق إلى شراء حقوق طبع كتب الأطفال تاليف الأستاذ كامل كيلانى . وهاهم الناس على عاداتهم فى نسيان أحكامهم السابقـة ينسون أو يكادون ينسون أنهم إلى الأمس القريب اطلقوا عليـه لقب صديق ابن الرومى وصديق ابى العلاء . و يعودون يحكمون عليه من جديد بأنه صديق مكتبة الأطفال . ولسنا ندرى بعد شهور اخرى ماهو الجانب الأدبى الذى سوف يختاره كامل كيلانى ليكشف للناس عن مقدار نبوغه فيه .

يظهر لى أن السبب فى تاليف كامل الكيلانى للكبار جداً ، ثم عودته الى التأليف للصغار وللصغار جداً - يظهر لى أن هذا السبب لا يرجع الا الى اللذة التى لا يلتذ كامل بشيء ألذ منها وهى الجمع بين النقيضين ، والاتيان بما يقول الناس عنه إنه مستحيل ، ولا أتردد فى القول بأن لهواء الجبل الذى لا يبعد سوى بضع دقائق عن البيت الذى ولد وترعرع فيه الاستاذ كامل اكبر

(البقية على صفحة ٧٥١)

خطيبتي

بقلم الأستاذ محمد السيد

حدث صديق فقال: نشأ جدي رحمه الله في ريف مصر ذا ثروة متوسطة، من أبوين مسلمين. وكان شغوفا بالنساء، كلفا بهن، غير أن مدينيه والزمان والمحيط اللذين كان يعيش فيهم. كل أولئك، ما كانت تسمح أن تكون له بالنساء علاقة أثيمة، أو صلة غير شريفة، وهو أبداً يحبس في عصمته زوجات أربع، حتى اذا ماتت إحداهن أو نبت عنها رغبته استبدلها بأخرى.

وقد ورث عنه والدي هذه العادة، أو هذا الداء الوبيل على الأصح. غير أن الزمان كان قد تغير، وظروفه ما كانت تساعده على مجاراة المرحوم والده في هذا المضمار، فكان يكتفي أن يستبدل زوجا مكان زوج كلما أراد، أو عنت له رغبة. وقليلا ما كان يجمع بين الاثنتين — وأنت تستطيع أن تدرك كيف تعيش عائلة من متوسطي الحال، قوامها رجل له أولاد هم ٥ أو ٦ أو ٧ أو ٨ أو ٩ مثلا، مع زوج ليست أم واحد منهم: تستطيع أن تعرف هذا وتعرف ما يلاقيه هؤلاء الصبية والصغار من امرأة قضى الزمان أن تكون على شئونهم جميعاً، وهي لا تكن لهم أية عاطفة من حب أو حنان أو شفقة. بل أنت تستطيع أن تعرف ماذا تكن زوج الأب لأولاده في أعماقها، وما تحمل لهم في صدرها من غل وضغينة، وليس لهم في ذلك من إثم ولا جريرة، إلا أنهم كانوا أبناء لذلك الذي وإن خلقه الله على هيئة الناس الا أنه بلا قلب خلقه.

قال الراوي: وما كانت لنا حيلة في هذا غير مصانعة الزمان، والنزول دائماً عند مشيئة زوج أبي، حتى اذا سكنا الى مصاحبة هذا الداء، وألفنا هذا الشر رمانا رحمه الله بمصيبة أخرى، هي أنه استبدل زوجه بأخرى غيرها، وهكذا دواليك فلم تكن لهذا الرجل أية عاطفة نحونا كأننا لسنا أبناءه. لم يفكر يوماً في تعليمنا أو تربيتنا، بل تركنا هكذا كلأ مباحا، ورعية من غير راع، بل ونهباً مقسما للزمان وصروفه العجيبة، يتعلم منا من شاء، ويلعب منا من تريد — ولا أطيل عليك. فلقد شببت أنظر الى الدنيا من خلال «عوينات» سود لا أحب.

الناس، ولكن أبغضهم، أوعلى الأقل أنظر اليهم كأنهم أعداء يريدون بى السوء ، ويضمرون لى الشر ، ليس لى فى واحد منهم أى أمل .

وكان لى زميل مدرسة ، من نعمة الله عليه أن له أما وله أبا يعيش بينهما وفى كنفهما سعيداً مغتبطا بالحياة راض عنها كل الرضاء — وكنا نقضى كل أوقات الفراغ فى منزله نذاكر دروسنا أو نتكلم ولا نلعب ، فلم يكن لى إلى المرح واللعب حتى وأنا طفل أية رغبة، فأنا دائماً محزون . وكان زميلى لطيبة قلبه يفضل الجلوس معى على أن يشترك مع الآخرين فى لهوهم ومرحهم .

وكانت له أم تصلى وتصوم : وهذه المرأة الصالحة كثيراً ماشملتنى بعطفها ورعايتها ، فهى تعرف أنى يتيم « وإن كان والدى على قيد الحياة » فهى تحبونى بما تخبئه لابنها البكر من أصناف المغريات المفرحات، وفى أيام الاعياد والمواسم، تجتهد دائماً فى أن أكون معهم ، وكأنى واحد من أبنائها — وكنت هادىء الطبع رزينا أحسب لكل شيء حسابه ، أبدو عاقلا تكلف صفات الرجال وأعمالهم، وكانت تكبر فى هذا وتقدره، حتى اذا سنحت لها فرصة كانت تطرى شمائلى وتحمدلى خصالى . فأنا رزين، عاقل، طيب الخلق ، تتمنى لو بلغت مبلغ الرجال فتزوجنى من ابنتها العزيزة « س »

وابنتها « س » هذه مؤدبة ، أحسن أبواها تربيتها ، ثم حجزاها فى المنزل تتعلم القرآن ، وكانت تجيد تلاوته وترتيله . وهى دائماً فى البيت لاتخرج الا لشأن ، ومع أبيها أوأمها .

لم أكمل دراستى بل قطعها أبى على وألحقنى فى وظيفة حكومية، فلما أصبحت ذا ايراد ، ولى فى الدنيا مستقبل، تهافت على الناس بعد أن كانوا عنى معرضين . وهذا أبى يحترمنى الآن ، وها زوجتاه تتنافسان على ، كل تريدنى زوجاً لاحدى قريباتها، ولكن متى كان العدو حبيباً .. ومتى كانت زوج أبيك تحب لك الخير إلا أن تكون فيك طامعة ؟؟

وكنت أتردد على بيت صديقى الذى استمر يطلب العلم . فما أن تلقانى أمه حتى تعيد على القصة المعلومة — فهى تحبنى وتحب لى الخير كله. ولهذا، تود لو أتزوج من ابنتها (س) وأنا من جانبى أقدر لها هذه العاطفة وأ دها عليها ، وأرجو الله أن يوفقنى لهذا ، فتزعم أنها اختارتنى وإن كان خطاب ابنتها (بالعشرات) فهى راغبة عنهم فى ، فان أكن ذا مرتب صغير إلا أنى مستقيم الحال نقى السيرة — فهى لهذا ولأنها ستضيفنى نهائياً لقائمة أولادها، فأصبح لها صهراً وابناً فى وقت واحد — تفضلنى — ثم وهى بذلك تكون جد مغتبطة. وأما « الفلوس » فلا

أهمية لها ، والموجود يكفى أو « بلاش خالص » فهى فى بسطة من العيش وسعة من الرزق.

وكان لأبى رأى آخر. فأنا أستطيع تحت اسمه أن أتزوج من عائلة غنية، أو على الأقل ابنة أحد الموظفين الرؤساء حيث يهتم بى صهرى ويعمل لترقيتى فى وظائف الحكومة، فأكون قد تزوجت وضمنت لنفسى مستقبلا سعيداً فى آن واحد .

ثم تنهد صديقى وقال آه . لقد كنت أنظر إلى والدى لا كأنه والد، بل كأنه أحد الناس . فهذا الرجل الذى ما كانت تهمه فى الدنيا الا لذاذاته، ما كان يستحق منى - كابن - أى تقدير أو احترام. لهذا ما كنت أتقبل نصائحه، بل كنت أضيفها الى ما جبل عليه من الغطرسة وحب الرياسة والتحكم . هذا أبى، أما زوجتاه فقد قابلت اقتراحاتهما ببرود وصمت، وأنا ولدت فى الريف ، ونشأت كما تعلم بعيدا عن أمى ، فلم يبق أمامى اذن غير هذه التى عرضتها أمها .

رحت أفتش جوانب نفسى، واعرض عليها ماقالت لى هذه المرأة . ثم أخذت أسائل نفسى أمن اللازم للانسان أن يتزوج؟ وتورطت فى لجج من البحوث والأقوال عميقة. ثم هى بالتناقض زاخرة مضطربة . وأخيراً رأيت أنه خير لى ولو نسبياً أن أتزوج ، فالزواج فى هذا الزمن، شر . . . ولكنه للاسف شر لابد منه، بهذا اقتنعت وعليه عولت.

إذن ليس ثمة مايمنع من أن أتزوج ، فأخذت أسائل نفسى،أهذه المرأة التى تعرض عليك يد ابنتها وتريدك لها زوجاً تفعل هذا عن عاطفة شريفة ؟ وكثيراً ما أجبت على هذا السؤال بالايجاب أو بالنفى : وأخيراً فلأفرض أنها ما كانت مدفوعة نحوى بعاطفة خير، بل تحب ابنتها وترجو لها السعادة، ومن هذه السبيل فقط فكرت فى: أليس فى هذا خيرا لى أنا الآخر ?? ثم ماذا يضرنى أنا لو بحثت هى عن سعادة ابنتها، فنالتنى أنا أيضاً هذه السعادة عفواً وعن غير قصد؟

انتهيت إلى هـذا وإلى أن لا مانع من أن تكون هذه البنية زوجاً لى من هذه الناحيـة فقط ثم بعد ذلك عرض لى أمر آخر كان له من الأهمية فى نظرى الشأن الأول .

هل يجب على أن أبتنى بمن أحب ؟ أم أن الحب ليس شرطاً أساسياً فى الزواج ؟ أخير للعائلة أن تقوم على دعامات من الهوى وأساسات من الحب ؟ أم أن خير العائلة فى غير هذا ؟

ولقد كان من العسير حقاً على مثلى أن يجيب على هذه الأسئلة

فما الحب ؟ وما الزواج ؟ وهل بينهما صلة ؟ وهل هى متينة أم هينة ؟ عرضت لى هذه الأسئلة وغيرها كثير، وأصبحت هذه المسألة أعقد من ذنب الضب. فهذه الزوجة المقترحة لم أكن حتى

وقتئذ قد رأيتها وسمعتها، وأنا أستطيع أن أؤكد لك أن الانسان لا يحب (غيابياً) وأن ذلك الشاعر الذي يقول «والأذن تعشق قبل العين أحياناً» سخيف. ولكي تتأكد، فلتفترض أنك أحببت دون أن ترى، ثم رأيت بعد ذلك صاحبتك، وكانت قبيحة المنظر دميمة الخلقة، فماذا أنت صانع بحبك؟ وماذا أنت ملاق فيه؟ لا شك أنك تلاقى الحسرة والندامة ولا تجد الا الخيبة والفشل.

ثم مضى زمن كانت تتوارد على الخواطر السالفة. وأنا أجيب عليها إجابات تافهة، أو إجابات سديدة. لست أعرف. حتى كان يوماً انتهيت من بحثى هـذا كله إلى أن علاقة الزواج وما يترتب عليها من نتائج، وما يربطها بالحياة العامة الشاملة من وشائج، تنتج الألفة التى قد يتولد عنها الحب الشريف الدائم الأبدى. وإذن فلأتزوج، وبهذا كاشفت (حماتى).

وفى ذات مساء ذهبت حماتى مع ابنها صديقى وزميل صباى وابنتها (العروس) وجارة لهم إلى المسرح، وكانت قد أوحت إلى أن هناك يكون الملتقى. تقابلنا هناك، وكان من حسن الطالع أو من سوئه، أن الرواية التى تمثل فى تلك الليلة (شهداء الغرام).

رأيت خطيبتى وإذا بها ليست جميلة، وليست دميمة لماذا تكون زوجى جميلة؟

لكى أسعد بها أو لكى أغنى بها عن غيرها: ولكن أليس الجمال فتنة؟ وأن الجميلة قد تسبب لك آلاماً كثيرة، ومتاعب مضنية حتى ولو من ناحية أنها تشعر بجمالها، فتكون دائما مدلة ودائما متعاظمة؟

ثم أليس الجمال بين الناس قدراً مشتركاً؟ وأنت تستطيع أن تزعم أن هذه التى تحب أو التى لك بها غنية جميلة. الخيرة فيما اختاره الله وخير الأمور الوسط.

لم تكن لدى نقود أتقدم بها لهذه العائلة كزوج لابنتهم، أو حتى كخطيب، فظللت بضعة أيام دائم التفكير فى هذا. وأخيراً وفى ذات صباح وأنا أطالع (الصحيفة) فى طريقى للديوان قرأت فى الأخبار المحلية أن الوزارة قررت اعتبار مبدأ ماهيتى وزملاء لى نحو الخمسين، بزيادة جنيهين شهريا، وكان من حسن الحظ أن هذا القرار انسحب على سنة ماضية. فصرفت فى اليوم الثانى مبلغاً لا بأس به، اشتريت به (شبكة) لخطيبتى وقدمتها اليها.

ومنذ هذا اليوم بدأت العلاقات تتطور إلى تآلف، وأكثرت من الذهاب إلى منزل أصهارى والمكث عندهم، وكانت حماتى تتودد إلى بكل السبل، وتتحبب إلى نفسى بكل الوسائل. فما كانت تدع فرصة إلا انتهزتها فتظهر لى عطفها وحنوها، بل وحبها كأم، فحمدت الله على أن عوضنى ولو أخيراً أهلا أحبهم وأسكن اليهم.

وكانت حماتى تستعجل دائماً عمل العقد ، حتى تفرح. فهى إلى الآن لم تجد فرصة تفرح فيها مطلقا ، وكانت دائماً تستحثنى ، بل وتلحف إلحافا شديداً. وتحت تأثير هذا الضغط ، اضطررت إلى اللجوء لوالدتى أستعير منها الصداق ، وانتهزت فرصة غياب والدى باسكندرية وأتممت عملية العقد الرسمى.

لم يكن بجانبى والد ولا والدة : فأمى فى البلد وأبى فى الاسكندرية .. وبالأحرى لم يكن بجانبى أو لم يكن لى من يرشدنى إلى ماهو الواجب فى مثل هـذه الظروف. وأنا لم أكن قد تزوجت قبل الآن ، ولم يكن فى بيتنا أحد قد تزوج ، حتى كنت أستطيع أن أعرف ماهي العادات فى مثل هذه الظروف والأحوال .

ولا أكتمك ، فأنا لم أتحف العروس بالهدايا من جميع الاصناف والاشكال كما هى عادة المصريين ، ولم أشتر لها (سمكا) ولا (فاكهة) ولا جوارب ، ومناديل ، أو أحذية ، أو ما إلى ذلك مما هو عادة مألوفة وسنة مقررة . . غير أنى أذكر أنى فى العيد أهديتها ساعة ذهبية.

كان هذا العمل من جانبى بمثابة إطلاق قنبلة في صدر حماتى ، فقد غضبت غضباً شديداً ، فهى لم تزوج أحداً قبل هذه ولها صويحبات وصديقات يرغبن فى رؤية هدايا العريس والتمتع ببعضها . . . هذه أشياء لا أعرفها ، ولم أكن قد جربتها ، إلا أنها أحنقت حماتى وأغضبتها ثم ازداد الغضب شيئاً فشيئاً حتى استحال إلى عداء مستحكم ، وبعد أن كانت ترانى ابنها البكر أصبحت لها من ألد الأخصام . لاحظت هذا وأعترف لك أنه آلمنى وأقض مضجعى .

كانت زوجتى أو خطيبتى من جهتها لا تهتم بشيء من هذا ، فهى تقابلنى مقابلة حسنة إذا ذهبت لمنزلهم ، وإذا غبت تسأل عنى. ولقد انتقل اليها ما كانت تعمله أمها معى من قبل ، وكنا نخرج فى بعض الأحيان نتريض ، منفردين أو مع غيرنا ، وكثيراً ما شكوت لها أمها ، فكانت تختصر على أن فى أخلاق أمها شدة ، وأنها من أهل زمان ، وتطلب إلى فى إلحاف أن أنسى هذا ولا أعيره اهتماماً .

لـكن كيف لا أهتم ؟ والبيت كله والعائلة كلها فى يد هذه المرأة اللعينة الممقوتة ، تتصرف فى الصغير والـكبير سواء . ولقد نتج عن هذا أن وازنت بين الحال والمستقبل ، وقلت فى نفسى إن هذه المرأة تعاملك من الآن بهذه القسوة فاذا أصبحت زوجا لابنتها فانها لا شك تستعبدك ، أو على الأقل تنغص عليك عيشك . ولـكن ما ذنب هذه المسكينة ؟

كان مركز خطيبتى أو زوجتى فى غاية الدقة ، فأنا لم أبن بها بعد ، وهى لا تستطيع أن

تظهر لأمها غير ماتحب وترضى . . . ثم هى تحاول أن ترضينا كلينا فلا تستطيع . آه .. يالله ... كم قاست هذه الضحية ، ضحية الأم الغبية . فى سبيل إرضائى والاحتفاظ برضاء أمها وحبها

كان والدى قد علم بزواجى وساءه هذا الخبر أيما اساءة .

وفى ذات مساء كلمنى فى هـذا وفى أنى كنت غير موفق ، وأنه غير راض عنى .. وأنى لهذا لن ألقى إلا الخيبة والندامة . ولا أكتمك ياصديقى فلقد أنتجت معاملة حماتى القاسية أن أصبحت كلمات والدى لدى مقدسة ، لها فى أذنى رنين وفى قلبى الاكبار والاحترام ، وأيقنت أن الوالد مهما قسا على ابنه . ومهما أشقاه فى الدنيا ، فهو على كل حال قطعة منه « إنما أولادنا أكبادنا تمشى على الأرض »

كانت النتيجة الحتمية لهذا أن فكرت فى شيء له خطره ، وما كان أقسى هذا الذى فكرت فيه وأضناه ، بل ما كان أقتله لنفسى .

وفى أصيل يوم وقفت أمام والدى فى غرفة مكتبه أطيل النظر اليه ، وهو يتلهى عنى بمراجعة بعض الأوراق ، و بعد فترة ليست بالقصيرة رفع بصره إلى وقال : ها أنت يا . . . ماذا عملت مع أصهارك ؟

لا شيء ياوالدى . أنا تحت أمرك يا أبى .

اذا كنت ابنى حقيقة فلا تصاهر هذه العائلة .

وكانت هذه الجملة كأنها خنجر قد صوب الى قلبى مباشرة .

ثم كيف أتخلص ؟ لقد كان ما كان . . لم أستشر أحدا ، ولم أتفاهم مع أى إنسان ... حتى هذا الذى حرضنى لم اتبين رأيه الكامل فى الفروع والتفاصيل . حقاً لقد كانت قسوة .

وفى المساء ذهبت الى (المأذون) وطلبت اليه إجراء الطلاق . فما كان اسرعه الى إجابتى ، وهو لايعرفنى ، حتى لقد استأجر بنفسه شهوداً لمعرفتى نقدتهم على شهادتهم أجراً . ثم ماذا اقول ؟ فوالله لو وكل هذا الامر الى من هم أكبر نفساً من هؤلاء لكان هذا فى خير العائلة وسعادتها .

اذن فقد طلقتها ، ثم شجر خـلاف امتد الى المحاكم الشرعية والاهلية ، حتى محاكم الجنح أيضاً . ولقد ظل هذا النزاع أكثر من عشرين شهراً فى دور المحاكم ، ولست أبالغ اذا قلت إنى تلقيت من هذه المرأة القاسية درسا أشد قسوة من هذا التقاضى الذى طال امده وتشعبت فروعه . وأنا ما أزال فتى فى مقتبل الشباب .

واخيراً طلبنا القاضى الشرعى : أنا وهى (زوجتى) ، فذهبنا نحن الاثنين نبكى . ولقد كان

منظراً مؤلماً للغاية أن ترى عروسين فتيين يبكيان فى ساحة المحكمة بدل أن يفرحا و يمرحا فى بحبوحة الأمل بالمستقبل السعيد . وعرض علينا القاضى الصلح، ولكن بعد فوات الوقت فأبيته . قائلا : لا ياسيدى لقد رحت محكمت الجنح ، وهذا المترافع عنى قد أهين وديست كرامته بسبب هذه . لا لا يا سيدى لم يبق للصلح باب .

فأثبت القاضى الطلاق وكان هذا فى مايو سنه ١٩٢١

وقمت بالاجازة السنوية ، وسافرت لبلدنا فى يونيو الذى يليه ، و بعد ايام قرأت فى إحدى الصحف الصباحية خبر وفاة المرحومة زوجتى (سابقا)

فهل ترانى أؤدى واجب العزاء ؟

لقد أديته ! ! !

محمد السيد

كامل كيلانى

(بقية المنشور على صفحة ٧٤٤)

الاثر فى نشأته على هذه الارادة الحديدية التى تذلل له المستحيل . كما أستطيع أن اؤكد أن لهذا الهواء الجبلى ايضاً اكبر الأثر فيما يراه بعض الناس لأول وهلة فى وجه الأستاذ كامل، فيظنونه كبراً أو صلفاً وما هو بشيء من ذلك. واذا كان لا بد للناس من معرفته فاننا نؤكد أنه هو هذا الهواء الجبلى مضافا الى مافى الاستاذ من خيال الشعر المكبوح، فان كاملا لو ترك كما خلقه الله لكان شاعراً عبقرياً. ولكن ما زال يطلع على الكتب، و يستوعبها حتى غلب عليه العلم. ولعل استعداده الشاعرى الى جهاده العلمى ، هما اللذان طبعا أسلوبه الكتابى هذا الطابع الذى أسميه . « الاسلوب البرقى » وأعني به أنه الاسلوب الذى لا أثر فيه للفضول ولا للثرثرة اللذين هما الداء المتفشى فى ادب اكابر الكتاب العصريين . إن لهذا الهواء الجبلى الذى يتمع فيه الاستاذ كامل كيلانى ولهذه الفطرة الشاعرة التى خلقت فيه على أكمل ما تكون الفطرة اصفاء و نقاء ، يرجع ما فى طبع الاستاذ من رقة ووفاء وايثار ورحمة للضعفاء والاقرباء والاصدقاء والمعارف . كما يرجع ما فيه من عنف وشدة و بطش وجبروت ، على الذين يناوئونه اللدد والخصومة — كانت ما كانت مراكزهم — وعلى المتكبرين والادعياء .

محمود أبو الوفا

الدهر والحياة ...!

بقلم محمد وصفى أحمد

مرحى! مرحى! عهد الطفولة والصبا. يوم ولدتنى الطبيعة. وطرحتنى على سطح الخليقة وسطرت اسمى فى صحيفة الحيـاة، وها أنذا فى مهدى رضيعاً فى رعاية الله جل شأنه. وها هى أمى بجوارى تحوطنى بحنانها، وتشملنى بعطفها، وتضمنى إلى صدرها. وتنشر جناح رحمتها على طفلها، وتطوقنى بيدها، وتشفعنى بحبها، وتحصننى من كل شر مستطير، إذا بكيت دللتنى بكلامها العذب، و إذا مرضت جزعت وخرت ساجدة لله تتضرع اليه أن يمرضها و يشفينى، وتعرض نفسها وحياتها فداء لابنها، وتوهب كل ما تملك من متاع الحياة نذوراً للأولياء إذا ما بلت من مرضى، وحرمت نفسها نعمة الحياة، كل ذلك لأجلى ... أجل! تلك هى أمى أخلص المخلصين لدى، وأعز الأصدقاء عندى، وأغيرهم على مصلحتى. رعاك الله يا أماه، فأنا مدين لك بحياتى إلى يوم الموقف العظيم. ولولاك ما عشت سعيداً فى هذه الحياة أشعر بالهناءة فى عيشى والسرور فى نفسى وأنت بالقرب منى، أنت التى تفرح لفرحى وتحزن لحزنى وليس لي فى الحيـاة خدن وفى، وسمير يؤانسنى، وطبيب يعالجنى، وحكيم يرشدنى إلى طريق الهدى، غيرك يا أماه.

قمت من مرقدى، وخرجت من مهدى، وأصبحت شابا يافعاً ولجت باب الحياة أكد وأكدح فيها تناضلنى وأناضلها. تارة تبتسم وآونة تعبس وتكشر عن أنيابها، حالتى كحالة غيرى من أبناء الحياة. فكلنا نرى أياما سعيدة مفرحة نلهو بها كيفما شاء لنا الهوى. وترحل كأنها سويعات معدودة، وتتلاشى كقطرة ماء تبخرت من أثير الهواء، وأياما تعسة يشقى بها الانسان تمر كأنها السنين الطوال.

ما أحلى حياة الشباب. حياة رغدة، مرحة جميلة، أود لها البقاء، وأن لا تعترينى الكهولة فأقعد عن الكد والكفاح ولكن تمر السنين وأنا لا أدرى بها ولا أشعر برحيلها، وكأنى فى رؤيا تعرض أمام ناظرى مشاهد الحياة، براحتها ومتاعها وسعادتها وشقائها واستيقظت من سباتى فلقيت نفسي بين وهاد الشقاء وآكام الحزن وروابى التعب خلفته لى أيام الشباب ولم أتحصن لها أو أذود نفسى منها، ولكن قد مضى وقت الشباب فهل أعود اليه؟ هيهات! هيهات!

لقد انتقلت من عالمه المرح إلى عالم الشيخوخة الحكيمة، وبلغت من العمر عتياً وقضيت حياتى ما بين جد وهزل، وبين كد وكفاح

ابتعدت عن هذه الحياة الصاخبة — حياة الطيش والمجون — واعتكفت فى صومعة على سفح جبل أسبح الله وحيداً، وقطنت تلك الدار حيث لا نفاق فيها، ولا إثم ولا عدوان، وحيث السماء صافية لا تشوبها شائبة المكر والخداع، والشمس صاحية لا تحجبها سحب النفاق، وأسمع أهازيج الطيور وأناشيد البلابل على الأفنان والغصون. تطير من فرع إلى آخر، وتنتقل من شجرة إلى أخرى، تصدح بصوتها الشجى فأسمعها تسبح بحمد الله على حياتها الحرة، لا تعوقها جسور الاستعباد، ولا سدود الظلم والاستبداد، تمرح فى البطاح الواسعة، تأكل من نبات الطبيعة، ولقد طابت نفسى إلى هذه المعيشة بعيداً عن كل رذائل الحياة، مرتاح الضمير، فلا أحس بوخزه، ولا تساورنى أفكار الشباب الطائشة، فلقد عركت الحياة وعرفت خدعها، وأنا فى أحلامى ساهر أفكر فيما عساى أفعله لغيرى، أراعى القمر وهو يتيه دلالا وخيلاء، معجباً بجماله فى صفحة السماء المنيرة بشعاعه، وكأنه يشعر بموقع جماله فى قلوب البشر، والنجوم حوله ترعاه. والنسيم يهب حاملا شذى عطر الرياحين والأزهار التى انبتتها التربة، أستنشق رائحتها الذكية، وأتذوق طعم رحيقها الحلو، والطبيعة ساكنة، والليل يوحى إلى النفس بعظم جلاله ورهبته فى النفوس التى تتوق إلى فك طلاسمه المبهم، ولم أسمع صوت إنسان أو صديح بلبل أو تغريد طير، اللهم إلا حفيف الأشجار وخرير المياه.

وفيما أنا فى عزلتى، والنفس مرتاحة إلى هذا السكون المخيم على سطح الخليقة، طرق مسامعى وقع أقدام، فأنصت اليه، ثم خفت الوقع، وعاود الكرة مرة ثانية، فاستشطت غضباً وقمت أجوب وأنقب فيما حولى عساى أهتدى إلى سر هذا الوقع الذى يزداد شيئاً فشيئاً، وعلى حين غرة لمحت عيناى شبحاً نحيف الشكل، تهدلت لحيته البيضاء الناصعة متدثراً بكساء أبيض، ورغم شيخوخته يسير سير الشباب القوى، ويبعث فى النفس الروعة والاجلال، متأبطاً مجلداً ضخما. فارتعدت فرائصى وفزعت نفسى، وعللت النفس بأنه أحد المردة التى تسكن هذه البقاع، وأسرع الشبح الخطى نحوى، وما قرب منى قيد خطوة حتى هممت بالفرار. ولكنه رفع يده مشيراً الى بالوقوف صائحاً: قف مكانك!

فجمدت فى موضعى. ووقعت فى شرك الدهشة والعجب، وخيل الى أن الله قد كسا العظام لحما، فنهضت الاموات تنبه الاحياء. وأنا الشيخ المسن قوضت السنون ظهرى،

ونكبني الدهر بفواجعه وآثامه ، فلم تقو النفس على ما شاهدت ، فأغمى على في الحال ، وفقدت صوابى ، ولم أع مادار حولى . ولكن كم كانت دهشتى عظيمة حين صحوت من غشيتى ، ووجدت نفسي فى مكان فسيح من الغبراء ، يصفر فيه الهواء ويكاد يجتذب جذور الاشجار ، وأخذت الشمس تنشر أهدابها على البطحاء ، والقمر يرجع القهقرى ونوره يتضاءل شيئاً فشيئاً ، وما زال أمامى ذلك الشبح الذى لا أعرف كنه مصدره ، وأنا صامت لا أقوى على الكلام ، والنفس يتردد ، والقلب ينقبض ، والجسد يلهث من التعب ، وقطع هذا الصمت صوت الشبح قائلا :

أتعلم من أنا أيها الغارق فى خضم الحياة !؟ فأجبته سلبا . وصمت هنيهة ثم قال :

« أنا الزمن ، وبين يدى هذا السفر العظيم أدون فيه تاريخ كل شخص على سطح الحياة أحكم له أو عليه ، فأنت أيها الشيخ قد بلغت شوطاً كبيراً من الحياة ، فبالأمس البعيد كنت طفلا مدللا رضيعاً ، ترعاك أمك ، وتطورت فأصبحت غلاما طائشاً لم تدرس الحياة ، ثم غدوت شابا مفتونا ، ومرحت ولهوت فى أيام الشباب . ولم تعبأ بالدهر حاسبا أنه سيبقى على حاله ، وصرفت كل ما تملك من مال فى ملذاتك ، ولم تعمل حسابا لشيخوختك القادمة ، والزمن ليس على وتيرة واحدة ، فهو يرفع هذا الفقير ويخفض ذاك الغنى ، ويشيد صروح المجد لناس كانوا لا يذكرون فى الحياة ، ويهدم عزة أشخاص كانوا أشهر من نار على علم ، ويشقى سعيدا ، ويسعد شقيا . وهكذا دواليك . ولقد دبت اليك الشيخوخة واعتراك مرض الكهولة ، فهلا اقتصدت مالا وصحة وقوة من أيام الشباب لتنفعك الآن ؟ ولقد تركت مفاسد الحياة ، وركنت إلى الصلاح والتقوى ، واعتكفت على التسبيح بحمد الله ، شأنك شأن كل شخص أقعدته الشيخوخة عن النضال فى طود الحياة ، وكذلك عندما شعرت بدنو أجلك قمت إلى الصلاة ، فكفاك ما تنعمت به من العمر وهيا إلى هذا الطريق وسر على مدى بصرك فهناك تجد راحتك » .

فأطرقت برأسى نحو الارض ، وأذعنت لأمر الزمن ، ورضخت لحكمه . وسرت متكئا على عصاى ، وقطعت شطرا كبيرا من الطريق (طريق الحياة) حتى أشرف على رابية لست أرى لها نهاية ، لا هى بالارض ، ولا هي بالسماء . ولم أجد لقرارها حدا يقف عنده البصر ، وأردت الرجوع من حيث أتيت ، ولكني لم أستطع ، إذ كان الشبح يتبعنى متابعة الظل لصاحبه ويقهقه بضحكة صفراء عريضة « ها ! ها ! أتريد الرجوع من حيث أتيت ! ؟ أترجع إلى أيام صباك ؟ لا ! لا ! كفى ! كفى . هنا طريق الابدية ، فألق بنفسك فى تلك الهوة السحيقة ، حيث تكون فى عالم الخلود ، وغدا ستقف بين يدى الله لتحاسب على كل ذرة فعلتها فى حياتك ، من حسنة وسيئة » م ؟

محمد وصفى احمد

العلوم والفنون

مكتشفات مصرية قديمة فى تل العمارنة

اكتشفت جمعية انجليزية للحفر فى مقابر بلدة تل العمارنة وأرمنت مئات من الآثار القديمة التى تدل على أن هذه الجهة كانت فى أيام الفراعنة القدماء مقبرة للعجول المقدسة التى كان يعبدها قديما قدماء المصريين . ومعظم الآثار المكتشفة هى هياكل من العجول وبعض التماثيل الموشاة بالذهب ، وترينا هذه الصورة أحد هذه التماثيل . وهى معروضة الآن فى المتحف الطبى التاريخى . ويدل البحث التاريخى على أنها وجدت فى العصر القديم من سنة ٣٤٦ إلى سنة ٣٩٥ قبل الميلاد .

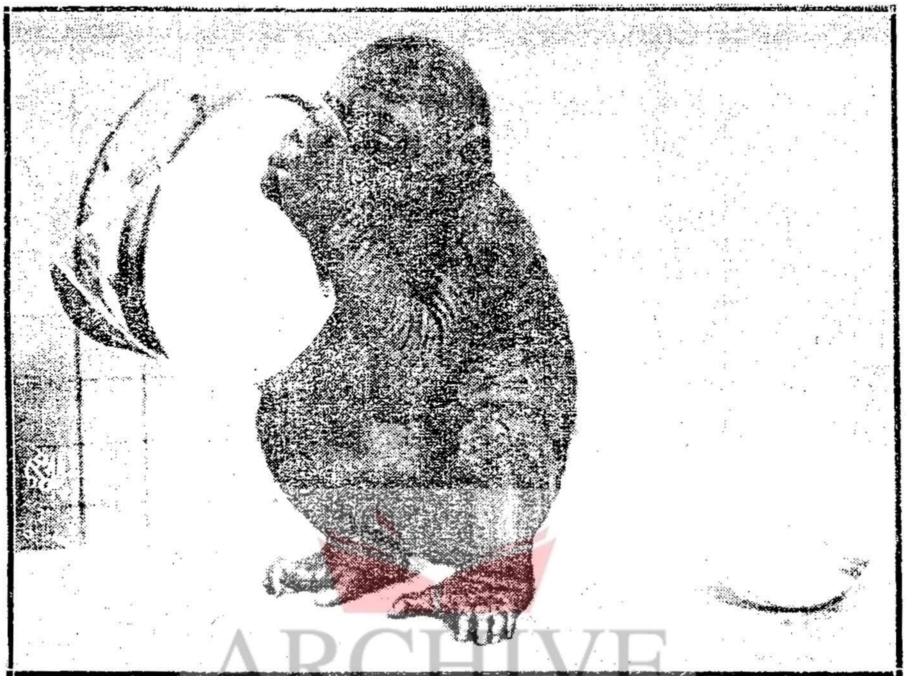
(تمثال العجل بوخيس المقدس)



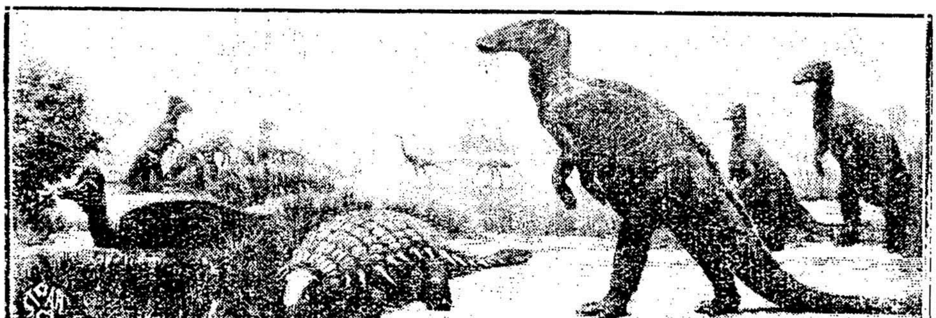


(طفولة الغوريلا)

ترينا الصورة التى الى اليمين . إحدى أطفال الغوريلا كما ظهرت يوم وصولها إلى حديقة الحيوان بنيويورك . كانت ضعيفة فى مبدأ الأمر حتى كان من الضرورى تغذيتها بالأغذية السائلة : كاللبن والبيض . يعطى لها فى ملعقة . وكذلك كان زيت كبد الحوت جزءا هاما من غذائها . وبدوام العناية بها وتغذيتها أخذت تنمو شيئاً فشيئا . ثم أعطيت لها بعد ذلك الفواكه



وتظهر فى الصورة التي فوق هذا الكلام وهى تختبر طبلة صغيرة بعد أن سأمت فحص الكرة واللعب بها ، حتى إنها ألقت بها جانباً . وهكذا تظهر لنا فيها تماما غرائز الطفولة .



حيوانات هائلة منقرضة

هذه صورة عجيبة لبعض الحيوانات المنقرضة التى عاشت فى الأزمنة الساحقة من التاريخ وهى إحدى صور المجموعة الحديثة التى صنعها الفنان العلمى الشهير « شارل نايت » لمتحف التاريخ الطبيعى فى شيكاغو . وهذه الصور صورت من البقايا المتحجرة وترينا الصورة الحيوان الهائل المقرون بالدنيا ، وقد صور هو أنواع كثيرة وجدت بقاياها متحجرة فى كندا .

مملكة المرأة والبيت

المرأة

التى لاتحسن تدبير المنزل

كتبت البارونة ستاف عن المرأة التى لاتحسن تدبير المنزل و إدارة شئونه ماخلاصته :—

نرى بعض النساء فى حركة مستمرة واشتغال متواصل، وأنت إذا بحثت عن الحقيقة ، لتبين لك أن عملهن لا يجدى مطلقاً ، بل هو — و إن لم ينفع — فانه يضر كل الضرر، وهو أدعى للخسارة من الكسب . فهؤلاء يقضين أوقاتهن فى عمل الحلوى ، أو يتفنن فى أشكالها ، وينفقن أكثر مافى أيديهن فى تلك السبيل، معتقدات أنهن يأتين عملا يشكرن عليه من أزواجهن زاعمات أن ذلك ضرب من ضروب سياسة تدبير المنزل ، وهذا خطأ محض، و إن هو إلا إسراف لا فائدة منه .

كذلك ترين بعضهن دائبات على صنع بعض الأشغال اليدوية ، لتزيين منازلهن أو للتحلى بها ، مهملات كل عمل دونها ، وليت عملهن يكون بعد ذلك نافعاً ، بل هو على العكس تماما إذ ترين فى غالب الأحيان أن مايعملنه غالى الثمن ، خال من الرونق والحسن .

والأمثلة لدى كثيرة على ماذكرت . وهى تثبت للقارئة اللبيبة ، أن كثيراً من تلك الأمثلة تنعكس فيها الآية ، وتأتى نتيجتها عكس مقدماتها ، فتنقلب فيها الحسنة إلى سيئة ، والفضيلة إلى رذيلة ، ومن هذا القبيل أيضاً ، النساء اللائى يبالغن فى النظافة فتتحول عندهن هذه المبالغة إلى نوع من الهوس والهستيريا المصحوبة بالوسواس ، فيضيعن نهارهن فى المسح والكنس، والتنظيف، معرضات عما عدا ذلك من شئون المنزل الهامة ، التى تحتاج الى مراقبة وعناية شديدة ، ثم تسمعينهن بعد ذلك صاخبات لاعنات شاكيات ، من مواصلة العمل دون انقطاع ، والحال أن العمل الذى عملنه لاتقدر قيمته إلا بنسبة نفعه و إفادته .

وقد نرى لسوء الحظ نساءا كثيرات ليس لهن من عمل غير الجلوس على بساط الكسل والخمول ، وترى الواحدة منهن كل شىء فى البيت مهملا مغفلا أمره ، ولاتتحرك ، فلا ثياب

ترتق فتقها ، ولا طعام تعنى باعـداده ، ولا أولاد تهتم بتربيتهم ، حتى لقـد نراها فى بعض الأحوال ، تنتظر عودة زوجها بفروغ صبر ، لتستنجزه بعض حاجيات منزلية هى أحرى بانجازها ، غير ناظرة إلى العمل المضنى الذى عمله، دائبا عليه فى تعب طول يومه .

أيها المرأة ! الرافلة فى حلل الترف واليسار ، المستثقلة للخطوة تنقلينها فى سبيل خدمة منزلك انظرى إلى النساء الفقيرات ، كيف تتولى الواحدة منهن إعداد منزلها وتربيتها أولادها بنفسها وكيف تقوم على راحة زوجها ، وتعنى بحاجيات البيت وحدها . وهى مع ذلك متمتعة بالصحة والعافية والسعادة الحقيقية .

سيداتنا والمربيات

من العادات الذميمة التى تفتك بالأمة فتكا ذريعاً، وجود فئة من سيداتنا المصريات اللائى يغرمن باختيار مربيات (دادات) لأولادهن من الأفرنجيات ، زاعمات أن فى ذلك مايعود على أولادهن بالخير والفلاح ، إذ يعلمنهم طرق التربية الأفرنجية الصحيحة فى زعمهن ، ناسيات أن فى ذلك أكبر الضرر الذى يعود على أولادهن ، فليس من شك فى أن الأفرنجية أيا كانت جنسيتها ، لها من العادات والتقاليد ما لا يتفق وعاداتنا وتقاليدنا البتة ، وإذا كان لهن بعض الفضائل فلديهن من الرذائل كثير ، ولا يعزب عن أذهاننا ما يعتمل فى نفوسهن من «القومية» التى تملى عليهن وجوب تنشئة الأولاد على حب الوطن «وطنهن» الاجنبى، وتصويره فى صورة رائعة الجمال، بينما يحقرن — بطريق غير مباشر — من شأن وطن الطفل الصغير . وفى ذلك ما فيه من الضرر الذى يجب أن يتجنبه سيداتنا المصونات . فان أبين ذلك ، فلا أقل من أن يحذرن تلاعب بعض أولئك (الأفرنجيات) بأزواجهن .

باب النقد والتقريظ

رباعيات الخيام

تعريب الاستاذ أحمد الصافى النجفى

ترجم الخيام إلى العربية فى هذه السنوات الأخيرة عدة ترجمات ، ولا ريب فى أن لكل ترجمة ميزتها التى لا يستهان بها ، ولكننا لا نتردد فى القول بأن أوفى هذه الترجمات وأمتعها هى الترجمة التى تصدى لها الأستاذ الصافى النجفى . ولا نظن أن أحداً استعد لنقل كتاب أو ترجمته وبذل فى سبيل ذلك مجهوداً أكثر مما استعد له ومما بذله الاستاذ الصافى فى ترجمة هذه الرباعيات . فقد اعترف فى مقدمته بأنه أقام فى طهران عاصمة الفرس ثمان سنين ، كان همه الوحيد فيها درس الأدب الفارسى . والنفوذ إلى معانيه الدقيقة ومراميه السامية ، ليصل إلى الينبوع الصافى الذى سالت منه خيالات عمر الخيام الشاعر الذى شغف به من دون شعراء الفرس

وناهيك بترجمة لهذه الرباعيات — التى لا تبلغ أكثر من ثلثمائة وإحدى وخمسين رباعية — تأخذ من عمر المترجم ثلاث سنوات . وإذا كنا لا نعرف الفارسية حتى نحكم الحكم الدقيق الصحيح على مقدار النجاح الذى بلغ اليه المترجم فى محاولته ، إلا أننا نرى أن فى وضع الاصل الفارسى مقابل النقل العربى إشعارا بأن المترجم تحرى الدقة بقدر ما أمكنه هذا التهيؤ الذى أوصله اليه بل إننا نذهب الى أكثر من ذلك ، فنصرح بأن فى وضع الاستاذ الصافى ترجمته مقابل الاصل الفارسى فى الطبعة التى أذاعها ، وإن كان هذا يدل عن استعداد ضمنى للمقارنة بين المنقول عنه والمنقول اليه — فان فيه التحدى الظاهر ، بل التحدى الصارخ لجميع الأدباء الذين يحسنون اللغتين .

وبعد فاننا نرجو أن تكون ترجمة الاستاذ الصافى لشعر الخيام هذه الترجمة ، فاتحة عهد جديد لدراسة العلاقة بين الادبين : العربى والفارسى ، دراسة جدية مثمرة ، لأننا نعتقد أن تاريخ الادب العربى لا يزال فى حاجة الى الكشاف الذى ينير له طريق هذا الموضوع الخطير

وإننا لا نستبعد اليوم الذى يظهر فيه ذلك العالم بأدب اللغتين ، ليعيد نظره فى القواعد التى وضعها علماء البيان والبديع والمعانى للغة العربية ؛ لأن هذه التشبيهات التى نجدها فى ترجمة الصافى للخيام تكاد تنبىء بأن الفرق بين بلاغة اللغتين ليس كبيراً . بل لعل هذا البحث يثبت أن قواعد البلاغة فى العربية لها أشباه ونظائر فى قواعد اللغة الفارسية ، ولاشك أن هذا البحث أجدى على أدب اللغة العربية من كل البحوث التى تثار حول الشعر الجاهلى والنثر الجاهلى ، وما إلى ذلك من هذه البحوث التي ترد فى الآخر الى صحراء مجدبة ؛ لاإلى حضارات مخصبة .ولا يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون. أجل إن هذا البحث فى نظرنا نحن أولى ، لأنه إن لم يؤد فى الآخر الى إيجاد ميدان أدبى علمى جديد مفيد ، فانه سوف يؤدى حتما الى تلقيح اللغة العربية بكثير من المترادفات الفارسية التى لم يصل الينا منها شىء من بضع مئات السنين ، فضلا عما لهذا البحث من فوائد التقريب الادبى بين الشعبين المتجاورين ؛ إن لم نسميهما الشعبين المتاخمين . وتلك هى أبلغ رسالات الادب للشعوب وللحياة .

احصاء العلوم للفارابى

صححه وقدمه وعلق عليه

الأستاذ عثمان محمد أمين

من الكتب صنف يولد ليعيش ، وصنف آخر بل أصناف تولد لتموت ، وأقصد بالصنف الأول ، أو النوع الأول ، ذلك الذى يفتح لك طريق البحث فى علم من العلوم ، أو ينير لك سبل النهج لفن من الفنون . وكتاب (إحصاء العلوم) لأبى نصر الفارابى ـ كما سماه الأستاذ عثمان أمين ؛ و بمعنى أدق كما ارتضاه . أو (مراتب العلوم) كما سماه ابن النديم ، أو (تفصيل العلوم) كما سماه أحد النساخ ـ كتاب من كتب الصنف الاول ، التى أبت إلا أن تولد لتعيش لا لتموت ، وإذا كان الخلود مقدراً لبعض الناس ، فانه مقدر أيضاً لمنتوجاتهم وآثارهم وأعمالهم ، أيا كان نوعها.

وأبو نصر الفارابى أحد أولئك الذين قدر لاسمهم أن يظل خالداً على مر الأيام وتوالى الحقب ، بما قدم إلى المسلمين والعربية ، من علم نافع ، وفلسفة جليلة ، وحكمة غالية ، وإذا كان الفارابى قد سمى «المعلم الثانى» ، فلأنه كان بحق أول من ذلل كتب أرسطو وشرح أغراض فلسفته ونواياه ، وإذا كان بعض مؤلفاته معروفا ، فان بعضا آخر ما يزال مجهولا

حتى الساعة . ومن ذلك المجهول هذا الكتاب الذى نحن بصدده، والذى وفق إلى معرفته الاستاذ عثمان محمد أمين الحائز للليسانسيه الفلسفة والآداب وعضو بعثة الجامعة المصرية بجامعة باريس .

نقول وفق وما التوفيق إلا من عند الله . ونستطيع أن نقول بحق: إن الاستاذ عثمان قد دل على أنه جدير كل الجدارة بأن يمثل الروح العلمى الجامعى الصحيح أحسن تمثيل ، باظهاره ذلك الكتاب الجليل الشأن العظيم الخطر . وإذا كان قراء « المعرفة » الكرام قد عرفوا الاستاذ عثمان كاتباً محققاً مدققاً ، فأنهم سيعرفون — بعد قراءتهم هذا الكتاب — أنه باحث محقق مدقق أيضا .

والكتاب يقع فى ثمانين صفحة ؛ عدا مقدمة جليلة للكتاب ، وترجمة دقيقة للمؤلف ، بقلم الاستاذ عثمان . ويستطيع القارىء أن يفهم من عنوان الكتاب ماينضوى تحت لوائه من أسماء ومسميات . فالكتاب كما قال الأستاذ عثمان : « أشبه شىء بما يسمى دائرة معارف مع شىء من التجاوز فى التعبير . تكلم فيه « المعلم الثانى » على نحو عشرين علما من العلوم المشهورة فى زمانه . مبيناً موضوعاتها وفوائدها بيانا موجزاً فى بعض المواضع، ومسهباً فى مواضع أخرى ولقد امتدح مصنفو العرب هذا الكتاب وعدوه ضروريا نافعاً لجميع الباحثين والمشتغلين فى الدراسات والعلوم . ولعله أول ما كتب بالعربية من هذا القبيل » .

فنحن نقدم جزيل شكرنا للاستاذ عثمان ، على مابذل من همة فائقة فى تصحيحه . وأنفق من وقت ثمين فى مراجعته وتحقيقه، ونرجو ـ وقد سافر إلى أوروبا ـ أن يعود الينا ظافراً برسالته التى بعث من أجلها .

وأخيراً نحث القراء على اقتناء الكتاب ودراسته لما فيه من فوائد جليلة ، وهو يطلب من مكتبة الخانجى بمصر .

رجال العلم ومكتشفاتهم

تعريب الأستاذ فؤاد صروف

هذا عنوان لكتاب وضع بالانجليزية ،تقررت دراسته لطلبة البكالوريا فى القسم العلمى سنة ١٩٣١ - ١٩٣٢ دراسية. واسم الكتاب « Men of Science and their Discoveries »

وقد قام بنقله إلى العربية حضرة زميلنا المفضال الأستاذ فؤاد صروف محرر المقتطف الأغر ، فأجاد الترجمة وأحسن التعريب . وأسقط حجة القائلين بقصور اللغة العربية عن التأدى إلى فهم المصطلحات العلمية أو ما شابهها.

والكتاب على صغر حجمه جليل النفع ، عظيم الفائدة ، و يدل أوضح دلالة على أن ما يذله الاستاذ صروف فى تعريبه من مجهود لم يكن مجهوداً ضائعاً . مثل هذا الكتاب يجب أن يكون فى متناول كل عالم وأديب ومؤرخ لينتفع كل منهم بما فيه على السواء . والكتاب مطبوع على ورق من النوع الجيد ، فى حجم المتوسط ، وتبلغ صفحاته ١٣٦ ، طبع بمطبعة المقتطف والمقطم بمصر ، و يطلب منها ومن المكاتب العامة .

فصول فى التاريخ الطبيعى

بقلم المرحوم الدكتور يعقوب صروف

للمقتطف الأغر فضل على الحركة العلمية لا ينكر ، ولمؤسسه المرحوم الدكتور صروف شأن وأى شأن . و إن الباحث المنصف الذى يعطى الناس أقدارهم ، لا يتردد فى القول بأن الدكتور صروف كان إحدى الدعامات القوية واللبنات المختارة التي قام عليها بناء النهضة العلمية منذ نصف قرن تقريبا ، كما أن إنسانا بالغاً ما بلغ ـ لا يستطيع بحال ما ، أن يهمل شأن الابحاث العلمية التى نشرها الدكتور صروف فى المقتطف ، وفى مختلف الصحف والكتب .

وعلى الرغم مما عرف به الدكتور صروف من تمكن فى البحوث العلمية ، فان من الحق أن يضاف إلى ذلك أنه كان أحد الذين لهم فى دولة الأدب صولات وجولات معروفات .

نقول هذا و بين أيدينا هذا الكتاب الذى أصدرته إدارة المقتطف الأغر ، لتجعله هدية لمشتركيها . فاذا به كتاب من أنفع الكتب ، وهدية من أنفس الهدايا التى يعد فقدها خسارة . و يكفى أن تعرف أن الكتاب يشمل البحث فى مملكتى النبات والحيوان لتعرف قيمته . فيتناول فى مملكة النباتات : غرائبها ، وطبائعها ، و إحساساتها ، كما يتناول فى مملكة الحيوان : أنواعها ، وانتفاع الانسان منها ، و إدراك الحيوان واجتماعه ، ومختلف أصنافه البحرية والنهرية ، والطيور والنمل والنحل ، وغير ذلك مما يحتاجه كل محب للاطلاع ، وعلى الأخص الاخصائيين فى البيولوجيا . وفى الكتاب فصول طريفة بقلم الاستاذ فؤاد صروف جديرة بالقراءة والبحث . وهو يقع فى ٣٠٨ صفحات من القطع الكبير ، و يطلب من إدارة المقتطف .

قصص وأدب و...

هذا عنوان لمجموعة قصص وفكاهة أهدى الينا من إدارة ... وقد اختارتها من مجلاتها لتقدمها هدية لمشتركى الهلال الذين سددوا قيمة اشتراكهم وتقع فى ١٤٤ صفحة من الحجم الكبير وسعرها عشرة قروش .

بين المعرفة وقرائها

الأحلام والمادة

(حمص . الشام) سرى السباعى — كيف تؤثر الأحلام فى نومنا على المادة ؟ وهل لها اتصال بالعقل الباطنى ؟

(المعرفة) ليس من شك فى تأثير الأحلام على المادة ، وهذا ثابت فى عدة رؤى تاريخية ودينية معروفة ، وأما اتصالها بالعقل الباطنى ، فهو مما لا ينكر أيضاً ، ويمكن لحضرة السائل ، مراجعة كتاب « معجم الأحلام » تأليف الأستاذ اسبيروجسرى ويطلب من إدارة المقتطف والمقطم ، كذلك ننصح لحضرته بقراءة كتاب العقل الباطن . للأستاذ سلامة موسى ، ففيه الكثير مما يسأل عنه .

محى الدين بن العربى

(اسكندرية . مصر) محمد عبد الرحيم العلايلى — هل تسمحون بنشر ترجمة لحياة وفلسفة الشيخ الأكبر محى الدين محمد بن على بن محمد بن العربى الطائى الحاتمى ؟ كما نشرتم بالعدد الثالث وغيره فلسفة وتاريخ الامام الغزالى بقلم الأستاذ حامد عبد القادر . ؟

(المعرفة) إن لنا عناية خاصة بدراسة الشيخ محى الدين العربى ، وقد كتبنا عنه عدة فصول ترجمت إلى الفرنسية ، لاعدادها للطبع ، ولهذا فانا نجيب رغبتك برحابة صدر . وقد وعدنا الأستاذ حامد بأن يبدأ دراسة ابن العربى بعد انتهائه من الغزالى ، فانتظر .

تربية الولد

(القاهرة . مصر) احمد فتحى ناصف — من من الوالدين يحسن تربية ولده بمفرده ؟

(المعرفة) قد يبدو سؤالك بسيطا ، هو فى الحق معقد ، وفيه مايفسح المجال للاجابات المتعددة . وعلماء التربية على ذه المسألة : فمنهم من يقول « الأب » ومنهم من يقول « الأم » وإن كان رورة الجمع بين الاثنين معاً ، أى لا يستقل أحد الوالدين بتربية ولده ، بل يجب أن فى تنشئته وتربيته وتهذيبه ، بحسب ماتؤهله وظيفة كل منهما فى الحياة .

وعلى كل حال فان الولد فى أشد الحاجة إلى الأم أكثر منه إلى الأب ، حتى يبلغ سن الحضانة ومن ثم الوالد من غير شك ولسنا نعنى بهذا الحط من شأن الأم . وقد قال حافظ بك ابراهيم :

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الاعراق

وقال نابليون : إن الأم التي تهز المهد بيمينها تهز العالم بيسارها كناية عن قيمة عملها الطبيعى فى المجتمع ، وهو حفظ النسل ، فيجب ألا نهمل شأنها .

نظرية اينشتاين

(القاهرة . مصر) محمد التونى — هل لكم أن تشرحوا لنا نظرية اينشتاين ومكنوناتها لتزداد معرفتنا ؟

(المعرفة) مهما تبسطنا معك فى القول ، فلن نستطيع إجابتك الى ما تطلب إجابة يطمئن اليها قلبك فالنظرية من أعمق النظريات الرياضية التى أقامت الدنيا وأقعدتها . وشرحها يحتاج الى مجلدات وقد قيل : إن اينشتاين لا يفهم نظرية اينشتاين . والمقصود من هذه العبارة هو المبالغة على ما نعتقد . وعلى كل فسنتصل بأحد الأساتذة المعروفين ، وهو من الذين لهم دراية تامة بتلك النظرية ، فاذا تفضل بشرحها ، فانا ننشر ما يكتبه شاكرين .

الزواج والدين

(شبرا . مصر) ص . غ — أنا شاب مسيحى وقد أحببت فتاة مسلمة . وبادلتنى الحب وصار كل منا لا يهنأ له بال إلا إذا وجد ناعماً وقد اتفقنا على الزواج مهما كانت الظروف . ولكن الدين فارق بيننا . فكيف نعمل فى ذلك ؟ والدين حائل بيننا ، وسيكون سبباً لقتل روحين ؟ وهل من حل يمنع وقوع جريمة الانتحار ؟

(المعرفة) يبدو لى يا سيدى أنك غر — ولا تؤاخذنى فى هذا التعبير — فما تزال فى حاجة إلى التجارب العديدة حتى تعرف أنك واهم فيما تقول . يجب أن تلتفت إلى درسك ، أو وظيفتك ، أو عملك أيا كان نوعه ، فهو أجدى عليك من هذا العبث الصبيانى . وهذا الذى تطلب أمنع من عقاب الجو ، فى حكم الدين على الأقل ، فلا تبن قصورا فى الهواء — على حد تعبير الانجليز « Castles in the air » لا ترمى الدين يا أخى بما ترديه به . فالدين أيا كانت طبيعته ، لا يعمل على قتل روحين ، بل بالعكس يحض على ربطهما برباط مقدس ، وقد حض على ذلك فى نواح كثيرة ، ولكن بشروط يجب توفرها فى كلا الشخصين ، فلا تحرجنى أكثر من هذا ، فجواب الطبيعى معروف لديك ولدى كل إنسان يعرف أنى مسلم .

وبما أنى لا أرتضى الأنانية ، فأبشر لدينى على حساب العواطف — وكثيراً ما تكون فى حالة ثورة هائجة لا تلبث أن تخمد — فانى أنصحك بالبحث عن فتاة مسيحية مثلك لتحبها وتتزوجها إن شئت .

المعرفة والعلم

(تونس . تونس) جعفر الطيار — ما حقيقة أصل المعرفة وكنهها وحقيقة العلم على الاطلاق عند الانسان فى سائر أحواله ، على آراء الصوفية ؟

(المعرفة) يا سيد جعفر ! كنت أود أن أجيبك أنا أو الأستاذ (ف . و) كطلبك . ولكننا لم نفهم سؤالك البتة ، فزده إيضاحا ، وبين المقصود منه ، أو حدد الدرجات التى تعنيها . وقد احتطتنا فنشرنا سؤالك ، لعل أحداً من حضرات القراء يستطيع الاجابة عليه ، فننشر إجابته شاكرين .

الجبر والاختيار

(العباسية . مصر) محمد يحيى حفظى — نعلم أن الله سبحانه وتعالى كتب لكل إنسان أعماله التى سيعملها ، وهل هو سعيد أم شقى وكذلك مدة حياته ؟ وذلك من قبل أن يوجد الانسان على ظهر البسيطة . إذن فلماذا أمرنا بالعمل والخير والابتعاد عن الشر ؟

(المعرفة) هذه مسألة المسائل التى حار فيها الفلاسفة والفقهاء والمفسرون طوال أعمارهم ، والذى يقرأ تاريخ الفرق الاسلامية يرى العجب العجاب من الآراء المتباينة فى هذا الموضوع ، والكتب الاسلامية عامة وما يتعلق منها بعلم الكلام وتاريخ الفرق بصفة خاصة ، تعج عجا بالآراء العديدة فى مسألتك ، بل مسألة الوجود كله .

وأنا أصرح لك ، بأننا لا نستطيع أن نطمئن لما ورد فى تلك الكتب حتى نجيبك منه . ودعك من النتائج التى يستنتجونها من مقدمات هى أطول من ليالى الشتاء ثم لا تخرج منها بما يروى غلة ، أو يشفى علة .

هذه مسألة لا يتأتى فهمها لغير ذوى الكشف ، أولئك الذين اصطفاهم الله فآتاهم علمه . ونستطيع أن نجيبك بقول القائل : المالك يتصرف فى ملكه كما يشاء ويريد . فهل فهمت ؟ هل لمخلوق قدرة مع قدرة الخالق بغير مشيئته ؟ لا ! إذن فلنسأل الله الهداية ، علّه يرشدنا سواء السبيل .